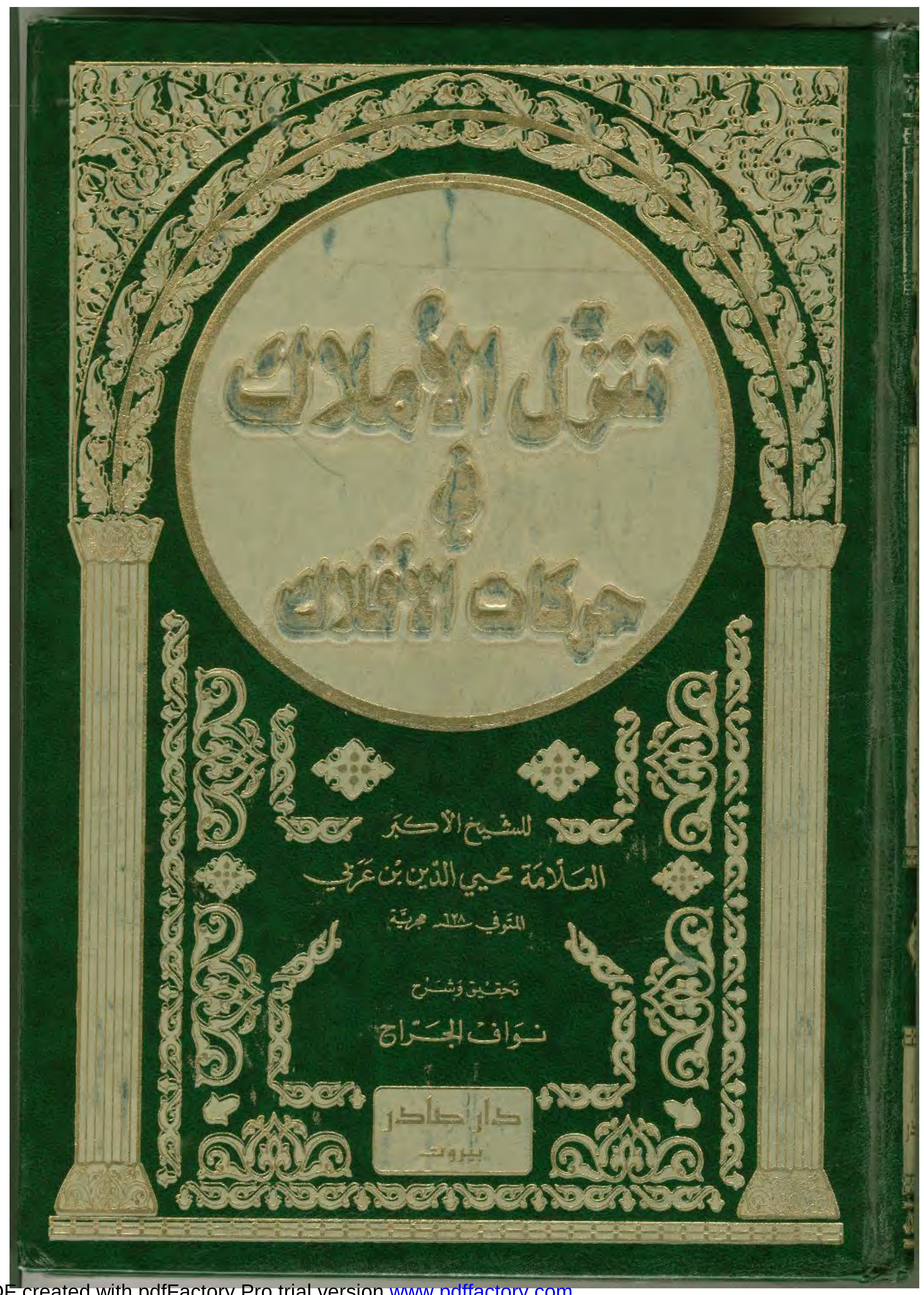

تنزل الأملاك
في
حركات الأفلاك
للشيخ الأكبر
العلامة محيي الدين بن عربي
المتوفى ٦٣٨ هجرية
تحقيق وشرح
نواف الجراح
دار صادر
بيروت

تنزّل الأملاك في حركات الأفلاك

الموسوم

بالتنزّلات الموصليّة في أسرار الطّهارات والصّلوات والأيّام الأصليّة

للشيخ الأكبر والنور الأبهر

العارف بالله العلاّمة محيي الدّين بن عربي

المتوفي سنة ٦٣٨ هجريّة

تقديم

الدكتور يوحنّا الحبيب صادر

دكتور في اللاهوت - جامعة روما

تحقيق وشرح

نواف الجرّاح

دار صادر

بيروت

المقدمة

كتابات ابن عربي مبنيةٌ جميعها «على اللغز والرمز» وأدهش الألغاز والرموز هي تلك التي نتأملها في كتابه «تنزيل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك» . ففيه يعطي معنى للشريعة وللصلاة ولفرض الوضوء ولصبّ الماء إلخ . . . فيحدّد بالضبط علاقة الجسد وأعضائه بعناصر الطبيعة وبنوع خاص بعنصر الماء ويعطيه أبعاده الماورائية . ثم يتحدّث عن الصلاة وإقامتها وتكبيراتها ورفع اليدين فيها ، والتوجه والوقوف والقراءة فيها . ويتحدّث عن الفرق بين الفاتحة والسورة والركوع والرفع من الركوع والهوي إلى السجود والرفع منه والجلوس ، والتشهّد ، وأسرار السلام .

جميع هذه الفرائض تنطلق من الشريعة التي هي إلهية : ﴿قُلْ لَوْ كانَ في الأرْضِ ملائِكةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئنّينَ لَنَزَّلنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلكاً رسولاً﴾ [الإسراء : 95] . ويعتبر ابن عربي أن الروح هو الذي ينزل فيخاطب العقل تارة والقلب طوراً ويكشف لهما أسرار الفرائض . وأحياناً يتحاور العقل والقلب كاشفاً الواحد للآخر سرّ مهمّته الخاصة .

لكل حركة بُعدٌ صوفيٌّ ، وجميعها تخضع للرمزية . فليست هذه الحركات هي مصدر الرمز إلى الأشياء غير المرئية ، بل أن الأشياء غير المرئية التي يراها الصوفي بروحه هي مصدر هذه الحركات . فكأنها كانت موجودة في الأصل ، في الملأ الأعلى والتي نعلمها الآن ليست سوى رموز هذه الحركات . يكشفها الروح الأمين للصوفي كي يدرك المعنى النهائي لهذه الحركات وتفاصيلها ، ويكتشف علاقتها مع الباري سبحانه وتعالى :

ففي معرفة علة أسماء الصلوات الخمس يقول :

ولما بَـدَت للسرّ حكمة ربّه فرضنا صلاة الظهر في عالم الكونِ

ولما تدانـى الوصـل بيني وبينها فرضنا صلاة العصر صدقاً بلا مين

ولما اتصلنـا واستمـرّ عناقنـا أتى المغرب المستور في بُردة الصونِ
ولما اضطجعنـا واستقرّ مكانُنا أتانا عشاءُ الحفظِ خوفاً من العينِ
ولما انتهينـا والشموسُ طوالـعُ أقمنا صلاةَ الصبح شكراً على البينِ

فجميع هذه الفرائض إذاً مع تفاصيلها يربطها ابن عربي بكل ساعات الصلاة . وكل عمل يجري في فريضة من الفرائض يكشف سرّها في كل ساعة من ساعات الصلاة ، فتتخذ هكذا رمزاً جديداً وتخلع على المصلّي صفة معينة وكالاً خاصاً به . وإذا كان الوضوء ينظّف أعضاء الجسم مطهّراً إياه قبل الشروع في الصلاة ، فللوضوء عند ابن عربي ديناميكيّة داخلية ، فهو يمدّ المؤمن برغبة في الصلاة والخضوع لله ولشريعته ولعمل الخير والإحسان إلخ . . .

وعند الانصراف من الوضوء إلى الصلاة ، يشعر المؤمن براحة الاستسلام إلى الله الذي يكتشفه أيضاً في عالم التصوّف أباً وحبيباً :

بـك عُلقت يـا أبي وحبيبي أنـتَ أرضعتني فجـودُك أمّي
ولهـذا إليـكَ أرفـعُ كفَـيَّ في أموري فأنت ركني وأمّي

وعند ابن عربي خيالٌ رائع في توزيع أيام الأسبوع التي فيها يحصل الوضوء والصلاة على الأئمة ، مع ما يظهر في كل يوم من انفعالات :

في اختصاص الإمام بيوم الآحد :

تَسمّى بوصف الله من دون غيرِهِ مـن أمثالـه فاختصّـه بالتقدّم

في اختصاص المأموم بيوم الاثنين :

سلام الله يـا أبـتِ الأثيـرُ عليـك الطيّـبُ الزاكي الخطيرُ

في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء والإمام فيه سيّدنا محمد ﷺ :

سلامٌ على يـوم الثلاثـاء إنّه لـه هِمَّةٌ خُصَّت بعشقِ محمّدِ
لـه الدرجُ العالي إلى كل غاية من العالم العُلويّ في كل مشهدِ

في اختصاص العصر بيوم الأربعاء والإمام فيه سيّدنا عيسى عليه السلام :

سلامٌ على عيسى المسيح بن مَرْيما نبـيٌ لـه الأرواحُ أيّـانَ يمّما

تبـدّا ونور الشمس في الأفق طالعٌ فلـم أدرِ ممّن أشرق الكون منهما

في اختصاص الظهر بيوم الخميس والإمام فيه موسى الكليم :

سلامٌ على موسى الكليم المكلَّم سلامٌ عليـه مـن نبـيٍّ مُكرَّمِ
أتانـا على خمسين يوماً مُحكماً فأظهـرَ فيـه كلَّ رُوحٍ مُحكَّمِ

في اختصاص المغرب بيوم الجمعة والإمام فيه يوسف عليه السلام ، قال :

نمضي ، فـإنَّ قومك جاؤوا ومُقامـي في الكيـان شديـدُ
قُـم فَحيِّهـم فقلـت سلامـاً وبقلبـي مـن الفـراقِ وقـودُ

في اختصاص الصبح بيوم السبت والإمام فيه إبراهيم عليه السلام :

ألا مـن مبلـغ عنّـي مقامـا وقفـتُ عليه يـا أبتِ السلاما
وملتـزَمٌ دعوت بـه إلهـي لقلبـي ، والتزمتُ بـه التزاما

نستنتج من كتاب ابن عربي هذا ، كم كان صاحبه مُشبعاً من العلوم الفلسفية الماورائية التي كانت سائدة في القرون الوسطى في الغرب وفي بلاد الأندلس بنوع خاص حيث نشأ وحيث كتب كتابه . ويظهر أنه لم يكن حاصلاً على رضى مجموعة المسلمين في كتاباته هذه . وكان الكثيرون يعتبرونه يعبد الوثن . وهذا ما ختم به كتابه بقوله :

يا رُبَّ جَوهَرِ علم لو أبوحُ به لقيلَ لي : أنتَ ممَّـن يعبدُ الوثنا
ولاستحلَّ رجـالٌ مسلمون دمي يَـرون أقبح مـا يأتونه حسنا

الدكتور يوحنا الحبيب صادر
دكتور في اللاهوت
جامعة روما

ترجمة ابن عربي

رحمه الله

اسمه ونسبه :

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي ، يكنّى أبا بكر[1] ، ويُلقَّب بـ«محيي الدين ابن عربي» ، وعرف بالمشرق بـ«ابن عربي»[2] وعُرف في الأندلس بابن سُراقة ، وشهر بالشيخ الأكبر[3] .

مولده ونشأته :

وُلد يوم الإثنين أو ليلة سابع عشر من رمضان سنة 560هـ في مُرْسيَة من بلاد الأندلس ،

وانتقل حين بلغ الثامنة من عمره إلى إشبيلية مع والديه ، فدرس الحديث والفقه . وكان من شيوخه أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن الإشبيلي ، وتعرّف على علماء الصوفية منهم الشيخ عبد العزيز المهدوي .

---

1 تختلف المصادر في كنية ابن العربي ، فتذكر بعضها أنه أبو بكر فيما تذكر المصادر الأخرى بأنه أبو عبدالله . وقد وردت كلتا الكنيتين في مؤلفاته ، ولكن الكنية الأكثر شهرةً هي «أبو بكر» .

2 ابن العربي هي التسمية الواردة عن المؤلف نفسه وعن اتباعه ومؤرخيه القدامى ، ولكن بدأ يعرف بابن عربي ـ أي بغير الألف واللام ـ لدى أهل الشرق للتفرقة بينه وبين الفقيه المالكي القاضي أبي بكر محمد بن عبدالله الأشبيلي المعافري ، والمعروف بابن العربي (468هـ/543هـ) . والذي أراه أن يبقى كما أطلق هو عن نفسه «ابن العربي» ويمكن تفريق الآخر بإضافة «القاضي» فيعرف بأنه الفقيه . انظر نفح الطيب للمقري (161/2) ، التجليات الإلهيات ، ص2 ، رسائل ابن عربي ، شرح مبتدأ الطوفان ، ص13 . طبقات الصوفية ، المناوي ، (513/2) معجم المؤلفين ، كحالة ، رقم (14852) ، الفتوحات المكية (554/4) .

3 انظر ترجمته : الأعلام ، الزركلي (281/6) ، معجم المؤلفين (40/11) ، كشف الظنون (399/1) .

أسفاره :

لقد كثرت أسفاره رحمه الله فلقد سافر إلى مكة المكرمة حاجاً سنة 598هـ وبقي هناك سنتين ، ثم انتقل إلى بغداد سنة 601هـ ، ومنها إلى القاهرة سنة 607هـ ، ثم رجع إلى بغداد سنة 608هـ وإلى مكة سنة 611هـ ، ثم سافر إلى حلب ، ومنها انتقل إلى دمشق التي استقرَّ فيها إلى أن توفي .

منزلته :

انقسم فيه أهل زمانه فبعضهم جعلوه وليّاً من أوليائهم وصاحب الشأو الذي لا يُلحق والتقدّم الذي لا يسبق . وقال فيه ابن مسدي رحمه الله : «إنه كان ظاهري المذهب في العبادات ، باطني النظر في الاعتقادات ، خاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحيا تلك الإشارات وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدم والإقدام ومواقف النهايات في مزالق الأقدام ، ولهذا ما أرتبتُ في أمره ، والله تعالى أعلم بسرّه» . وصنفٌ آخر تكلّم في شأنه وذمه[1].

مذهبه في التصوف :

يرتكز مذهب ابن عربي في التصوف على أربعة ركائز :

أولاً ـ المعرفة : فهي تنقسم بأشكالها إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ المكاشفة : كونها حجاباً بين النفس البشريّة والجلال الإلهي ، ورأى أن تبديد الحجاب والوصول إلى الكشف عن الأسرار الإلهية ممكن حدوثهما ولذلك بالقيام بالمجاهدات والرياضات وفقاً للطرق الصوفية .

---

1 قد تهجم عليه رحمه الله ببعض المسائل ولكن هؤلاء قابلهم أهل التحقيق والتوحيد بالدفاع عنه وتدحض ما قالوا . ويمكن الرجوع إلى ما كتبه لفيف من الأساتذة في الكتاب التذكاري الذي صدر في الذكرى المئوية لابن العربي (القاهرة ، 1996م) . وكذلك انظر المزيد ما كتبه الإمام السيوطي تنبيه الغبي على تبرئة ابن عربي وأيضاً الاعتباط بمعالجة ابن الخياط للفيروزأبادي . ومع هذا كله فإنني أقول لا بد من تحقيق ما هو للإمام وما هو ليس له لأن المتهجمين يقولون قولاً ويأتي المدافع بأن هذا الكلام ليس لابن عربي وهذا بتصوري لا يكفي ومن هنا لا بد من تفعيل الميزان الذي يعرف به الحق من الباطل مثل كتاب الفتوحات المكية بالنسبة لما قاله الإمام ابن العربي رحمه الله .

2 ـ **التجلّي** : وهو ما يرمز له ابن عربي دائماً «بالنور» وهي ظهور نوراني للذات الإلهية وصفاتها ، وللأمور الروحية والإلهية .

3 ـ **المشاهدة** : وتحصل إذا ما طويت الحجب ، وأشرقت النفس بأنوار علوية ، بحيث لم يبقَ إلا المشاهدة .

وبالنتيجة فإن ابن عربي يحلل ذلك تحليلاً فلسفياً ، ويعتبر المعرفة هبة من الله وكرامة . وليست من اكتساب العبد . ومنه قوله : ﴿واتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة : 282] .

ثانياً : وحدة الوجود :

يكاد الإجماع ينعقد على أن القول بوحدة الوجود لم يظهر في صيغته المتكاملة إلاّ على يد ابن عربي عام 628هـ من المغرب إلى المشرق وكذلك عبد الحق بن سبعين وقد اعتنق المستشرق الإسباني «آسين بلاثيوس» بتتبع المدارس الصوفية الفلسفية السابقة على ابن عربي والتي كانت صورة أولية لمدرسة ابن عربي في وحدة الوجود فتحدث عن ابن مسرة المتوفى عام 381هـ وكيف أثر بآرائه على فلاسفة التصوف في الأندلس[1] .

فالوجود كله ـ حسب قول ابن عربي واحد ووجود المخلوقات عين وجود الخالق والعقل القاصر هو الذي لا يدرك أن لا فرق بين الوجودين . ويستند إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿يا أيُّها النَّاسُ أنتمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ ، واللهُ هوَ الغنيُّ الحَميدُ﴾ [فاطر : 15] . وهذا ما وضحه في الفتوحات المكية .

وقال :

فــلا تفـرّ ولا تركن إلى طلبٍ فكــل شيء تــراه ذلــك الله

ثالثاً : القول بوحدة الأديان :

كان الحلاج أول مَن نطق بهذه الفكرة إلى أن تبناها ابن عربي مضيفاً طريقته وأسلوبه في التعبير عنها .

منطلقاً من قوله : ﴿فأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة : 15] وذلك أن جميع الأديان السماوية وكذلك جميع العقائد الأرضية هي سمات خارجية لحقيقة إيمانية

---

1 انظر التصوف الإسلامي ، ص 345 ؛ الفكر الصوفي ، عبدالرحمن عبد الخالق ، ص 115 ؛ ومحيي الدين ابن عربي ، يحيى شامي ، ص 19 .

واحدة كل منها يؤدّي عباداته بطريقة مختلفة . وقال شعراً :

عقــدَ الخلائق في الإلــه عقائداً   وأنا شهدتُ جميع ما اعتقدوهُ[1]

رابعاً : الحقيقة المحمدية :

وهذه أيضاً أطلقها الحلاّج وسماها النور المحمدي وأنه أشرق قبل أن يكون الخلق ، ومنه استمدّ الأنبياء هديهم ، والأولياء معارفهم .

وابن عربي يعبر عنها بأنها النور الإلهي السابق عن كل ما خلق من فيض نوره .

مؤلفاته :

فقد بلغت على حدّ قوله في مذكرة كتبها عن نفسه نحواً من مائتين وتسعين وثمانين أثراً بين رسالة وكتاب[2] ، وذكر الشعراني في اليواقيت والجواهر أنه خلف نحواً من أربعمائة كتاب . وأبرز ذلك الفتوحات المكيّة ، رسائل ابن عربي ، فصوص الحكم ، الديوان . **تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك**[3] وهو كتابنا هذا . وهو بهذا الكمّ يعدّ في طليعة مؤلّفي الإسلام المتفلسفين .

وبالرغم من الانتقادات الشديدة والاتهامات التي توجه لفلسفة ابن عربي ونظرياته ، فإنها تبقى إرثاً ثقافياً وظاهرة تتميّز بمناخية إبداعية رائعة ، وهذا ما يدفعنا إلى الاهتمام بكل ما يصدر عن الإمام الأكبر ابن عربي رحمه الله .

وفاته :

وبعد هذا كله تطوى صفحة هذا الإمام لأن كلَّ نفس ذائقة الموت . في عام 638هـ/1240م .

﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾ .

---

1 انظر الفتوحات المكية (132/3) .

2 وقد ذُكر في مقدمة كتاب شجون أنها بلغت (586) وقيل : (469) . انظر شجون المسجون وفنون المفتون ، ط1 ، دمشق : دار سعد الدين ، ص 63 .

3 هكذا روي في المعاجم وورد اسمه «تنزل (تنزّلات) الإملاك للأملاك في حركة الأفلاك» . انظر مقدمة شجون رقم (64) . ولكن اسمه كما صرح به مؤلفه ، ص19 «تنزل الأملاك للأملاك في حركات الأفلاك عن أوامر صفات العلام الإله المالك القهار الفاتح عن أرباب الألباب الصافات عند الباب ، لسرائر صلوات أيام الليل الحالك والنهار الواضح» . (انظر الكتاب ، ص 19) .

تحقيق اسم هذا الكتاب :

ذُكر لهذا الكتاب أسماء مختلفة بين زيادة أو نقص . فمنها : «تنزل الأملاك من عالم الأرواح في الأفلاك» . «. . . . . إلى عالم الأفلاك» ؛ أو لطائف الأسرار[1] ، أو التنزلات الموصلة[2] ؛ ولكن بعد البحث فإن اسمه الحقيقي هو : «تنزل الأملاك في حركات الأفلاك»[3] أو التنزلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية[4] .

وبعد الإصلاع على هذا الاختلاف فإنني أرجح بأن اسمه «التنزلات الموصلية» لأن ابن العربي ذكره كثيراً في أهم كتبه : «الفتوحات المكية» واستشهد بعبارات منه وهذا يدل من جهة أخرى على أن «التنزلات الموصلية» ألّفه قبل «الفتوحات» . وكذلك ذكره بهذا الاسم في «التجليات الإلهية» وكذلك «تنزل الأملاك في حركات الأفلاك» بـ«كشف الظنون» وهذا مما دعاني أن أطلق عليه جمعاً بين الاسمين .

علماً أن أول طبعة لهذا الكتاب سنة (1380هـ) .

مميزات هذه الطبعة :

تتميّز هذه الطبعة عن غيرها بأشياء عدّة منها :

أولاً : أنني قمت بقراءة جميع النسخ المطبوعة وبعدئذٍ أثبت ما يقتضيه السياق وبهذا انتفت جميع الكلمات الغامضة والتي كانت تشكّل إشكالاً في فهم العبارات .

كما أثبت ما يحتمل الوجهين ووضعته في الحاشية تحت عنوان «في رواية» .

---

1 لأن المؤلف قال في ص 21 هذا الكتاب أودعتُ فيه لطائف الأسرار وأضواء علوم الأنوار . وكذلك ذكر منه الباب الرابع تحت اسم «لطائف الأسرار» ، ص 128 .

2 ذكره الإمام الشعراني في كتابه : «اليواقيت والجواهر» انظر ص 16 . ولكن بدون الياء «التنزلات الموصلة» .

3 انظر كشف الظنون (2/440) ، قال بشأنه : رسالة أوله : الحمد لله الذي وصف الإنسان بما وصف به نفسه . . .» .

4 انظر الفتوحات المكية (1/170 ، 351 ؛ 2/513) ، وفهرس مصنفات ابن عربي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلة 29/عدد 3 ، سنة 1954) ، رقم (267) ، وشجون المسجون وفنون المفتون ، رقم (267) ، ص21 .

ثانياً : قابلت هذا الكتاب على كتب ابن عربي رحمه الله التي تعتبرُ كالميزان مثل الفتوحات المكية والكتب الأخرى . ليكون هذا الكتاب سداً منيعاً في وجوه خصوم ابن عربي .

ثالثاً : قمت بتخريج الأحاديث والآيات .

رابعاً : شرحت الكلمات الغامضة والمصطلحات الصوفية وترجمت للأعيان المذكورة .

وبناء على ما سبق فإن هذه الطبعة فريدة ، بمضمونها وإخراجها الفنّي .

نوّاف الجرّاح

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي وصف الإنسان بما وصف نفسه[1] ، ومنعت الحقيقة الكيفيّة ، وفطره على الصورتين اللفظية والمضافة المعنوية ، ثم سماها بما سمي به ذاته . فقال : ينفي المثلية ، فمحا عين ما أثبته ، فحيّزه بين الأدلة العقلية ، والبراهين الوضعية ، ثم صلى عليه قبل صلاته ولا قبليه ، وجعل صلاة الكرم بعد صلاة الجود ، بين صلاته وسؤاله في صلاته ولا بينيه ، وقيّد له مناجاته بالأوقات ، وناجاه في مقام آخر من غير ميقات ، ليجمع له بين رسله ، ويسلك به على جميع سُبله ، فكشف له عن المقام المحمدي[2] ، في حضرة ذاته فرآه ، وأشهده حقيقة المقام الموسوي[3] في حضرة صفاته ، فوعى ما به ناجاه ، فلما تقدمت صلاته ، وجب أن يبدأ بحمده ، قبل عبده ، لنفسه ولعبده ، وأن يفي بوعده لخلقه قبل وفائهم له ، لقدسه في صدق وعده ، فأشهده سبحانه وتعالى ربوبيته ، قبل تكليفه إياه فقال تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى﴾ [الأعراف : 172] . ثم لما أراد جل ثناؤه تمحيصهم وابتلاءهم ، سجنهم في محلٍّ[4] مصيره إلى الخراب

---

1 وذكر في كشف الظنون (440/2) «وصف به نفسه» .

2 المقام المحمدي : هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها وإليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات وهو لرسول ﷺ ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة ، وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض . وقال ﷺ : «أنا سيّد الناس يوم القيامة» .

3 المقام الموسوي : هذا من مقامات التنزيه إذا دخلتها الروحانيات العلى اكتسبت من أحوال التنزيه الإلهي ما لا يعلم قدره إلا الله وحصل لهم من الخضوع والخشوع والذلة والافتقار ما لم يكن لهم قبل دخولهم ومن هذه الحضرات . وفي هذه المقامات يحصل لهم رؤية وجه الحق في كل شيء على التمام والكمال . (انظر الفتوحات 582/2) .

4 المحل : هو مرحلة البرزخ ، أي القبر لأن المخلوق يرجع إلى أصله وهو التراب إلا مَن استثناهم الله .

والبلى ، فأفاض من وجوده الأزلي ، بجوده الأقدسي ، على وجوده الأبدي ، فيضاً أظهر عن ذلك الفيضُ الأنزه ، على هذا الوجود الأنوه ، إبراماً ونقضاً ، ورتقاً وفتقاً ، ورزقاً وخلقاً ، وبسطاً وقبضاً[1] . وكلّ قسم من هذين القسمين : وجودٍ محَقّق ، عن فيض جودٍ مطلق ، فليس إلاّ الإيجاد الفيضُ مع الأنفاس ، والإرفاد[2] المحض إلى جميع الأجناس ، ولا سبيل إلى وصف المقام الأقدس بالمنع ، فإنه عدمٌ ، وتسود[3] شبهاته براهين القدم ، فأودعَ الأسرار الأول المالكة مفاتيح الأزل ، الأرواح الأمناء ، وأنزلهم بها باسمه الفتّاح[4] ، في أرض الأشباح خلقاً ، ولذلك قال تعالى : ﴿كانتا رَتْقاً ففَتَقْناهُما﴾ [الأنبياء : 30] يعني الأرض والسماء ، لمّا أشهدهم حقائق المسميات فعلّمهم الأسماء حين عميت عنها الأرواح الملكيّة التي لم تتخذها الأجسام خلقاً ، ثم انقلبوا إليه سبحانه وتعالى بعد طول الصحبة ، لهذا الهيكل ، عنصر الظّلمة ، بما اكتسبوه فيه علماء فبقيت بعدهم هذه النشأة الترابية ، أرضاً موحشة بيداء[5] ، لا ظلّ فيها ولا نفس ولا ماء ، فغيّبت عن البصر في الحفر ، لوجود الضرر في البشر ، حكمة علوية غرّاء ، ليردّهم إليها على صفتين : صفة واضحة بيضاء ، وصفة كالحة[6] سوداء ، لمّا جعل في جنسها الأول مناقب المعارف والحكم ، موقوفة على ارتفاع الهمم ، وجعل مثالب الجهالات والظلم في محال الشكوك والتهم ، فتركها لحماً على وضم[7] ، وذلك لتصح اليدان بالبعد والقرب ، وتثبت القدمان بالتواضع والعجب ، وتحقق القبضتان بالكشوفات والحجب ، ويعلم شرف الإنسان

---

1 القبض : حال الخوف في الوقت . وقيل : واردٌ يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب وتأديب ، وقيل : أحد وارد ولا يسعه شيء . وقيل : هو حال الرجا . وقيل : هو واردٌ توجبه إشارة إلى قبول ورحمةٍ وأنس . (الرسائل : 531 ، 532) .

2 الرفد : العطاء .

3 وفي رواية: «وترد» .

4 الفتّاح : اسمٌ من أسماء الله معناه : هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، قاله ابن الأثير . وقيل : الحاكم بينهم . (لسان : 86/5) .

5 البيداء : موضع بين مكة والمدينة ، وقال الأزهري : بين المسجدين أرض ملساء اسمها البيداء . (لسان : 277/1) .

6 الكلوح : تكشر في عبوس ، وقال ابن سيده : بدو الأسنان عند العبوس.

7 الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يُوقى به من الأرض . (لسان : 455/6) .

بتحصيله أسرار الشرق والغرب ، على سائر الأكوان ، من العالم الملكي والفلكي والطبيعي ، الجامع للحار والبارد ، واليابس والرطب . أحمدُه سبحانه حمدَ من قهره العزّ ، فردّه حمده إليه ، وأشكره شكر من قام به العجز ، فأعاد شكره عليه ، فتسامى على كل حمدٍ وشكر ، حمدُه وشكره ، وتعالى على كلّ عرفان ونكر عرفانه ونكره ، لّما رأى أنّ رفيقه القديم ، أولى بالتقديم في ذلك ، فكان بهذا القدر عند أهل القدر السيّد المالك . والصلاة على من فرضَتْ علينا الصلاة عليه ، فبقيت ألباب المحققين حائرة ، فيما وهبه واهب العقل ، حين نظرت بأعين بصائرها فيه ، وبأعين أبصاره إليه . فصلّت عليه في حال الفناء ليتولّى تلك الصلاة مفرضها مانح السَّنا والسَّناء صلى الله عليه ، وعلى آله ، ما دام تعطُّش هذه الأرض لما أودع الله من غذائها في هذه الجرباء[1] .

الحمد أقل ما افتتحتُ به الكلام ... لله كـون ذاتـي في التّمـامْ
ثم استمر الجـود منـه بحضرتي ... يسدي فيظهر ما أريدُ على الدوام
ثمّ الصّلاة على الرّسول وآلـهِ ... أهـل المقامات المعظّمة الجسام
ما دامت الأفلاكُ تسري والورى ... متكونـاً عن سيرها ثمّ السلام

[أما بعد] فهرستُ أبواب الكتاب المحكم ، أودعتها أسماء ما أنا ذاكره فيه ، وما يعطيك من أسرارها ، بعبارة تبدي الذي أنا ساتره .

الباب الأول ـ في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً .

الباب الثاني ـ في بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء .

الباب الثالث ـ في معرفة المكلِّف والمكلَّف .

الباب الرابع ـ في معرفة التكليف .

الباب الخامس ـ في معرفة سبب وضع الشريعة [في العالم][2] ، ومعنى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كان في الأرْضِ ملائكةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لنزّلنا عَلَيْهِم مِنَ السماءِ ملكاً رسولاً﴾ [الإسراء : 95] وقوله : ﴿وإنَّ مِن أمّة إلاّ خلا فيها نذيرٌ﴾ [فاطر : 24] .

---

1 الجرباء : اسم من أسماء الدنيا ، سميت بذلك مما فيها من الكواكب ، كما قيل للبحر أجرد ، وكما سموا السماء أيضاً رقيعاً لأنها مرقوعة بالنجوم . وقال ابن الأعرابي : الجارية المليحة . (لسان : 398/1) .

2 هذه الزيادة من صفحة 31 من الكتاب .

الباب السادس ـ في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ [الأنعام : 9] وقوله تعالى : ﴿لنزّلنا عليهم مِنَ السماء ملكاً رسولاً﴾ [الإسراء : 95] ولم يقل : رجلاً .

الباب السابع ـ في بيان مقام الرسالة ، ومقام الرسول ، من حيث هو رسول ، ومن أين نودي ؟ وأين مقامه ؟ والفرق بين الخلافة والرسالة ؛ ومعرفة النبوة والولاية ؛ والإيمان والإسلام ؛ والعالم والجاهل ؛ والظانّ والشّاك والناظر ؛ والمقلّدين لهم .

الباب الثامن ـ في معرفة تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها .

الباب التاسع ـ في معرفة الرسالة الثانية الموروثة من النبوة ، ومعنى قول النبي ﷺ : «العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ»[1] وقوله : «علماءُ هذه الأمة أنبياءُ سائر الأمم» وكان معاذ وغيره ، رسول رسول الله ، إلى من أرسل إليهم ، ولماذا ترك ذكر الواسطة ، وقيل : رسولَ الله ، وكان يأخذ عن جبريل ، ولم يُقل في معاذ وغيره رسول الله ، وقيل فيه رسولُ رسول الله .

الباب العاشر ـ في بيان السبب الذي دعاني إلى أن أذكر : أني أختص في هذا الكتاب في العبادات الصلوات الخمس دون غيرها .

الباب الحادي عشر ـ في معرفة علة أسماء الصلوات الخمس والتنبيه على ما في كيفياتها من الحِكم والأسرار على طريق الإجمال .

الباب الثاني عشر ـ في معرفة شروط الإمام .

الباب الثالث عشر ـ في معرفة شروط المأموم .

الباب الرابع عشر ـ في معرفة الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به .

الباب الخامس عشر ـ في معرفة سبب التعميم في غسل الجنابة وتخصيص الأعضاء في الطهر من الحدث الأصغر .

الباب السادس عشر ـ في معرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمة والعجز والهاجس .

---

1 انظر كنز العمال رقم (28679) وكشف الخفاء (2/22 ، 83) وأبو داود (3641) ، والترمذي (2682) ، وابن ماجه (223) وابن حبان في صحيحه (88) من حديث أبي الدرداء ، وإحياء علوم الدين (1/20) .

الباب السابع عشر ـ في معرفة غسل اليدين ثلاثاً ، ووصف المياه والأواني في كل صلاة .

الباب الثامن عشر ـ في معرفة أسرار صبّ الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين .

الباب التاسع عشر ـ في معرفة أسرار الاستنجاء .

الباب العشرون ـ في معرفة أسرار الاستجمار .

الباب الحادي والعشرون ـ في معرفة أسرار المضمضة .

الباب الثاني والعشرون ـ في معرفة أسرار الاستنشاق والاستنثار .

الباب الثالث والعشرون ـ في معرفة أسرار غسل الوجه .

الباب الرابع والعشرون ـ في معرفة أسرار غسل اليدين إلى المرفقين .

الباب الخامس والعشرون ـ في معرفة أسرار مسح الرأس .

الباب السادس والعشرون ـ في معرفة أسرار مسح الأذنين .

الباب السابع والعشرون ـ في معرفة أسرار غسل الرجلين .

الباب الثامن والعشرون ـ في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء .

الباب التاسع والعشرون ـ في معرفة أسرار الانصراف من الوضوء إلى الصلاة .

الباب الثلاثون ـ في معرفة أسرار طهارة البقعة والثوب للصلاة فيهما .

الباب الحادي والثلاثون ـ في معرفة إقامة الصلاة .

الباب الثاني والثلاثون ـ في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة .

الباب الثالث والثلاثون ـ في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة .

الباب الرابع والثلاثون ـ في معرفة أسرار التوجيه إلى الصلاة .

الباب الخامس والثلاثون ـ في معرفة أسرار الوقوف في الصلاة .

الباب السادس والثلاثون ـ في معرفة الفرق بين القراءة والفاتحة والسورة .

الباب السابع والثلاثون ـ في معرفة أسرار الركوع وما يختص به من التسبيح .

الباب الثامن والثلاثون ـ في معرفة أسرار الرفع من الركوع وما يقال فيه .

الباب التاسع والثلاثون ـ في معرفة أسرار الهوى إلى السجود .

الباب الأربعون ـ في معرفة أسرار السجود وما يختص به من التسبيح والدعاء وقوله تعالى : ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق : 19] ولم يقل : تقترب ، وسبب عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان .

الباب الحادي والأربعون ـ في معرفة أسرار الرفع من السجود .

الباب الثاني والأربعون ـ في معرفة أسرار الجلوس في الصلاة .

الباب الثالث والأربعون ـ في معرفة أسرار التشهد في الصلاة .

الباب الرابع والأربعون ـ في معرفة السلام من الصلاة .

الباب الخامس والأربعون ـ في معرفة أسباب السهو والسجود له .

الباب السادس والأربعون ـ في اختصاص الإمام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب السابع والأربعون ـ في اختصاص المأموم بيوم الاثنين وما يظهر فيه من سوء الانفعالات .

الباب الثامن والأربعون ـ في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب التاسع والأربعون ـ في اختصاص الظهر بيوم الخميس ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب الخمسون ـ في اختصاص المغرب بيوم الجمعة ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب الحادي والخمسون ـ في اختصاص الصبح بيوم السبت ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب الثاني والخمسون ـ في أن يوم السبت هو يوم الأبد وهو يوم الاستحالات .

الباب الثالث والخمسون ـ في بيان الصلاة الوسطى أي صلاة ، ولماذا سميت الوسطى .

الباب الرابع والخمسون ـ في معنى قوله تعالى : ﴿والَّذينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ دائِمُونَ﴾ [المعارج : 23] لماذا يرجع وهو آخر الأبواب .

الباب الأول

1 ـ في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً

هـذا كتـابُ تنزّل الأمـلاكِ ‏ من عـالَم الأرواحِ في الأفلاكِ
عن أمرِ وصفِ العالم الآل الذي ‏ قهـرَ الورى بجسامـه الفتّاكِ[1]
يـا مالكاً افتـح الخزائن جودِه ‏ لإقامـة الأعـراش والأمـلاكِ
بينَ العقولِ وبين حضرةِ ذاتـه ‏ العامـلات السـادة النسّاكِ[2]
صَفت لدى بـاب النُّهى أقدامَها ‏ كسرائـرِ الأضـواء والأمـلاكِ
وعلـوم أيـام الوجـود وليله ‏ عنـدَ المناجـــاة اشراكِ[3]

هذا كتاب أودعت فيه «لطائف الأسرار ، وأضواء علوم الأنوار» فهو مبنيّ على اللغز والرمز ، ليتحقق المدعي في مناجاة ربه ، عند وقوفه على هذه النتائج ، بالحصر والعجز . وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية في هذه الألغاز الخطابية ، غيرة من علماء الرسوم[4] ، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم ، كما ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وجعل غشاوة على أبصارهم ، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمة ، ولم يميزوا في قلوبهم بين اللَّمَّة واللَّمة[5] ، تأسّياً بمن أخذ مثل هذا العلم ، من النبيّ المعصوم

---

1 الآل : رفع الصوت بالدعاء .

2 النسك : العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى ، وقال تغلب : كل حقّ لله عز وجلّ يسمى نُسكاً . (لسان : 179/6) .

3 وفي رواية : «بالأشراك» .

4 علماء الرسوم : هم الفقهاء .

5 وفي حديث ابن مسعود قال : لابن آدم لمتان : لمة من المَلَك ، ولمة من الشيطان ، فأما لمة الملك فاتعاد بالخير وتصديق بالحق ، وتطييب بالنفس ، وأما لمّة الشيطان فاتعاد بالشر والتكذيب بالحق وتخبيث بالنفس . وفي الحديث : فأما لمّة الملَك فيحمد الله عليها ويتعوّذ من لمّة الشيطان . وابن عربي يقصد هنا أن هؤلاء جهلاء لا يميزون بين الخير والشرّ . (لسان : 525/5) .

وقال : لو بثته قطع مني البلعوم . وكما قال عليّ رضي الله عنه ، حين علم النقلة : إنّ هاهنا ـ وضرب على صدره بيده ـ لَعلوماً جمَّة ، لو وجدتُ لها حملة [. . .] وكما قال ابنه الذكي الحبر الكبير السنّي[1] :

يا ربُّ جوهر علـمٍ لَو أبوحُ به لقيـل لي أنت ممّن يعبد الوَثنا[2]
ولاسْتَحَلّ رجالٌ مسلمون دمي يرونَ أقبحَ مـا يأتونَـه حَسَنا

فبهؤلاء السادة[3] في ستري لهذه العلوم تأسيت ، وبهم فيها اهتديت ، وسميت هذا الكتاب «وتنزُّل الأملاك للأملاك[4] ، في حركات الأفلاك عن أوامر صفات العلام الإله المالك ، والقهار الفاتح على أرباب الألباب ، الصافات عند الباب ، لسرائر صلوات أيام الليل الحالك ، والنهار الواضح» .

وربما يقول ، بعض من لا معرفة له بطريق الحقائق ، التي هي نتيجة التصوّف[5] ، ولا علم له بصورة التجارب فيها ، ولا التصرف في إطالة اسم هذا الكتاب ، إنه قشر على غير لباب ، وترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم ، فاعلم وفقك الله تعالى أنَّ غرضي البيان الشافي في كل ما أصنفه ، والقول الكافي في كل ما أولفه ، فما جعلت في ترجمة الكتاب لفظة ، إلا لمعنى فيه نودعُه ، وسر لديه يستودعه .

فقولي : «تنزّل الأملاك» لأنهـا الآمـرة عن الله قلوبنا بضروب الطاعات ، وقـولي : «الأملاك» لالتحام النشأتين ، وانتظام الصورتين ، بفنون الاستمتاعات ، وقولي : «في حركات الأفلاك» لارتباط الصلوات والتنزلات بالساعات ، وقولي : «عن أوامر» لتعدد التنزلات ، وقولي : «صفات»[6] لبيان حقيقة الذات ، ولم أقل : «صفة» لأنها عن العلم ، والقول والإرادة ، المتوجهات مع القدرة ، على إيجاد الكائنات ، وقولي : «العلام» لكونه

---

1 المقصود بابنه هنا : «ابن عربي» رحمه الله . ؟! الأصح أن المقصود هو سيدي علي بن الحسين (ع)
2 أي أن علماء الظاهر مما لا علمَ لهم بجواهر العلوم يقولون عن هؤلاء العارفون بأنهم مشركون .
3 السادة : أهل الولاية والعارفون بالله .
4 المقصود بالأملاك الأول جمع ملك وأراد بالأملاك الثاني من الملوك جمع ملك هم مسخرون والمسخر لا يستحق اسم الملك . (انظر الفتوحات المكية ، دار صادر ، 339/1) .
5 نتيجة التصوف : هي تزكية النفس ، وتصفية الأخلاق بأن تكون حميدة ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية . وفي رواية : «التصرف» وهو تصحيف .
6 أي لأن لله صفات متعددة وكل صفة توصلك إلى الله كما قال البيهقي .

من الأسماء الإحاطيات ، وقولي : «الأل» لكون الأرواح الإنسانية ، «ومن الملكوتيات» لأنّ دلالة الإله ملكية ، ودلالة الله بشرية ، هكذا صرفته الكلمات ، فعبد الله ، وعبيد الله ، في الأرض ، نظير مكائيل في السموات ، وجبرائيل في سدرة الانتهاءات[1] ، وقولي : «المالك» حذراً من دعوى العبد الملك[2] لما يحصل له في السعادات ، وقولي : «القهار» لإخراج الإرسال بالقهر عما وجب لها من المقامات ، وقولي : «الفاتح» لنزولهم على شرح الأفلاك المستديرات ، وقولي : «على الباب»[3] لكون هذا التنزيل من العقول المفارقات ، وقولي : «الأرباب» لأنه لا يتفطّن لتنزلهم على القلوب ، سوى السادات ، وقولي : «الصافات» لكونها طالبة للمشاهدات ، وقولي : «عند الباب» لكون حجاب العزة ، لا يرتفع عن حقائق الإلهيات ، وقولي : لسرائر[4] لإرادتي السريرة الموجودة ، بين الله تعالى ، وبين العبد في الصلوات ، وقولي : «صلوات» لأن لكل صلاة ضرباً من المناجاة ، وصنفاً من الكرامات ، وقولي : «أيام» إشارةً للفرق بين هذه الأيام المعهودات ، والأيام المقدّرات ، وقولي : «بالليل الحالك ، والنهار الواضح» ، لأن الليل والنهار للمحسوسات المستترات ، والظاهرات المرئيات ، والحالك والواضح ، للإشارات المغيّبات ، والعبادات المستنيرات .

وهذا كلّه في كتابي أذكره وأبنيه وأسطره ، وعلى ترتيب هذه الكلمات ، أتكلم رغبة في المثوبات[5] ، ورفع الدرجات ، وحط الخطيئات ، فهذا التنزل بحمد الله تنزل

---

1 سدرة الانتهاءات : لا يستطيع أحد أن ينعتها وإذا كان هذا فكيف يصف أحدٌ حقيقتها وينظر منها على الرفرف حيث الملأ الأشرف ، فإذا النداء من الأعلى ، من لك بالرفارف العلى ، وبينك وبينها الكرسيّ الكريم ، الذي يُعرف به كل أمر حكيم ، هو حضرة الأدب لأهل الهمم والطلب ، إليه ينزل الواصلون ، وعنده ينتهي المحجوبون ، لأن الذي أوتى جوامع الكلم ، وما زال على أن قال فغشاها من نور الله ما غشى . (الرسائل : 194 ، 195) .

2 وفي رواية : «للمُلْك» .

3 لعلها أرباب .

4 زيادة يقتضيها السياق ، انظر ص 22 . والسرّ : يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به ، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه ، وسرّ الحقيقة بإزاء ما تقع به الإشارة . ويحذر على صاحب السرّ البوح به . (المصطلحات الصوفية : 553) .

5 المثوبات : هو جزاء الخير يوم القيامة .

قدسي ، يقبله عقل ندسي[1] ، يستره ثوب سندسي[2] ، يتعلق به خاطر نفسي ، يظهره قلب حسي[3] ، ثم يرجع عوده على بدئه لقيام نشء[4] آخر مثل نشئه ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف : 29] ، و﴿لقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ [الواقعة : 62] فليس لعلم اللبيب ، سوى تركيب ، وتحليل لتركيب .

2 ـ بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء

إذا نـزل الروحُ الأمـينُ على قلبـي تضعضعَ تركيبي وحـنَّ إلى الغيبِ[5]
فأودعنـي منـــه علومـاً تقدّست عن الحدس والتّخمين والظنِّ والرَّيبِ[6]
ففصّلتِ الإنسانَ نوعـين : إذْ رأت يقومُ بـه الصفوُ النَّزيهُ مع الشَّوبِ[7]
فنوعٌ يرى الأرزاقَ من صاحب الغيب ونوعٌ يرى الأرزاق من صاحب الجيبِ
فيعبـد هـذا النـوع أسبـاب ربِّـه ويعبـدَ هـذا خالـقَ المنـع والسَّيبِ
فهـذا مـعَ العقـل المقدَّسِ وصفـهُ وهـذا مـع النَّفس الخسيسة بالعيبِ

لعلك يا ولي ، إذا سمعتني أقول : تنزل الروح الأمين على القلب تنكر وتقول : أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟ لا تفعل أعاذنا الله وإياك من وحي ، كل شيطان غويّ ، إنما هو عبارة في العامة عن اللَّمَّة الملكيَّة ، وفي الخاصة عن الحديث . كما ورد في

---

1 الندس : الصوت الخفي ، ورجل نَدْس ونَدُس ونَدِسٌ أي فهم سريع السمع فطن . وقال يعقوب : هو العالم بالأمور والأخبار . (لسان : 162/6) .

2 السندس : رقيق الديباج ورفيعه . وهو معرّب . (لسان : 348/3) . وهذه الجملة في رواية : «عقل ندسي سيره سندسي يتعشق» .

3 حسي هنا بمعنى حساس .

4 في رواية : «شيء» . وما أثبتناه هو أقرب للصواب .

5 الروح الأمين : هو جبريل . والشيخ يقصد به هنا كلّ الملائكة لأنهم كلهم أرواحٌ أمناء .

6 الحدس : السرعة والمضيّ على استقامة . التخمين : الوهم والظن ، والقول بالحدس قال أبو حاتم : هذه كلمة أصلها الفارسية عربت وأصلها من قولهم خُمانا على الظن . (لسان : 161/5) .

7 الشوب : الخلطُ ، قال أبو ذؤيب :

وأطيب براح الشام ، جاءت سبيئة معتّقـة صرفـاً ، وتلك شيابهـا

(لسان 489/3) .

صحيح الحديث ، في القديم والحديث ، قال خير البشر ﷺ[1] : «إنَّ في أمَّتي محدِّثين ، وإن منهم عمرُ» وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام[2] : «في قلب العبد أن يتصرَّف بين لَمَّة المَلَك ، ولَمَّة الشيطان» ثم كنى أيضاً ، عن هذا التصريف والتقليب بالإصبعين ، وأضافهما إلى الرحمن ، فما زالت الملائكة تتعاهد القلوب ، بأسرار الغيوب ، وهي التي تأمرك بالطاعة ، والتزام السُّنة والجماعة ، حين تأمرك الشياطين بلمّتها ، فإن لم تسمع لها ، أمرتك بالتسويف أو الموافقة ، وتتنوّع تنزلات الغيوب ، بتنوّع استعدادات القلوب ، ولا تظنَّ ـ أيها الخليل ، أنني أعني بالروح الأمين جبريل ، فإن الملائكة كلّهم أرواح أمناء ، على ما أودعها الله من أصناف العلوم الموقوفة على التوصيل ، تارة بالإجمال ، وتارة بالتفصيل ، ولا بد أن يكون صاحب التنزلات الغيبية عارفاً بالخواطر[3] وأجناسها وعالماً بالروائح وأنفاسها ، فلا يتصور إنكار فيما أذكره بعدما قررناه من اللَّمَّة والحديث ، إلاّ من معاند خبيث ، متَّعنا الله وإياكم بنتائج الأذكار ، وعصمنا وإيّاكم من أغاليط الأفكار ، وقدس قلوبنا من دنس التعصب والإنكار ، على ما يظهر من المتقين الأبرار ، من غوامض العلوم والأسرار .

---

1 رواه البخاري (3689) من حديث أبي هريرة : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يكُ في أمتي أحد فإنه عمر» ورواه مسلم (2398) من حديث عائشة .

2 فمن آمن بالأنبياء ، وصدق بالرؤيا الصحيحة ، لزمه لا محالة أن يقرَّ بأن القلب له بابان ، باب إلى خارج وهو الحواس ، وباب إلى الملكوت من داخل القلب ، وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي ، فإذا أقر بهما جميعاً ، لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة ، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه . وهذا من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . (أحياء علوم الدين ، طبعة دار صادر ، 3/31)

3 وفي رواية : «بالمتنزلات وأصنافها» .

الباب الثاني

1 ـ في معرفة المكلِّف ـ سبحانه وتعالى ـ والمكلَّف

تحقَّق إذا مـا قلتَ إنّـي مهيمنٌ بأنّـك عبـدٌ والإلـه إلـهُ
إن كنتَ مخلوقاً على الصورة التي تُقابلـه حقّـاً فلستَ تـراهُ
فإنَّـك لا غيرٌ ولا أنـتَ مثلُـه لأن سجـدَتْ لله منـك جباهُ
وإنْ قلت بالمعنـى اتَّحدنـا فإنّـه يقـومُ دليـلُ الافتقـار حِذاهُ[1]
فـلا أنت مَنْ أكني ولا أنتَ غَيرُه فقد حـرتَ فيه إن شهدت سواهُ
لئـن قُلتَ إنّي أصلُ ظُلمةِ ذاتـه فقَـد قلتَ وقتـاً : في سنايَ سناهُ
فقد حار في مثلي وقـد حرت مثلَه وقـد حارتِ الحيراتُ حين محاهُ
وأصدقُ مـا تعطيه ذاتي وذاتُه على حيرتـي فيـه لسبق عمـاهُ
بأنّـي وإيـاه عزيـزٌ وضـدّه فليس يبـين الليـلَ غيرُ ضحاهُ
تعجبتُ من تكليف مـا هوَ خالقٌ لـهُ ، وأنـا لا فعـلَ لي فأراهُ
فيا ليتَ شعري من يكون مكلفاً ومـا ثـمَّ إلا الله ليس سواهُ
رمزتُ المعاني في قريضي[2] فموهت أغاليـط لفظـي فـاحتمي بحماهُ

صعد الكلم الطيب ، على براق[3] العمل الصالح ، بالعقل الراجح لمعرفة المكلِّف والمكلَّف بطريق الكسف الصريح الواضح ، باستعمال موعظة الفصيح الناصح ، فبين

---

1 وبهامش الأصل أخذنا وإن قلت . . . . وهذا من الأدلة التي يرد على الخصوم بها بأنه رحمه الله لا يقول بالاتحاد .

2 القريض : الشعر وهو الاسم كالقصيد ، والتقريض صناعته ، وفي قول عبيد بن الأبرص : حال الجريض دون القريض : الجريض الغصصُ والقريضُ الشعر . وهذا من الأمثال .

3 البراق : وهو الدابة التي ركبها ﷺ ليلة الإسراء ، سمي بذلك لنصوع لونه وشدّة بريقه . (لسان : 195/1) .

الروح الأمين ، عن الأمر ، على القلب ، ليكشف له عن سر ما طلبه ، في عالم التمثُّل والغيب ، بارتفاع الحجب ، وإعدام ظلم الريب ، وقال : لتعلم أيها القلب الكريم ، أن الحقيقة الإلهية تعطي أمرين ، ولهذا صحت الصورة للإنسان وحده من دون غيره ، فأوجده نشأتين باليدين ، وأتاح له نجدين ، وأنزل عليه تكليفين ، حين قسم العالم قسمين ، في القبضتين ، فأخفاهما في الدنيا عن التمييز بالإضافة إلى شخص ما في العين ، وأبرزهما في الآخرة لذي عينين ، لما كانت الآخرة ذات دارين ، ولما كان الوجود على هذا الحدّ ، لذلك تعالى عند العلماء العارفين بالله الزوج على الفرد ، كما تعالى عند العارفين بالرب الوتر على الشفع [1] ، لأنهم أهل الجمع ، ولظهور الصورة المثلية مع الحقيقة الإلهية ، كانت مراتب لوجود أربعة ، فصار التربيع أصل هذه الأشكال المحكمة المرصعة ، وبهذه الصورة صحت الخلافة بالتقديم ، وبسببها امتدت إلى المحدث بالإيجاد والتكليف ، دقائق القديم ، وإن كان هذا موضع حيرة ، فقد نيطت بها الغيرة .

الــربّ حــقٌّ والعبــد حــقٌّ ... يــا ليتَ شعري مَــن المكلفْ
إن قلــتَ : عبــدٌ . فذاك ، مَيتٌ ... أو قلــتَ : ربٌّ . أنَّــى يكلف ؟

وكل ما ثبت في النظر الفكري من انبساط الحقائق ، فهو عند العلماء بالله بالكشف والمشاهدة من الأغاليط ، فالوتر : معقول غير موجود ، والشفع موجود لكنه محدود ، وغير محدود ، فالوتر مع الشفع كالهيولى [2] مع الصورة ، ولا توجد إلا بوجودها ، كما لا تعرف الصورة إلا بحدودها ، ولا أقول بشفعية الذات ، وإنما أقول باستحالة تعريها عن الصفات ، فإن العدد في الأحد لا يذهب بحقيقته ، ولا يخل بطريقته فنفي الشفع واجب من أهل الشرك والحد لازم لأهل الإفك [3] ، ولهذه الحقيقة الإلهية شرعت الصلاة كلها شفعاً ، ليس فيها وتر ، وإن وتر الليل يشفع صلاة المغرب ، فانظر يلح لك السر ، ولو لم يشرع الوتر الليلي ، لبطل بالمغرب هذا الوجود الإلهي ، ومحال أن يبطل الوجود الإلهي . فلا بد أن يشرع الوتر الليلي ، فلا يوجد الوتر في شيء أصلاً قطعاً وفصلاً ،

---

1 الشفع والوتر : قال عطاء : الوتر هو الله والشفع خلْقه . وقال ابن عباس : الوتر آدم شفع بزوجته . (لسان : 451/3) .

2 الهيولى : المادة التي خلقت منها أجزاء العالم المادية ، أي مادة الشيء التي يصنع منها .

3 الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب .

والفائدة المطلوبة في العقل والسمع ، إنما هي في الشفع ، ولذلك لا يرى في الوجود أبداً إلا صفة وموصوف ، ولا سبيل في الإيمان بهذا إلى الوقوف ، فهكذا ينبغي أن تعرف المربوب والرب ، ودع ما سودت به الكتب ، فيتحقق هذا الكشف[1] ، فإنه لباب العلم الصِّرف .

2 ـ في معرفة التكليف

أصل التكاليف مشتق من الكلفِ وهي المشقات فانظر فيه واعترفِ
فـإنَّ ربّـكَ يعطـي فعلـهُ أبداً لكلّ خلق وذا مـن أعظم الكلفِ
كالأمـر إن خالفت منـه إرادتهُ معنـاهُ صيرتِ المأمـورَ في التلفِ
والناس في غفلـةٍ عمّا يـراد بهم في كونهم ، وهي لم تنهض ولم تقفِ

تقسمت العوالم فتقسمت التكاليف ، وطمست[2] المعالم فجهلت التصاريف فعالم كلفتهم في أداء العبادة ، وعالم كلفتهم في حيرتهم في موافقة الأمر والإرادة ، وعالم كلفتهم في توجيه الخطاب الإلهي ، على هذا العالم الكياني ، مع رد الأفعال إليه ، واستحالة التكليف عليه ، فتاهت الألباب في هذا الباب ، واستوى فيه البصير والأعمى ، وزادهم في ذلك حيرة وعمى ، قوله تعالى : ﴿وما رمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمى﴾ [الأنفال : 17] لكن ثمّ رقيقة ، وهي لعمر التصوف دقيقة ، إنه ما وجد شيء إلا وفيه منه حقيقة ، اسمع يا مربوب رب القدم ، امتنع المحدث أن تقوم به حقائق القدم ، وامتنع القديم أن تقوم به حقائق الحدوث ،لئلا يتقدم على وجوده القدم ، لكن تبلى جميع الصفات ، وإلا فمن أين ظهرت المتضادات والمتماثلات والمختلفات ، وليس القدم بصفة إثبات عين ، ولا الحدوث بوصف إثبات كون ، لكن لما تعذرت الأسباب في الوجودين ، ولم يُمكن للمعلوم الواحد تحصيل المعرفتين ، وأراد تمام الوجود ليعلم من الطريقين ، فظهر في الاتحاد تكليف محقق ، وعناء لا يتحقق ، فظهرت بينهما برازخ[3] التكليف في مشهد

---

1 الكشف : تطلق بإزاء تحقيق الإنابة بالقهر ، وتطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال ، وتطلق بإزاء تحقيق الإشارة (الرسائل : 535) .

2 الطمس : الدروسُ والامحاء . ومنه قوله : ﴿ربّنا اطْمِسْ على أموالِهِم﴾ .

3 البرزخ : في اللغة الحاجز بين الشيئين . وفي الاصطلاح : العالم المشهود بين المعاني وعالم الأجسام . (الرسائل : 540) .

التخيير والتوقيف ، ولهذا جاء الخبر بالعماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء . فقال : ﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدونِ﴾ [الذاريات : 56] . قال ابن عباس[1] : ليعرفونِ ، فلو عرف نفسه بمعرفتهم دونهم ما أوجد عيونهم . فصح التكليف في القدم ، والخلق في حال العدم ، ومن هذه الحقيقة تكليف العباد ، وإن لم يكن لهم مدخل في الإيجاد ، عصمنا الله وإياكم من العناد ، وأمننا وإياكم من الفزع يوم التناد[2] بكرمه .

1 هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، حبر الأمه ولد بمكة ، وتوفي بالطائف (3ق.هـ-68هـ) . (الإصابة رقم 4781 ، 330/2) .

2 إشارة إلي قوله تعالى : ﴿ويا قومِ إني أخافُ عليكُمْ يومَ التّنادِ . يومَ تولّونَ مُدْبِرينَ ما لكُم مِنَ اللهِ مِنْ عاصمٍ ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما له مِنْ هادٍ﴾ [غافر : 32 ، 33] .

الباب الثالث

الشريعة[1]

1 ـ معرفة سبب وضع الشريعة في العالم

ومعنى قوله تعالى : ﴿قلّ لو كان في الأرضِ ملائكةٌ يمشونَ مطمئنينَ لنزَّلنا عليهم من السماءِ ملَكاً رسولاً﴾ [الإسراء : 95] ، وقوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : ﴿وإنْ مِنْ أُمة إلاّ خلا فيها نذيرٌ﴾ [فاطر : 24] .

ولمـا أراد الله إصلاح خلقـه ... وكان بهم داء الطمأنينة اصطفى
إمامـاً كريمـاً منهـم متطلعاً ... لأسرار أرواح العُـلا متشوّفا
فأنزلـه فيهـم طبيباً محكمـاً ... أميناً عليـه بـالسقام وبالشِّفا[2]
وجـاء بآيـاتٍ تؤيـدُ صدقه ... تراها برأي العين إن كنت مُنصِفا
فانقذَنا مـن لفحِ نـار تسعَّرتْ ... وكان لعمرُ الله منهـا على شَفا
وأظهـر أسراراً وأبـدى سبيلها ... لتحصيلها من بعد ما كان قد عفا

سبب وضع الشريعة في العالم أمران ، فيهما سران : الأمر الواحد : صلاح العالم ، وهو منهج الأنبياء ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿وَلكمْ في القصاصِ حياةٌ﴾ [البقرة : 179] ، وسره : أن نصر المؤمنين حق عليه .

---

1 الشريعة : في كلام العرب : مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . وأيضاً ما سنّ الله من الدين وأمر به كالصلاة وسائر الأعمال ، ومنه قوله تعالى : ﴿لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ تفسيره : الشرعة : الدِّين ، المنهاج : الطريق . وقال محمد بن يزيد : شرعة معناها ابتداء الطريق ، والمنهاج الطريق المستقيم . وفي الاصطلاح الصوفي معناها : عبارة عن الأخذ بالتزام العبودية . وقال الإمام القشيري : الشريعة : أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة : مشاهدة الربوبية . (الرسائل ؛ 530 ، لسان : 421/3) .

2 إشارة إلى قوله : ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران : 103] .

والأمر الآخر : إثبات ذلة العبودية[1] ، وظهور عزة الربوبية ، وسره حكم سلطان اسميه ، فتنبه لما رمزناه ، وفك المعمى الذي ألغزناه .

الطمأنينة بما لا حقيقة له ، توجب التكليف ، وما ثم شيء إلا وله حقيقة ، فقد لزمك الوقوف ، ما من أمة إلا قد اطمأنّت ، فلما جاءتها الرسالة أنت لعنتها[2] ثم حنت ، ولولا الوعيد والوعد ما سعى في الوفا بالعهد ، ودع ما قالت العدوية[3] فإنها ذات حال في العبودية ، ضربها ركن الجدار فأدماها ، ولم تحس به ، وقالت : شغلي بموافقة مراده فيما جرى ، شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال ، فقد أقرت بشغلها ، وأعربت بشاهد حالها فانتبه . ومحمد عليه الصلاة والسلام ، يقلقه الوجع ، ويمسح بالماء على وجهه ، ويقول : «إنَّ للموت سكرات»[4] وفاطمة عليها السلام على رأسه تسكب لفراقه العبرات[5] ، وتقول : واكرباه !! فيرفع إليها طرفه ، ويقول : «لا كرب على أبيك بعد اليوم»[6] فأثبت أنه في كربات . فقد بان أن الحقائق لها رقائق غاب عنها أهل العلائق والعوائق ، والحال علاقة المريد ، وحب الكشف نهاية من لم يذق لذة المزيد ، وكل من شاهد أمراً ليس ذلك المشهود عليه ، فذلك الأمر فيه ، وراجع إليه ، فليحذر أن يقول : إنه في الكون الخارج لا محالة فيثبت عند المحققين محاله ، ومن لم يفرق بين نفسه وغيره ، فلا

---

1 العبودية : أصلها الخضوع والتذلُّل ، ومعناه : ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدر ، وقال ذو النون العبودية : أن تكون عبده في كل حال ، كما أنه ربك في كل حال . انظر الرسالة القشيرية ، دار صادر ، ص125 وما بعدها . وفي رواية : «أدلة» وما أثبتناه يقتضيه السياق .

2 وفي رواية : لعيبها .

3 هي رابعة بنت إسماعيل البصرية أم الخير مولاة آل عتيك مشهورة بصلاحها وحبّها لله ، ولدت بالبصرة وتوفيت بالقدس (– 135/752م) . انظر وفيات الأعيان ، دار صادر 182/1 . الأعلام ، دار العلم للملايين 10/3 .

4 ورد هذا الحديث بلفظ آخر : «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت» ، الترمذي (978) وابن ماجه (1623) من حديث عائشة بلفظ «اللهم أعنّي على سكرات الموت» وإحياء العلوم ، دار صادر ، 80/4 ، 208/5 .

5 العبراة : الدمعة قبل أن تفيض من الجفن .

6 إن فاطمة قالت : «واكرباه لكربك يا أبيت . . .» البخاري (4462) من حديث أنس بلفظ «واكرب أباه» وفي رواية لابن خزيمة : «واكرباه» ، وابن ماجه برقم (1629) ، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ، طبعة دار صادر ، 210/5) .

يميز بين شره وخيره ، فهذا سبب وضع الشرع ، الموافق للعقل والطبع ، جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين وحال بيننا وبين القوم الظالمين الفاسقين .

2 ـ معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه

لقوله تعالى : ﴿ولَو جَعَلناهُ ملكاً لجعلناهُ رجلاً﴾ [الأنعام : 9] وقوله تعالى : ﴿ لنَزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ [الإسراء : 95] ، ولم يقل رجلاً لأن المرسل إليهم ملائكة ، وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسانِ قومه ليبيّنَ لهم﴾ [إبراهيم : 4] .

خليفة القوم من أبناء جنسهم ... لأنَّ ذلك أنكى في نفوسهمُ
لوْ لم يكن منهم لصدقوه ولم ... يقم بهم حسدٌ لغير جنسهمُ
يا حزن قوم عتوا عن شرع خالقهم ... يا شرّ ما عاينوا من طول حبسهم[1]
يقلّبون على نوعَين في سَقر ... في بردٍ يردهم أو حرِّ شَمْسهمُ[2]
إن يستغيثوا يغاثوا بالحميم فما ... يعذِّبُ القوم شيءٌ غير لبسهم[3]
كا الذي آمنوا بالشرع واعتصموا ... به تضمُّهم جنات قدسهمُ
ينعَّمون على نوعين قد عُصما ... في علم عقلهم أو كشف حسِّهمُ
فهؤلائك في تأبيد سعدهمُ ... كا أولئك في تأبيد نحسهمُ

نزل الروح الأمين ، على قلب مكين ، وقال : إنما جعل الرسول من الجنس ، لاستخراج عيب النفس ، وأنزل بلسانهم لارتفاع اللبس ، فإن دعا أمر أن يكون من غير الجنس في الحقيقة ، فلا بد أن يظهر بصورة الجنس في عالم التمثيل الرقيقة . أنظر أيها القلب في إيجاد المسيح ، لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح[4] ،

---

1 العتوُّ : التجبر والتكبُّر . ويقصد الشاعر هنا الذين عدلوا عن شرع الله ولم يعملوا بما قاله لهم ، من أمرٍ أو نهي .

2 سقر : من أسماء جهنم .

3 إشارة إلى قوله تعالى : ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ [يونس : 4] .

4 قالوا : إنما صار الحي حيّاً بقوله : كنا حيّاً ، وليس الروح معنى في الجسد حالاً مخلوق كالجسد ، قال الشيخ وليس هذا بصحيح وإنما الصحيح أن الروح معنى في الجسد مخلوق كالجسد . انظر التعرف على مذهب أهل التصوف ، دار صادر ، ص29 .

فوقع النفخ وأعقبه السلخ ، وقد رمينا بك على الطريق فأدرج عليه إلى عالم التحقيق[1] ، وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات فخذ منه ما أعطاك ، وإياك والالتفات ، وانهض على طريقتك المثلى ، وقل الرفيق الأعلى ، فسيقوم معك رسول العقول ، فخذ منه ما يقول ، وانهض برجلك حيث براق عملك ، إلى نيل أملك ، فسيقوم معك رسول الأسماء ، عند خروجك من كرة الفلك المحيط بكل سماء ؛ ويقول لك : يا يوم الاثنين ، إلى أين ؟ فقل له : انعكست الحقائق ، وظهر علينا عالم المخارق ، لم لم تنزل قبل أن أصعد ، ولم تقصد بحقيقتك قبل أن أقصد فإنك الملقى ، وأنا المهيأ ، وأنت المنبىء ، وأنا المنبأ ، فسيقول لك : إنّ الحرب خدعة[2] والستر أولى من السمعة ، وقد مضى زمن النبوة المشهورة ، وأنت في زمن النبوة المستورة ، فلو نزلت عليك في عالم الكون والفساد ، لكفّرك أهلَ النظر في الاعتقاد ، فإنّ بغلبة الحال تقول : قلت وقال . وهنا قد ارتفع الإنكار ، وزال الاضطرار فلهذا تركتك تقطع الأكوار والأدوار ، ثم اسمع : لولا رسول الاشتياق ، الذي هو نتيجة هذه المشاهدة على اتساق ، ما عاملت إلا فك[3] بالفراق ، فقد نزلت إليكم ولم تشعر ، وها أنا قد ذكرتك فهل تذكر ؟ فسل من الجوائز ما اشتهيت ، وحصل منها ما تمنيت فاملأ عند ذلك عيبتك وارجع وأنت تحمد غيبتك زكى الله أعمالنا وبلغنا وإياكم آمالنا .

---

1 وهنا إشارة إلى الحضرة العيسوية وهي إيثار الفقر على الغنى :

غنى نفس المحقق مستعار   وفقر النفس ذل وانكسار
فلو أن الفقير يكون ملكاً   لزار العالمين ولا يزار
ولو أن الغنى يكون عبداً   لكان له التقدم والفخار
فحكم الجهل قد عمَّ البرايا   ولا تدري لحكم العلم دار

(الفتوحات ، دار صادر ، 17/3) .

2 رواه السيوطي في الجامع الصغير ، (217/2) .

3 وفي رواية : «الأقل» .

3 ـ في بيان مقام الرسالة ومقام الرسول[1]

من حيث هو رسول ، ومن أين نودي ، وأين مقامه ، والفرق بين الخلافة والرسالة ، ومعرفة النبوة والولاية ، والإيمان ، والإسلام والعالم الجاهل ، والظان والشاك ، والناظر ، والمقلدين لهم .

أنـا تُرجُمـانُ إلـه السماء ... وذلك أن قـال لي مـا أقـولُ

مقـامُ الرسالـة عنـد الثَّرى ... ويظهـرُ ذلك عنـدَ الرسولُ

ينادي بهـا مـن مقاماتـه إلا ... لهيـة الواضحـات الفضولُ

لتمش بهـا لعبـادٍ طغَـوا ... وحادوا بنـا عن سواء السبيلُ

وبلـغ إليهـم رسالاتنـا ... فأنـت الرؤوف بهم والدليلُ

فـإن هـم عصوك فقاتلهمُ ... فـإنَّ الخليفـة شهـمٌ قتولُ

سمـاءُ الولايـة علويّـةٌ ... تحيـطُ بكـلّ مقـام جليلُ

يناديـه فيهـا على عـزه ... إذا كان في أوجهـا جبرئيلُ

يقـول : أنـا فيـك ذو عـزّة ... وفي عـزّ مـولاي عبدٌ ظليلُ

سمـاءُ النبـوة في بـرزخٍ ... دُوَيـنَ الوليِّ وفـوقَ الرسولُ

فيـا مؤمنـاً إن تكُـن عالمـاً ... تنعمت في علـم قـال وقيلُ

وبالضد إن كنـتَ في ضـدِّه ... ولو كنتَ في خفض عيش ذليلُ

---

1 اعلم أن الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى فمن حكمها أن يتولى الله من شاء من عباده بنبوّة وهي من أحكام الولاية وقد يتولاه بالرسالة وهي من أحكام الولاية أيضاً . فكل رسول لا بدّ أن يكون نبياً وكل نبيّ لا بدّ أن يكون ولياً ، فالرسالة البشر لا تكون إلا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة بعد دخول الجنة والنار نبوّة التشريع لا النبوّة العامة . وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ وهي تتجدّد وهو قوله : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فالإتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر عند السامع المرسل إليه هو الكلام المرسل به وقد يسمى الكلام المرسل به رسالة . فلهذا جُعل للرسالة مقاماً وهو عند الكرسي . ومن هنا فالرسل لا يفضل بينهم في مقام يشتركون فيه وإنما بأحوال أخر وهذا مذهب أبي القاسم بن قسي . الفتوحات ، دار صادر 256/2 وما بعدها . هذه زيادة من ص 18 من الكتاب .

فقـــرِّب مـــن الشَّاه فِرزانـــهُ وأيِّـــده بالخيـــل أو بَنذِفيـــلْ[1]

نزل الروح[2] على القلب ، فقال : الرسالة عرش رب السماء وسماء المربوب ، ومقام الرسول بينهما ، لأنه طالب مطلوب ، فلو لم ينادي الرسول من مقامه الإلهي ما أجاب ، ولو سقى من غير مشربه ما طاب ، فإن قيل له في ذلك الخطاب : بلغ ما أنزل إليك من ربك فذلك الرسول ، وإن زيد عليه : وقاتلهم إن أبوا القبول ، فذلك الخليفة الرسول ، فله أن يصول .

واعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الأتم الأكمل العقلي ، وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي ، وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولي وفلك الجهل : هو الفلك الزُحلي ، وفلك العلم : هو الفلك المشتريّ ، وفلك الشك : هو الفلك المريخيّ ، وفلك النظر : هو الفلك الشمسي ، وفلك الظنّ : هو فلك الزهريّ ، وفلك التقليد : هو الفلك العطاردي ، وفلك الإيمان : هو الفلك القمري .

الرسول وجه إلى قومه ، والنبيّ تعبد في نفسه إلى يومه ، والولي أيقظه الرسول من نومه ، فالرسول هو الإمام ، والولي هو المأموم ، والنبيّ إمام مأموم[3] ، محفوظ غير معصوم ، والرسول من هذا النمط هو المطلوب ، ومنه وإليه يكون الهرب المرغوب ، فالمؤمن به صدقه وانصرف ، والعالم قام له البرهان فأقرّ بصدقه واعترف ، والجاهل نظر فيه وانحرف ، والشاك تحير فيه فتوقف ، والظان تخيل وما عرف ، والناظر تطلع وتشوف ، والمقلد[4] مع كل صنف تصرف ، إن مشى متبوعه مشى ، وإن وقف وقف ، فهو معه حيثما كان إما في النجاة وإما في التلف ، ﴿كمثل الشَّيطانِ إذ قالَ للإنسانِ أكفرْ فلمَّا كفرَ قالَ إني بريء منكَ إني أخافُ الله ربَّ العالمينَ . فكانَ عاقبتهما أنَّهما في النارِ خالديْنِ فيها﴾ [الحشر : 16 ، 17] فأسكنه تقليده دار البوار ، جعلنا الله وإيا كم ممن نظر فاستبصر وعلم ، ولم يجهل ولم يتحيَّر .

---

1 الفرزان : الملكة ، من لُعب الشطرنج . (لسان : 152/11) . وهو أيضاً مما يعقد به البيدق .

2 أي الأملاك .

3 لأنه النبي عليه السلام لم يرسل برسالة وإنما لنفسه فقط .

4 هنا يذم الإمام التقليد الأعمى لإنه يورد الإنسان إلى دار البوار لقوله تعالى : ﴿ألم ترَ إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومَهم دارَ البوار﴾ [إبراهيم : 28] ، أي هيؤوا لهم أسباب دخول النار فدخلوها جميعاً ، البوار : الهلاك .

4 ـ تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها

تلقى فؤادٌ بالصّفا رسالةً	من المشهد الأعلى إلى المشهد الأدنى
وكان تُلقيها يمدّ رفيقه	إلى سره باسم من أسمائه الحسنى
فلاح له نور الرسالة طالعاً	على قلبه فازدان موقفه الأسنى
وقال له في ذلك النور ربُّه	أحبّايَ إن غابوا فما برحوا منّا
فأزعجه نحو المهيمن شوقُه	وحنَّ إلى الإسرا ليلتذَّ بالمعنى
فأسرى به إذ أزعجته مقالةٌ	لأسري بمحبوبي إليَّ إذا حنا

نزل الروح الأمين على القلب : فقال يا طالب الرسالة : أقصر فإنها موهوبة غير مكسوبة ، وطالبة غير مطلوبة ، لا تنال بالسعايات ، وليس لها بدايات ، فتوجد عند الغايات ، وإن كان من شرطها أن تكون بنية صاحبها قريبة من الاعتدال ، ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال ، وأحكامها أن لا يسكن لا في النور ولا في الظلمة ، وليتحرى مواضع الضياء والظلال ، وتكون فرشه الرمال ، ووقته الدقيقة التي قبل الزوال ، وأن تكون مرآته صافية ، ويواجه بها حضرة البلاء والعافية ، ومن أحكامها الثبوت عند التلقي ، وعدم الالتفات عند الترقي . وأما تلقيها فبرقيقة ربانية تمتد إلى لطيفة روحانية ، بكلمة غيبية ، مدرجة في قوة قلبية[1] تجري في أنبوب تلك الرقيقة ، فتستقر في النقطة الدقيقة ، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة على حسب ما تعطيه الطريقة ، فالتدلي انبعاثها الرباني ، والتلقي اتصالها به الروحاني . علمنا الله وإياكم من لدنه علماً ، وآتانا وإياكم رحمة من عنده ومغفرة وعزماً .

5 ـ معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة

ومعنى قول النبي ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء»[2] ، وقوله تعالى : ﴿ثمَّ أورثنا الكتاب الذينَ اصطفينا من عبادنا﴾ [فاطر : 32] وقوله عليه الصلاة والسلام : «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم» وكان معاذ[3] وغيره رسولَ رسول الله إلى من أرسل إليهم ، ولماذا ترك

---

1 وفي رواية : «صلبية» .

2 قد سبق تخريجه .

3 هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة . وقد شهد المشاهد كلها . ولد بالمدينة سنة 20 ق . هـ ، وتوفي عقيماً بنامية الأردن سنة 18هـ . أنظر الإصابة رقم (8039) .

ذكر الواسطة . وقيل : رسول الله ، وكان يأخذ عن جبريل ، ولم يُقَل في معاذ وغيره : رسولُ الله ، وقيل فيه : رسول الله على القول الضعيف .

تلقى فؤادي باصفاء رسالتي / وكان تقليها بمدّ رقيقتي
إلى نور ربّي بانعكاس شُعاعه / بمرآة من أبدى لعيني دقيقتي
فصحّ نصيبي من وراثة سيد / رسول أتاني واضعاً لطريقتي
فقمتُ عليماً بالأمور ومُرسلاً / إلى عالم أخفيتُه عن حقيقتي
فكان صديقي مُرسلي . ورسالتي / على الكشفِ والتحقيق أيضاً صديقتي

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : لتعلم أنَّ الرسالة الثانية موهوبة ومكسوبة ، طالبة ومطلوبة ، وموروثة غير مفقودة ، وباعثة ومبعوثة ، وصورة تلقيها حقيقة تمتد في رقيقة نبويّة ، إلى لطيفة روحانية فاللطيفة الروحانية رائية ، والحقيقة الربانية مرئية ، في واسطة مرآة نبوية فينعكس شعاعها على قلب الولي ، فلهذا يخرج بصورة النبي ، لا ينسخ شريعة ولا يثبت أخرى ، ولا يسأل على تعليمه أجراً ، وإنما صح لنا ورث الكتاب لكون إعطائه إيانا من غير اكتساب ، وكل وارث مصطفى ، ومن سواه فهو على شفا ، وإنما أو لحق الوارث هنا بالنبي السالف ، لأنه للإلقاء النبويّ ذايق ، ولمقامه العلي كاشف ، وهو في قلبه على شريعة من ربه ، وإنما نسب رسول الرسول إليه لاشتراكهما في التكليف الذي أنزل عليه ، ولم ينسب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جبريل لأنه ليس له من رسالته غير التعريف الذي أودع الرحمن لديه ، فنسب الرسول إلى الله تعالى بغير واسطة لعدم هذه الرابطة ، فإن كنت من أهل الإشارات[1] ، فقد منحتك العلم النافع في إيجاز هذه العبارات .

جعلنا الله وإياكم ممن ورث فبعث ودعي فانبعث ، وإن تُرك لم يكترث ، آمين بمنّه ويُمنه .

---

1 توضيح أهل الإشارات في هذه الأبيات :

علم الإشارة تقريب وأبعاد / وسيرها فيك تأويب واسئاد
فابحث عليه فإن الله صبره / لمن يقوم به أفك والحاد
تنبيه عصمة من قال الإله له / كن فاستوى كائناً والقوم أشهاد

(انظر الفتوحات 278/1) . وما بعدها .

الباب الرابع

1 ـ بيان السبب الذي دعاني أن أختص في هذا الكتاب من العبادات الصلوات الخمس دون غيرها[1]

فرض الصلاة على العقول النَّاسي خمساً فصارتْ في الوجود لباسي
لما علمتُ بنشأتي ورأيتها تَسْري مع الأرواح والأنفاسِ
فتركْتُ ظاهرَها على ترتيبه يجري على أحكامه في الناسِ
وتركتُ باطنها على سُلطانه يغزوا فيُهلك عالَمَ الوسواسِ
ورحلتُ عنها رحلةً ميمونةً فوجدتُ جُلّ الخير في الإفلاسِ[2]

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : لتعلم أنَّ الصلاة انبعثت من الحضرة الصمدانية المقدسة[3] ، فاغتنمها فهي كالخطرة المختلسة ، نظرت إليها الحضرة النورية فوهبتها أسرارها[4] ، وأفاضت عليها الحضرة القيومية[5] أنوارها ، ولما كانت هذه الصلوات

---

1 ملاحظة من بداية (رقم 1—32) قابلتها على كتاب محيي الدين ابن عربي ، إعداد وتحقيق يوسف ايبش ، ط1 ، بيروت : دار الحمراء ، 1990م . وقد رمزت له (ع . ي) .

2 وفي الهامش الأصل كتب كل بدل جل ولعلها الأصوب .

3 يدعى صاحبها عبد الصمد وهي حضرة الالتجاء والاستناد التي لجأ إليها واستند كل فقير إلى أمر ما يعلمه أن ذلك الأمر الذي افتقر إليه في هذه الحضرة فغناها إنما هو بهذه الأمور التي افتقر إليها بسببها لقوله :﴿والله غنيّ عن العالمين﴾ ، الفتوحات المكية ، دار صادر (294/4) .

4 يدعى صاحبها عبد النور ، قال الله : ﴿الله نور السموات والأرض﴾وقال : ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾وما يمشي إلا بنفسه فعين نفسه قد يكون عين نوره ، وليس وجوده سوى الوجود الحق وهو النور . الفتوحات المكية ، دار صادر (312/4) .

5 يدعى صاحبها عبد القيوم ولما كانت القيومية من نعوت الحيّ استصحبته فما تذكر إلا وهي معه فهي القيوم علي كل نفس بما كسبت فكل معلوم حيّ فكل معلوم قيوم أي له قيومية وكذلك هو فإنه لولا أنه قيوم ما عطى ما أعطى العالم علمه . الفتوحات المكية ، دار صادر (291/4) .

تختص بالمناجاة الربانية ، وترد عليها إذا خاطبت بالمناجاة الإلهية ، وتعم جميع المقامات المخصوصة بروحانيات أهل السموات وخبيت[1] بجميع الحركات المستقيمة ، في الإنسانيات عند القراءات والأفقية في الحيوانات عند الركوع للأذكار المعظمات ، والمنكوسة في النباتات عند السجود ، لابتغاء القربات . فلهذا وأشباهه اختصصناها بالإنزال عليك في هذا الكتاب من دون سائر العبارات ، واختصصت منها الصلوات الخمس لمطابقتها أصول تركيب الإنس ، ولأن الخمسة وحدها من بين سائر الأعداد تحفظ نفسها وغيرها ، فاعرف قدرها وأشكر خيرها . فصلاة الظهر نورية ، وصلاة العصر نارية ، وصلا المغرب مائية ، وصلاة العشاء ترابية ، وصلاة الصبح هوائية ، ﴿واللّيلِ إذا عسعسَ والصبحِ إلا تنفّسَ﴾ [التكوير : 17] ، ﴿إنّه لحقٌّ مِثلَ ما أنّكُمْ تنطقونَ﴾ [الذاريات : 23] أفلا تبصرونَ[2] عجباً ألا ترى أن كل عبادة لا تمنع من قامت به التصرفَ في بعض أسبابه ، إلا الصلاة فإنها تغلق على مَن قامت به جميع أبوابه ، فمقامها الغيرة ، ومشهدها الحيرة ، أنية المحتد والمولد والمشهد ، وهي أسنى تكليف يقصد ، ولما كانت محل إدراك المنى ، طولب المكلف فيها بالفنا[3] . جعلنا الله وإياكم ممن تطهر وصلى ، وسبق وما صلى ، إنه ولي كريم وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

2 ـ معرفة علّة أسماء الصلوات الخمس وتنبيهات على ما في كيفياتها من الحكم والأسرار ، على طريق الإجمال إن شاء الله تعالى :

ولما بـدت للسرِّ حكمـةُ ربِّـه فرضنا صلاة الظُّهر في عالم الكونِ
ولما تدانـى الوصل بيني وبينها فرضنا صلاة العصر صدقاً بلا مَين[4]
ولما اتَّصلنـا واستمـرَّ عناقنـا أتى المغربُ المستور في بُردة الصَّون
ولما اضطجعنا واستقـرَّ مكاننـا أتانا عشاءُ الحفظ خوفاً من العين[5]

1 وفي رواية : «وجيئت» .
2 والآية في سورة الذاريات ، 21 : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .
3 الفنا : رؤية العبد للعلّة بقيام اللّه على ذلك .
4 المين : الكذب .
5 العين : وهي النظر للآخر بعين العدوّ أو الحسد فأثرت فيه فمرض بسببها . وفي الحديث «العين حق» .

ولما انتبهنـــا والشموسُ طوالـــعُ أقمنا صلاة الصبح شكراً على البَين[1]

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : لتعلم أن الله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، لما كتب الصلوات لميقاتها جعل أسماءها بأوقاتها ، إلا الجمعة فإنها سميت بانتظام الشمل ، واتصال الحبل ، وهي من فروع الصلاة لا من أصولها ، لأنها مقرونة بشرط ، فأشبهت صلاة الكسوف[2] والاستسقاء[3] وغيرهما في فصولها ، فلم تقم في أصل الوضع مقام الفرض ، لذلك لم أجعل لها عيناً في هذا العرض ، وإن نابت مناب الظهر . فذلك لسر آخر من عالم الأمر ، ليس هذا موضعه ، ولا هنا مشرعه . وجعلها خمسة في التكليف ، لأن الإنسان على خمسة في أصل التأليف ، واعلم أنه تعالى قسم هذه قسمين ، وجعل لها حكمين ، لتحصيل علمين ، في عالمين راجعين إلى حاكمين فقسم واحد خصه بالعقل ، وهو الحضور والتدبر لما يتلوه بعد عقد النية ؛ وقسم آخر خصة بالحس وهو التلاوة وجميع حركات الصلاة ، لما كانت لا توجد إلا في هذه البنية[4] ، وأما الحكمان : فحكم العقل التوجه إلى القربة ، وحكم الحس التوجه إلى الكعبة ، وإنما قيد بجهة واحدة عن الجهات ، لإزالة الحيرة والالتفات ، وإشارة إلى فضل الجمع على الشتات ، وأما العلمان : فالعلم الواحد يختص بالعقل وهو علم التنزلات ؛ والعلم الآخر يختص بالحس وهو علم التجليات ، وأما العالمان : فالعالم الواحد عالم الغيب ، والعالم الآخر عالم الشهادة المقدس عن الريب ، وأما الحاكمان : فالحاكم الواحد الاسم الظاهر ، الحاكم الآخر الاسم الباطن بلا مؤازر . ولما اشتقّ الله تعالى لهذه الصلاة أسماء من أوقاتها لا من ساعاتها (علماً)[5] أن ذلك لسر أبداه وخير إلينا أسداه ، فصلاة الظهر في العقل لظهوره بالعلم ، وفي الحس لظهوره بالفعل في خلق الظهيرة والحكم ، وصلاة العصر في العقل لضمه إياه في عقل معرفته عن النقل ، وفي

---

1 البين : الفرقة . وهو من الأضداد (مختار الصحاح : 72) .

2 صلاة الكسوف : وهي من المسنونات ، وذلك عند كسوف الشمس أو خسوف القمر . وتتميز عن غيرها بطول القراءة والركعان بدل الركوع الواحد .

3 صلاة الاستسقاء وهي من المسنونات وقد اختلف الفقهاء في كيفيتها ، وهي أن يصلي الإمام ركعتين ثم يخطب ويدعو ، أو أن يدعو وهذا الدعاء يسمّى صلاة الاستسقاء .

4 وفي رواية : «النية» . والبنية معناها : الفطرة .

5 وفي الأصل : علمنا وليس لها معنى حسب السياق .

الحس لضمه إياه في فروع الأحكام إلى النقل عن العقل ، بضم الشمس إلى الغيب لوجود الفصل والفضل ، وصلاة المغرب في العقل لاستتاره بالأدلة الفكرية ، وفي الحس لاستتاره عن الكيفية ، صلاة العشاء في العقل لاستسلامه إلى سلطان السمع ، فلاحت له بارقة من بوارق الجمع ، فغشيت عين بصيرته لشدة ظلام الطبع ، وفي الحس لاستتاره[1] المبصرات بجلابيب[2] الظلمات فكأن العين غشيت عن إدراكها في أصل الوضع ، وصلاة الفجر في العقل لانفجار بحار الأسرار ، وفي الحس لانفجار بحار الأبصار .

واعلم أن الصلوات المفروضة كلها نهارية ، إما بالشمس وإما بآثارها ، إلا العشاء الأخيرة فإنها مشتركة بين الليل وبين النهار أنوارها ، وذلك لسر غريب ، ومعنى عجيب ، وهو أن الصلاة تكليف ، ففيها مشقة وتعنيف ، هما صفتان للنهار دون الليل عقلاً وإحساساً ، فجعل النهار معاشاً ، وجعل النوم سباتاً[3] حين جعل الليل لباساً[4] ، فانظر ما أوزن هذا التعريف بحكمة التكليف . ثم اعلم أنَّ الصلاة البرزخية ، وهي المغرب ، فرضها سبحانه بين جهد في شفع ، وسرّ في وتر ، وذلك في العقل لأن البرزخ في الصلاة أمر معقول بين عبد ورب ، على قدر ، لأن العبد في الليل منوط ، والرب بضوء شمس الله مربوط وفي الحس بين كشف وستر ، لملح أجاج[5] نزر ، وعذب فرات غمر ، لأن فلك الزمهرير[6] أكبر من فلك البحر المستدير .

وإن الصلاة لنهاية مفروضة بين شفع وسر ، فالشفع للخلق ، والسر للوتر ، فإن الخلق إذا ظهر ، احتجب الحق واستتر ، فلهذا شفع الظهر والعصر ، وبالقراءة أسر وجهر في كل صلاة الفجر لقرب طلوع الشمس ، فهو قوي الظهر ولم يتحد الفجر بالفاتحة حين انبرى ، لأن عند الصباح يحمد القوم السرى ، واتحد بها المغرب لفناء صفات المشاهد بطلوع الشاهد عند المشاهدة ولا تنفرد الفاتحة في صلاة أبداً إلا إذا

---

1 وفي رواية : «ولاستسلامه» .

2 الجلباب : الثوب الواسع الذي يغطي جميع الجسد .

3 إشارة إلى قوله : ﴿وجعلنا نومَكم سُباتاً﴾ [النبأ : 9] .

4 إشارة إلى قوله : ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ [النبأ : 10] .

5 الأجاج : أي شديد الملوحة ، وقيل : شديد المرارة وقيل : شديد الحرارة .

6 الزمهرير : شدة البرد وهنا معناه القمر .

أخفيت ، لأن الأحدية على هذا بنيت ، فالفجر للمجسمة[1] ، والظهر والعصر للحلولية ، والمغرب والعشاء للفرقة الناجية السنية ، فإن قيل لك في تكرار الصلوات : هل تكرر المشاهدات ؟ فقل : إن الله تعالى ما تجلى قط في صورة واحدة لشخصين ، وهذا هو التوسع الإلهي الذي لا ينحصر ، ولا يدخل تحت الحد فيضبطه الفكر ، بهذا قد أبنت عن الأمهات المطلوبة في أحكام الصلوات ، في هذه العبارات بطريق الإشارات على حكم التنزلات .

3 ـ معرفة شروط الإمام للصلاة

يـا إمامـاً بمثله ليس يرجـو	فضلَ أجـر ولا يـوم احتسابا
لا أرى منه وهو في العلم معصو	مٌ عـن الفسقِ والخناء اجتنابا[2]
وأناديـه مـن وراء حجـابِ	يـا إمامي لقد تركـت الصوابا
لم خلّفتنـي وصـرت أمـامي	وأنـا أنت لـو عرفت الكتابا
يـا جهـولاً بذاتـه وبـذاتي	وظلومـاً لنفسه مـا أنابا
سوف تلقـى تأخّـراً واغتراباً	حـين ألقـى تقدّمـاً واقترابا
أنت والله أعلـم الخلـق باللّـ	ـهِ وقولي ، وأنت تأبـى المتابا
أنـا حاضـرٌ وليـت تـراني	تتعامـى ، بالله قـل أم تجابا[3]
لـو رأيت الـذي رآه فؤادي	في صفـاء الوداد زدت التهابا
وتركت الصفـات حـالاً وقالاً	وتركـت العـذاب ثـم الثوابا
يـا إمامـي لقـد رمزت أموراً	إن تدبَّرتهـا أمنـت الحجابا

لما طلب الرياسة عقلي على العقول والتقديم ، قرع بهمته باب القديم ، فنزل إليه الروح ملتفاً في بردة يُوح ، وقال : لا تصح في عقل إمامة ، إلا إذا كان غير علامة ، ولم يجعل الحق أمامه ، ولا تدبر في الصلاة كلامه ، وألقى على فمه عند التلاوة

---

1 المقصود بهذه العبارة : أوقات الصلاة لا الصلاة نفسها لأن المجسمة يقولون بالنزول الفعلي إلى طلوع الفجر .

2 الخناء : الفحش في الكلام .

3 في رواية هذا البيت :

كيف تشكو لهيب نار اشتياق   تتعامـى بالله أم تتغابـى ؟

قدامه ، وأسدل بينه وبين الله قرامه[1] ، ولم يأخذ من السحاب إلا جهامه[2] ، ولا من النور إلا كمامه ، ولا من المختوم عليه[3] إلا ختامه ، وأتى إلى ربه في ظلمة وغمامة ، وأرخى الإزار وأشال العمامة ، وجاز على ما أوصى به النبيّ عليه الصلاة والسلام في حديث سعيد بن زيد بن أسامة ، وسكن نجد ورحل عن تهامة وسنه في الإشارات الإلهية أحلامه ، وملك أضغاثه وأحلامه ، ورفع بين الجنة والنار أعلامه وزلت به على الصراط أقدامه ، وحل عند المشاهدة نظامه ، وفقدت منه عند الموت الحاسة والشهامة ، وطرأ عليه حال مزعج بمشاهدة القيامة ، فعمر بسيره لقلقه قيعان[4] ذلك الموطن وآكامه[5] ، فإذا ظهرت على عقل هذه الدلالات وزاد أعلامه ، وهي أن يجهل من في محرابه أقامه ، حينئذ يصح لهذا العقل على العقول الإمامة وهذه العلامة في إمامة الحس بالعكس فإنه من عالم النكس ، لنزوله من حضرة القدس . جعلنا الله وإيا كم ممن أم وعم وصح له المقام الأكمل الأتم آمين .

4 ـ معرفة شروط المأموم في الصلاة

كلّ إمــام صحــت إمامتــه	وكانَ مــن قبــل ذاكَ مأموما
فحكمــكَ المشي خلفُــه أبداً	وحكمــه أن يكــون معصوما
فــإن بــدا حكمــه بآيــة	سلم إليــه الأمــور تسليما
مــن يتبع مــن تقــوم زلته	بــه يكــن في الأنــام محروما

نزل الروح على القلب ، وقال : لتعلم أنَّ المأموم على قدر مقام إمامه ، في جميع أحكامه ، بأي أمم كان إمامه لزمه أحكامه ، فيتبعه حيث سلك ، ويخلف وراءه جميع ما ملك ، ألا ترى تبعية ظلال الأشخاص لها ما أحسنها وما أكملها ، ولقد أخبر سبحانه عن الظلال ، إنها تسجد له بالغدو والآصال[6] فمن أولى بهذه الصفات

---

1 القِرام : ثوب من صوف ملوّن فيه ألوان من العِهن ، وهو صفيق يتخذ ستراً . (لسان : 243/5) ، وفي نسخة : «ندامة» .

2 الجهام : السحاب الذي هراق ماءه مع الريح ، وفي الحديث طهفة : «ونستحيل الجهام» .

3 زيادة من (ع . ي ، ص 101) .

4 القيعان : أرض سهلة مستوية منخفضة عن محيطها .

5 الآكام : الرابية .

6 الآصال : الوقت حين تصفر الشمس حتى غروبها . ومنه قوله تعالى : ﴿يسبحُ له فيها بالغدوّ والآصال﴾ [النور : 36] .

في علمك ؟ أنت أم الظلال التي هي جماد في زعمك ؟ هيهات لشغلك بالترهات[1] . أيها المأموم إذا كبر الإمام خالقه على قدر علمه ، فكبر ذاتك ، وإذا قال : ولا الضالين ، فقلْ آمين ، فإن وافقت الملائكة في ذلك قدست صفاتك ، وإذا ركع فاركع لهمتك ، وإذا قال : «سمع الله لمن حمده»[2] فقل : ربنا ولك الحمد ، على ردك إلى إنسانيتك ، وإذا سجد فاسجد لبدايتك ، فإن فهمت هذه الفصول ، وحققت هذه الأصول ، فأنت المأموم المطلوب ، والمعشوق المحبوب ، بك يظهر مالك الملك ، وعليك ينزل الملك ، وبنفسك يدور الفلك . جعلنا الله وإياكم ممن اتبع إمامه ، ورفع في ذروة التوحيد[3] أعلامه .

1 الترهات : القول الخالي من النفع .

2 متفق عليه عن أبي هريرة ، والنووي في الأذكار رقم باب (39) ، بيروت ، الكتب الثقافية ، ط1 ، 2002 ، أبو داود برقم (733) ، كنز العمال (21997) .

3 التوحيد : إثبات عينٍ بلا وصفٍ ولا نعتٍ . وقال بعض العارفين : لا يعرف التوحيد إلاّ مَن كان واحداً . انظر تفاصيل هذا الموضوع المهم في رسائل ابن عربي ، دار صادر ، ص 98 .

الباب الخامس

1 ـ معرفة سبب فرض الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به[1]

خلـــق الله نشأتيَّ جميعـــاً بيديـه فكنت في خير صورهْ[2]

فطـــر الله صورتـــيَّ عليـــه فهـذا أكـــون في كل صورهْ

أودع الله فيَّ أمريــــــه حتـى صرت ما بين وصف أصليْه سورهْ

ظاهري فيـه شقـوة وعذاب باطنـي فيـه رحمـــة مستورهْ

أنا أحـــوي توراتـــه والأناجيـ ـــل وقرآنـه وأحـوي زبورهْ[3]

أنا أحـــوي أيامــــــه وشهوره أنا أحـــوي أعوامـــه ودهورهْ

أنا كلّ بــــه ، ولست أبـــالي مـــن كلامـــي فإن فيَّ ظهورهْ

وإذا كانـــت الخلافــــة فينـا نصّهـا في كتابـــه مسطورهْ

فـإذا مـــا ادّعيـــت أني ربٌّ أسدل الله دون وجهـي ستورهْ

وأتى شرعـــــه يخاطب ذاتــي يـا غفـــولاً لقد جهلتَ أمورهْ

فــرض الله نعمـــةً وعذابــــاً للدعـــاوى على الأنـام ظهورهْ

قُـــم فطهر بالعلم عقلكَ حتى يُظهـــــر الله ذاتـــه للبصيرهْ[4]

---

1 اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أنه لما كانت الطهارة النظافة علمنا أنها صفة تنزيه وهي معنوية وحسيّة طهارة قلب وطهارة أعضاء معينة فالمعنوية طهارة النفس من سفساف الأخلاق ومذمومها ، وطهارة العقل من دنس الأفكار وأشبه وطهارة السرّ من النظر إلى الأغيار وطهارة الأعضاء ، فمن هنا فلكل عضو طهارة معنوية . راجع كتاب الفتوحات ، دار صادر ، 329/1 وما بعدها .

تبصر ترى سرّ الطهارة واضحاً يسيراً على أهـل التيقـظ والذكا

2 إشارة إلى قوله : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين : 4] .

3 إشارة إلى قوله : ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ [آل عمران : 48] .

4 إشارة إلى قوله : ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعني﴾ [يوسف : 108] .

فتـرى ذاتـه وتبصر مـا قـد غـابَ عنها إذ أطلع الله نورهْ
ثـم طهر بالماء جسمك كيما تنعـم العـين إذ تُشاهد حُورَهْ
عجبـاً في نجاستـي بحبيبـي أودع الله لي علومـاً كثيـرهْ
وطهـوري منـي ولست أسمي من أنا ، وهي إن نظرت سعيرهْ
إن مثـلي يقـولُ : إني ربٌّ يـا خليليَّ ـ هل أتى بكبيرهْ ؟
لا وحقـي ، ومن أنا وهـو شيء واحـد ، مـا أتيت قطّ صغيرهْ
كيـف آتـي صغيرة وكبيرة وأنـا القدس ذو العلا والسريرهْ
بـك يـا نشأتي إلهك أبدى فيـكَ ، عبثـاً ، نعيمه وقصورهْ[1]
حين أبدى في مثل ذاتك أيضاً من كفـور ، عذابـه وسعيرهْ
لقـد لغزنـا حقائقـاً وأمـوراً من يكنها يظهـر بأحسن سيرهْ

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : أيّها المحلّ النزيه المكبر[2] ، أحرم خلفي بصلاة الظهر ، ولا تكبر ، فإنك مع المعروف ، وقال للحسّ : ارفع يديك وكبّر فإنك مع الحروف ، وأنا الإمام وأنت المأموم ، وإن كان لك الإمام ، فقال القلب للملك عليه السلام : لو تقدمت العبارة على الطهارة لكان أتم في الإشارة فقال الرسول : لا يتطهر من الحدث[3] إلا الحدث ولا من الجنابة[4] ، إلا من هو عن الحضرة الإلهية في جنابه ، فقال القلب : إن العقل إذا نظر في كونه ، فهو في جنابة عن عينه ، فجنابته جنابته ، فإذا نظر إلى نفسه فهو في الحدث الأصغر الذي في عكسه ، فحدثه حدثه ، فلا بد من الكشف والظهور ، لأسرار الطهارة والماء الطهور ، فقال الملك : أنا الأمين الحفيظ فلا أزيد على رسالتي ، ولا أتعدى ما رسم لي في مسطور وكالتي ولكن أثبت حتى أرجع إليك ، وأنزل بما سألته عليك ، فرجع الروح إلى معلمه على سلمه ، فذكر له ما كان ، ولم يكن به جهولاً ، فأمره بتعليمه ، ولم يكن عنه غفولاً ، فنزل إليه في حينه ، خاطبه في

---

1 وفي رواية : «عيناً» .

2 وفي رواية : «المكين» . والمكين صاحب قدر ومكانة رفيعة . ومنه قوله تعالى : ﴿ذي قوة عندَ ذي العرش مكين﴾ [التكوير : 20] .

3 الحدث : ما ينقض الطهارة وهو ما خرج من السبيلين .

4 الجنابة : حال موجبة للاغتسال ، وهي تسمى الحدَث الأكبر .

قلبه من جهة يمينه ، فقال : أيها القلب ، سلام عليك واسمع ما أنزلني به سيدي ومولاي ومرسلي إليك . الماء الطهور ماءان ، لأن المتطهر به عالمان ، ماء سماوي ، وهو خلاصة الماء الأرضي ، قطره إنبيق الزمهرير ، فذلك الماء النمير[1] ، وقد كان روحاً هوائياً بين الكرتين لاستحالة العين إلى أخرى في عالم الفساد والكون[2] ، فتطهر بهذا الماء أيها العقل الأقدسي ، والماء الآخر ماء أرضي من عالم الأمشاج[3] ، فمنه عذب فرات ، ومنه ملح أجاج ، فتطهر بهذا الماء أيها الجسد[4] الأنفس . جعلنا الله وإياكم ممن تقدس وتطهر ولم يتدنس .

2 – في معرفة سبب التعميم في طهارة الجنابة وتخصيص بعض الأعضاء في طهر الحدث الأصغر والتيمم

إنَّ الفنـــاء يــؤدي إلى عميم الطهاره — فافهم فديتك ما قد ضمنت هذي العبارهْ[5]

ولا تـــزد فاللبيب مــن أعلمته الإشارهْ — فإن غفلت فخصص ومـا عليك خسارهْ

وإن عدمـــت فيمم ترابـاً رأيت غبارهْ — لا بـدّ للكتب مهما أعجلتها من نشارهْ

لا يكن ذاك إلا إذا قصدت الزيارهْ

قال العقل : بين لنا أيها[6] الروح الكريم ، فقال الروح : إن كنت ذا جنابة أو متعمداً فيها فعم الطهر بذاتك المنصوصة ، وإن كنت ذا حدث فاغسل الأعضاء المخصوصة ، فسر التعميم في طهر الجنابتين ، لغيبتك[7] الكليّة ، عن علم نكاح الصورتين :

* المثلية العقلية ، والصورة المثلية الشرعية ، وسر الطهر المخصوص لبعض

---

1 النَّمير : والنَّمرُ ، كلاهما : الماء الزاكي في الماشية ، النامي ، عذباً كان أو غير عذب . قال الأصمعي : النمير النامي . (لسان ، دار صادر ، 258/6) .

2 ونص هذه العبارة في رواية : لاستحالة العين إلى عين وهي آخر في عالم الفساد» .

3 الأمشاج : كل شيئين مختلطين .

4 وفي رواية : «الحسّ» .

5 الفنا : رؤية العبد للعلة بقيام الله على ذلك .

6 وفي (ع . ي ، ص 103 : أيه) .

7 الغيبة : غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسّ بما ورد عليه .

الأعضاء ، للغفلات التي تتخلك في حضورك عند الإنضاء[1] وإن عدمت الماءين فاعمد إلى ما خلقت منه ، ولا تعدل[2] عنه ، فإنك تبيح العبادة ولا ترفع الحدث ، لما قام بك من الخبث .

جعلنا الله وإياكم من أهل الحضور مع الله في عموم الحالات ، ومن المشاهدين له في كل مقام مع مرّ[3] الأنفاس والاستحالات .

3 ـ في معرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمّة والعزم والهاجس[4]

أساس وجود الفعل في القلب خمسة ... فأولهـــا عنـــدَ المحقـــق هاجسُ
ومـــن بعـــده عـــين الإرادة قائم ... وهـــم[5] وعـــزم صادفتـه الأبالسُ
ومن بعـــد هـــذا نيـــة مستقيمة ... تباشر فعل الشخص والقلب سائس
وقـــد قيـــل أيضاً ثم قصد محقق ... فإنْ صحّ هذا القول فالقصد سادس
ومـــن قـــال : إن القصد معناه نية ... فحسب ، فإنَّ القصدَ للقوم خامس

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل الأقدس ، اعلم أنَّ الله تعالى إذا أراد إيجاد فعل ما ، بمقارنة حركة شخص ما ، بعث إليه رسوله المعصوم وهو الخاطر الإلهي[6] المعلوم ، ولقربه من حضرة الاصطفاء ، هو في غاية الخفا ، فلا يشعر بنزوله في القلب إلا

---

1 الإنضاء : البلى .
2 العدل : الانحراف عن الشيء . وهنا يقصد استعمال التراب في إباحة العبادة .
3 زيادة من (ع . ي ، ص 103) .
4 النية : ما تنويه وتقصده وفي الحديث : «إنما الأعمال بالنيات» . الإرادة : وهي لوعة في القلب يطلقونها ويريدون بها إرادة التمني وهي منه ، وإرادة الطبع ومتعلّقها الخط النفسي ، وإرادة الحق ومتعلّقها الإخصلاص . القصد : العزم ، الاستقامة . الهمة : تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى وتطلق بإزاء أول صدق المريد . العزم : الصبر في تنفيذ ما عزم عليه . الهاجس : يعبّرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطيء أبداً وقد يسميه سهل السبب الأول ونقر الخاطر ، وإذا تحقق في النفس سموه إرادة ، إذا تردّد الثالثة سموّه همّاً ، وفي الرابعة سمّوه عزماً ، وعند التوجه إلى الفعل إن كان خاطر فعلٍ سمّوه قصداً ومع الشروع في الفعل سموه نيةً . (المصطلحات الصوفية : 529 ؛ وتعريفات : 118) .
5 زيادة من (ع . ي ، ص 103) .
6 زيادة من (ع . ي ، ص 104) .

أهل الحضور والمراقبة ـ في مرآة الصدق والصفا ، فينقر في القلب نقرة خفية ، تنبهه لنزول نكتة غيبية ، فمن حكم به[1] فقد أصاب كل ما يفعله ونجح في كل ما يعمله ، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي عليه يعول ، وهو نقر الخاطر عند أرباب الخواطر ، وهو الهاجس عند من هو للقلب سائس ، فإن رجع عليه مرة أخرى فهو الإرادة ، وقد قامت بصاحبه السعادة ، فإن عاد ثالثه ، فهو[1] الهم ، ولا يعود إلا لأمر مهم ، فإن عاد رابعة ، فهو العزم ، ولا يعود إلا لنفوذ الأمر الجزم ، فإن عاد خامسة ، فهو النية ، وهو الذي يباشر الفعل الموجود عن هذه البنية [وبين التوجه إلى الفعل وبين الفعل يظهر القصد ، وهو][2] صفة مقدسة يتصف بها الرب والعبد .

ثم اعلم أيها العقل ، أنَّ النيّة إذا كان معناها القصد في إقامة أصل كل بنية ، وليس للحسّ في النية مدخل ، لأنها من صفة العقل المنتخل ، فإنَّ العقول الإنسانية منتخلة من العقول الروحانية ، ولهذا ينفذ لقوة إدراكها صدف الأجسام ، حتى تشاهد العلام ، إذا قصرت عن إدراك مثل هذا النمط ، من العلم الوسط ، العقول الروحانية المفارقة للكرام . وأنت أيها الحسّ الأنفس تحرك للشروع ، في العمل الموضوع ، فإن هذه الحركة المخصوصة ، لما ورد في النقل ، نظير النية المختصة بالعقل ، وهذه النية والحركة في هذا الظهور لتصح الصلاة في عالم الظهور وعمار البيت المعمور ، وإنما هما لظهور عين الذات ، على عالم الكلمات المنزهة عن اللذات فهذا حظ النية ، ولظهور عين الصفات على عالم الشتات[3] لاتصافهم بالالتفات ، فهذا حظ الحركة ، ولكن في الظهر ، كما هما أيضاً لضم الهمة ، عند خروجها عن نصف كور عمه الوجود ، من غير طريقة اللمة ، إلى ما يضاهيه في الصورة والسيرة ، فهذا حظ عالم النية ، ولضم كف الجوارح عن الآثام والمحارم ، إلى ما يعانيه من سائر الأحكام في المعالم ، بمشاهدة ضمّ العالم لها إلى العالم ، فهذا حظ علم الحركة ، ولكن في العصر كما هما أيضاً لمغيب العين في مشاهدة العين بزوال الريب والمين[4] ، فهذا حظ علم النية ، ولمغيب العين في ظلمة

---

1 زيادة من (ع . ي ، ص 104) .

2 هذه العبارة معناها من كتاب التعريفات قسم المصطلحات ، ص 118 .

3 وفي رواية : «النشأت» .

4 المين : الكذب .

الغين[1] ، فهذا حظ علم الحركة ، ولكن في المغرب كما هي أيضاً لمشاهدة البرازخ بين السفل الجسماني والعلو الروحاني لغشاوة تطرأ في عين المبصر لا لعلة تكون في المبصر فهذا حظ الحركة ، ولمشاهدة الحد بين العبد والرب ، من غشي يقوم بعين البصيرة لأجل الوعد ، فهذا حظ علم النية ، ولكن في العتمة كما هي أيضاً لطلوع الفجر .

العلم بالله تعالى بمطالع العقول والأفواه ، وهو حظ علم النيّة ، ولطلوع فجر معرفة الرب بنفي الأجناس بمطالع النفوس والأنفاس ، فهذا علم الحركة ، ولكن في الصبح فقد صحت الرتبة العلية في النية لأداء العبادات للعقل الأقدس ، كما صحت منزلة البركة في الحركة للحسّ الأنفس ، فثبتت الحركة لظهور ثبوت النية في الظهور ، فكان نور على نور ، زكى الله أعمالنا وأعمالكم بالإخلاص ، ورزقنا وإياكم الفوز من النار والخلاص .

4 ـ في معرفة أسرار غسل اليدين ثلاثاً ووصف المياه والأواني في كل صلاة إن شاء الله تعالى

عجبت من غسل كفي وهي طاهرة ... ممّا غسلت ، وهـذا الطُّهر موجودُ
فقال قلبي : هو الشرع الذي ظهرت ... آياتـه ، فهـو عنـد العقل مقصود
وقال عقلي : هو السمع الذي اتضحت ... أعلامـه فهـو عنـدي اليوم معبود
وثم قـال لقلبـي : كم تغالطنـي ؟ ... فقال قلبـي لعقلي : أنت مشهود
وقـد غلـت ولكن عندكم سندي ... فإنني مـن نبـات الأرض معدود
وأنت من عالم الأمر الذي سجدتْ ... لـه الجبـاه ، ولكـن أنت محدود
سجودها لمكان قـام مـن حجر ... فيـه الوجـود ولكن فيـه تبديد
فقال قلبي لعقلي : قد صدقت ، وقد ... عرفتني منك لا منّي فـذا الجود
وكيف تعرفني يـا قلب من جهة ... وباب كوني عـن عينيك مسدود

نزل الروح على القلب : فقال أيها العقل : خذ ماء السماء ، في وعاء الإنشاء ، وصبّه على يمين القبضة البيضاء ، ليظهر لك ما استتر عنك من المعارف في هذه الصعدة السمراء ، ويا أيها الحسّ : خذ ماء الامتزاج ، في وعاء ، ما تيسر لك المعادن سواء كان

---

1 الغين : الأشجار الملتفة بلا ماء . فإن كانت بماء فهي الغيضة .

من العذب الفرات أو الملح الأجاج وصبّه على اليمين المخلوقة من الأمشاج ، لظهور الصفاء المفرق بين الأجسام الكدرة كالجندل[1] والحديد ، وبين الأجسام الأرضية الشفافة كالبلور والزجاج ، إن أردتما صلاة الظهر . ثم قال : أيها العقل ، خذ ماء العلو ، في وعاء الدنو ، وصبّه على يمين الاستواء السعادي ، لتحصيل علم الضم الكائن بين المحبين ، إذا التقيا بالعين ، على الاختصاص الإرادي ، ويا أيها الحس : خذ ماء السفل ، في وعاء الثقل وصبّه على يمين الإنشاء ، لتحصيل علم الضم بينك وبين الحوراء في الجنة الدهماء[2] ، إن أردتما صلاة العصر . ثم قال : أيها العقل ، خذ ماء الاعتلاء ، في وعاء الابتلاء ، وصبّه على يمين القوة والعون ، لتحصيل علم مغيب عن عين البصيرة عند مشاهدة العين ، ويا أيها الحس : خذ ماء الغدران[3] وصبّه في وعاء القيعان ، وصبّه على عين الإبتناء ، لتحصيل علم مغيب العين في الكون إن أردتما صلاة المغرب .

ثم : قال أيها العقل ، خذ المياه المقطرات ، في وعاء الحاملات ، وصبّه على يمين الملقيات ، لتحصيل علم ذات الذوات ، ويا أيها الحس : خذ ماء الزاخرات[4] في وعاء السبحات وصبّه على يمين المركبات ، لتحصيل علم الكائنات الموجودة عن الصفات ، إن أردتما صلاة العشاء .

ثم قال : أيها العقل خذ ماء الرقيع ، في وعاء الترقيع ، وصبّه على يمين السميع ، لتحصيل علم مقام الرفيع ، من انفجار البحر المنيع ، ويا أيها الحس : خذ ماء الأنهار ، في وعاء النهار وصبّه على يمين الفجار لتحصيل علم تسبيح خرير المياه في الأسحار ، بانفجار الجداول الصغار ، من الأنهار الكبار ، إن أردتما صلاة الصبح فلما فرغ الروح من هذا الإلقاء ، أراد الرجوع إلى مشهد اللقاء ، فسلم وانصرف ، ثم عاد عجلاً فعرف ، وقال : أيها المخاطب بالتكليف ثلاث أولى من واحدة عند أهل التصريف ،

---

1 الجندل : الحجارة .

2 الدهماء : السواد وإنما قيل للجنة مُدهامَّة لشدة خضرتها .

3 الغدران : قطعة من الماء يغادرها السيل وتتصف بصفاها .

4 الزاخر : الملآن وقال أبو عمرو : الزاخر الشرف العالي . ويقال للوادي إذا جاش مدُّه وطما سَيْلُه : زخرَ .

فاغسل أيها العقل يديك ثلاثاً : الواحدة لعلمك بربك في صلاة الظهر ، ولعلمه بك في صلاة العصر ولولهك فيه في طهر المغرب ، ولحيرتك فيه في طهر العشاء ، ولجمعك به في طهر الصبح ، والثانية لعلمك به وبنفسك في طهر الظهر ، ولحضوره معك في طهر العصر ، ولإفرادك به في طهر المغرب ، ولمسامرتك معه في طهر العشاء ، ولانفصالك عنه في طهر الصبح ، والثالثة لظهوره وظهورك وظهور العالم في محل واحد غير متحد في طهر الظهر ، ولاجتماعهم في طهر العصر ولتجاوبهم في طهر المغرب ، ولاتحادهم في طهر العشاء ، ولتميزهم في طهر الفجر ، وأنت أيها الحس : اغسل يديك ثلاثاً : الواحدة لظهور السبب العقلي في طهر الظهر ، وانتظامه بالنفس في طهر العصر ، ولغيبته عن ممده[1] في طهر المغرب ، ولطلبه الرجوع إليه في طهر العشاء ، ولوجوده إياه في طهر الصبح ، والثانية لظهور السبب النفسي في طهر الظهر ، ولتعلقه بالحس في صلاة العصر ، ولحجابه عن العقل في صلاة المغرب ، ولبحثه عنه في صلاة العشاء ، ولشهوده إياه في صلاة الفجر ؛ والثالثة لظهور السبب الحسي في طهر الظهر ، ولمباشرته الكون في طهر العصر ، ولمحوه عن النفس في طهر المغرب ، ولابتغائه إياها في طهر العشاء ، ولوصوله إليها في طهر الصبح .

جعلنا الله وإياكم ممن أيده بالقوة ومكّن في سرّ نتائج القوة[2] .

5 ـ في معرفة أسرار صبّ الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين

إنَّ الشمائلَ ـ إن نظرتَ وجودها عند الشهود ـ خوادمُ الإيمانِ
شبه الضلالة في الشمائل تغتلي ومع اليمين نتائج البرهانِ
إنَّ الشمائل في الشمائل سادةٌ بوجودها يثني على الإنسانِ
إنَّ الشمائل واليمين عوالمٌ تبدو بسرِّ النظم والإتقانِ
فانظر إلى اليسرى وسر سكونها فيها استواء العرش بالرحمنِ
وانظر إلى اليُمنى وسرعة دورها بسوابغ الإنعام والإحسانِ[3]

---

1 وفي رواية : «عن عدده» .

2 المقصود بالقوة الأولى : التأييد . والثانية : من القدرة . وفي رواية : «الفتوة» .

3 وفي (ع . ي ، ص 106 : الإفهام بدل من الإنعام) .

هذي مع الأرواح تسري ثم ذي		تسري مع الأنفاس في الأكوانِ

لما أرادت اليمين أن يكون لها الصبّ زجرها العقل ، وقال : إنَّ الروح الأمين أمر القلب أن يصب باليد الغربية على يد الطور الأيمن ، لتجلي علم التنزل الإنبائي ، من مقام الكشف الربّاني ، وأمر الحس أن يصب بالشمال على اليمين لكشف تعطيل الأسباب ، لما لم تثق باليمين ، فيتحقق أنه لا يمين إن أراد صلاة الظهر ، وللصوقه بسره ، والتحامه بعالم أمره ، في طهر العصر ، ولفنائه عن بصيرة عقله ، وغيبته عن شكله في طهر المغرب ، ولاستتاره في السبحة المضلة والتحافه في بردة الوصلة في طهر العشاء ، ولطلوعه عيناً أخرى بتقطيره ، ولسيلانه بعد أن كان جامداً بتفجيره في طهر الصبح .

جعلنا الله وإياكم ممن أبقى عليه شرف اليدين ، وأبين له سر اتحاد النجدين[1] . آمين

6 ـ في معرفة أسرار الاستنجاء إن شاء الله تعالى[2]

سرائر إيجـاد العـوالم في الربِّ		وفي الرحم المختار من عالم الترب[3]

إذا اجتمعا بالنسك في فرش عرشه		وجاء على كوني بحظٍ من الشربِ

وظهرهما بالحفظ والصون والتّقى		وبالعصمة الغرّاء والسدل للحجبِ

فيبدي لهـذا الطهـر أعلام سره		لإيجاده الأشياء من حضرة القربِ

ليصدق في خلقي على الصورة التي		تعال[4] بهـا في حضرة الله والربِ

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : أيها العقل ، استنجاؤك ظهور سر قدمك بقدمه في طهر الظهر ، وانتظام قدمك بقدمه في طهر العصر ، لفناء قدمك المذهب في طهر المغرب ، ولصحة حدوثك بالابتلاء في طهر العشاء ، ولتجلي قدم صدقك ـ وهو أول باب الفتح ـ في طهر الصبح . أيها الحس استنجاؤك طهور حدثك عن امتزاج أركانك في طهر الظهر ، ومعرفة كيفية امتزاجها في طهر العصر ، ومغيبها

1 النّجد : المرتفع من الأرض ، ومنه قوله : ﴿وهديناه النجدين﴾ ، أي طريق الخير وطريق الشر . (لسان : 194/14) .

2 انظر باب آداب الاستنجاء ودخول الخلاء . الفتوحات (385/1) . ففيه من التفصيل والبيان ما يحتاج إليه كل مسلم .

3 وفي رواية : «الشرب» .

4 أي من العول .

بإيجادك عن تدبير أفلاكها إياها لإبراز سر معجب في طهر المغرب ، ولحوق أفلاكها بالهيولى الموجودة فيها بالقوة قبل الإنشاء في طهر العشاء ، وانبعاثها عن النفس الكلية بالقدح في طهر الصبح .

جعلنا الله وإياكم ممن أميط عنه الأذى ، ولم يقل إذا فزع عن قلبه : ماذا ؟ بمنّه ويُمنه .

7 ـ في معرفة أسرار الاستجمار[1]

إذا استجمرتَ أوتـر يـا غـلامُ فهـذا حـظّ ذاتك والسلامُ
وجن منكَ مـا استجمرت منه ومـا ينمـو وكان لـه اضطرامُ
فمـا يُجزيـك في التطهير إلا إذا حقّقـتَ ـ مـاءٌ أو سلامُ
فـإنَّ المـاء ألطفـه ضيـاء وإنَّ الصخـر أكثفـه ظـلامُ
وبالطرفـين صحَّ حدوث كوني ولله التقـدّم والـدوامُ

نزل الروح على القلب ، وقال : ترك الاستجمار في الشرع ، من حضرة فقد الجمع ، وهو مفطور على الزوج والفرد ، والقطع والسرد ، فمن استجمر فقد ميز بين الحدوث [والقِدَم][2] وفصل بين [القِدَم][2] والقدَم ولا يشترط في وجوده عدم الماء في التيمم ، فإن سر هذا أقوى في التحكم وفي الاستجمار يلوح لصاحبه سر رمي الجمار[3] ، فمن أوتر في استجماره فقد أبرأ ومن شفع فقد أخطأ فلا ينام السعيد إلا على وتره ، مخافة أن يكون نومه إلى حشره ، ولو اعتبر فيه الإنقاء فقط لما صح الوتر أن يشترط ، وليس الإنقاء مما يثبت الإلقاء بل اللقاء على الحقيقة بترك الإنقاء [وفائدة الإلقاء][2] لمجرد الإلقاء في البحر الذي يكون بين اللقاء والإلقاء ، يهلك الغرقاء وهم المنكرون على العالمين بالله أسرار ما يهبهم الله من لدنه ، فهم العلماء السوء التالفون الحمقى ، والبقاء لازم لترك الاتقاء فيه ، يصح الوجود ، ويشرق الموجود ، ويثبت العابد والمعبود ، ولا تلتفت لقول من يرى الوتر في

---

1 الاستجمار : إزالة النجاسة بالحجارة ، لأن النجاسة تزال إما بالغسل أو النضح أو الصبّ . (الفتوحات ، دار صادر (384/1) .

2 هذه الزيادات من (ع . ي ، 107) .

3 رمي الجمار : وهي الحصاة الصغيرة قدر حبة الحمص ، تجمع من مزدلفة وترمى في منى أيام الحج .

الاستجمار بالأحجار المتفرقة فقد يكون في الحجر الواحد الثلاث متفقة . جعلنا الله وإياكم ممن جمع بين عقله وشرعه ، ووقف على حقيقة فرقه وجمعه ، آمين بعزته .

8 ـ في معرفة أسرار المضمضة[1]

مَضْمِض لسرِّ المناجاة التي بهرتْ آياتهـا [لا][2] لذكر الله بالسِّرِ
وإن تشا فلتمضمض بالتلاوة أو بالذكر في عالم الأرواح والصورِ
تَفُزْ بسرِّ العبادات التي سترت عين الحقائق عن جنٍّ وعن بشر
فـإنَّ في الفلك الكرسيِّ صورتها في عالَم الحفظ لا في عـالم الغيرِ

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل الأكمل تثليث المضمضة بك أجمل مضمض بالغرفة الواحدة في طهر الظهر ، لظهور ذوقك ، وفي طهر العصر لتعلق ذوقك بمذوقك ، وفي ظهر المغرب لدهشتك عند وجود اللذة في ذلك الوقت ، وفي طهر العشاء لتحصيل الكثير منه بالغت[3] وفي طهر الصبح لنيل المطلوب ، والاجتماع مع المحبوب ، ويا أيها الحسن مضمض بالغرفة الواحدة في طهر الظهر ، لظهور سر الذكر بالمسطور ، وفي طهر العصر ، لاستناد الذكر بالهوية إلى المذكور في [طهر][2] المغرب لشرف الذكر بالهوية على المذكور من مقام الغيرة ، وفي طهر العشاء لجذب المذكور الهوية إلى مقام الحيرة ، وفي طهر الصبح لتسريحها في ذلك الجذب الذي صح لها في طهر العشاء ، إلى الاتساع والشرح . والثانية : يا عقل مضمض بالغرفة الثانية في طهر الظهر لظهور شريك ، وفي طهر العصر لاتصال الشارب منك بمشروبه ، عند ربك ، وفي طهر المغرب لانتقال المشروب إلى كونك ، وفي طهر العشاء لسريانه في مجاري فكرك ، لتقديس عينك ، وفي طهر الصبح لانتظام شملك به في رداء صونك ، ويا حس : مضمض بالغرفة الثانية في طهر الظهر لظهور سر ذكرك بالأبنية وفي طهر العصر لاتحادها بالمذكور في الأبنية ، قيل للسوداء الخرساء : أين الله ؟ فأشارت بالظرفية ، وفي طهر المغرب لدقتها في صريح

1 المضمضة : هو تحريك الماء في الفم وهو من سنن الوضوء .
2 زيادات من (ع . ي ، ص 108) .
3 الغت : أو الغط سواء . وهو ما بين النفسين من الشرب أو تغطية الفم عند الضحك .

الذكر وفي طهر العشاء لانطباق محل الذاكر عليها الساتر ، وفي طهر الصبح لحشرها من ذلك القبر تصديقاً للحاشر . والثالثة : يا عقل مضمض بالغرفة الثالثة في طهر الظهر لظهور ربك ، وفي طهر العصر لانتشاره في مجال عطشك بعيشك وفي طهر المغرب لقلب عينه في صورة ذاتك ، وفي طهر العشاء لحيرة فضلته في زوايا ذاتك ، وفي طهر الصبح لبروزها عن قوة صفاتك .

ويا حس : مضمض بالغرفة الثالثة في طهر الظهر لظهور سر ذكرك بالخطاب في المرتبة الفضلية ، وفي طهر العصر لجمعك بين الهوية والآنية والأينية ، وفي طهر المغرب لصمت الناطق ، وكلام الحق الصادق المستور وفي طهر العشاء لمحق الذكر عن الذاكر والمذكور ، وفي طهر الفجر لاتحاد علم خطابه لك أنت أنت ، وأنا أنا ، وأنا أنت ، ولست أنا ، ولست أنت ، فلا أنا إلا بك ، ولا أنت إلا بي ، صورة ، كمال الوجود في طلب الأجرة .

جعلنا الله وإياكم ممن ذكر وتلا ، وتنزه في المراتب العلى ، آمين بعزته .

9 ـ في معرفة أسرار الاستنشاق[1] والاستنثار[2]

إذا استنشق العبدُ الذَّليـــل فإنّــه ... عزيـــزٌ ، والاستنثار يُذهبُ عزَّهُ
فإنهما مــن عالَــم الضدِّ والهوى ... وحــرزٌ من الشيطانِ أن يستفزَّهُ
ومن شاء فليهدم جدار وجوده ... لِيُظهـــر للعـــين السليمــة كنزَهُ
ومن عادة الحبر اللبيب إذا انتهى ... إلى اللجــة العمياء يحفــظ حرزَه
إذا كنتَ ذا ملك أتى كل تاجر ... إليــكَ فقيــر النفس ينشر بَزَّه
فتتركُ منــــه مـــا تشا لتذِلَّــهُ ... وتأخـــذُ منـه مـــا تشا لتعزَّه

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل الأعلى ، استنشق واستنثر ثلاثاً فهو بك أولى ، يا عقل : استنشق **بالغرفة الأولى** لكشف حقيقة عزّك بالله ، ثم استنثر لكشف حقيقة ذلك ، عند دخولك ، إلى مشاهدة الحق من طريق الانتباه ، وذلك في طهر الظهر ، وفي طهر العصر لمقابلة عزك بعزه ، على الانفصال والاتصال ، وفي

---

1 الاستنشاق : جذب الماء إلى داخل الأنف بالنَّفس .

2 الاستنثار : إخراج الماء من الأنف .

طهر المغرب لاتحاد عزه بعزك على الكشف وحجاب الضلال ، وفي طهر العشاء لعجز عزك دون عزه على الجمع والفرق ، وفي طهر الصبح لظهور عزه دون عزك فيك ، للحاضرين على السر ، والتجلي في مقعد الصدق .

ويا حس ـ استنشق لظهور علم الروائح في عالم الشم ، ثم استنثر لإزالة الخطم[1] ، وفي طهر الظهر ، وفي طهر العصر لإدراك الروائح في الخطم على الفناء والبقاء ، وفي طهر المغرب للروح لدرج الروائح في الخطم على الغيب والشهادة ، وفي طهر العشاء لطيهما عن إدراك العين على القبض[2] والبسط[3] من أجل الإفادة ، وفي طهر الصبح لنشرهما من ذلك الطيّ على الهيبة[4] والأنس[5] في حضرة نفس القدس .

الغرفة الثانية يا عقل : استنثر في طهر الظهر للكشف حقيقة أنفتك على الكون ، ثم استنثر لكشف معرفتك بالعين ، وفي طهر العصر لسريان روح المعرفة على البعد[6] والقرب[7] ، وفي قالب الأنفة ، وفي طهر المغرب لتواري الأنفة ، بمطالعة الغيب على الغيبية[8] والحضور[9] ، وفي طهر العشاء لنية المعرفة بتواري الأنفة على المحو[10] والإثبات[11] ، في البيت المعمور ، وفي طهر الفجر لاطلاع الأنفة عليها ، من أفق الكون المغيب عنها ، على التواجد والوجد[12] ، وحصول الوجود فيهما لصحة الفقد ، ويا

---

1 الخطم : مقدمة الأنف والفم . وفي الحديث : «لا يصلِّ أحدُكم وثوبه على أنفه ، فإن ذلك خطمُ الشيطان» .

2 القبض : واردٌ يردُ على القلب توجبه إشارة إلى عتاب وتأديب .

3 البسط : هو من يسع الأشياء ولا يسعه شيء ، وقيل : هو حالُ الرجاء .

4 الهيبة : هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب .

5 الأنس : أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال الجلال .

6 البعد : الإقامة على المخالفات وقد يكون البعد منك ويختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال وكذلك القرب .

7 القرب : القيام بالطاعة ، وقد يطلق على حقيقة قاب قوسين .

8 الغيبة : غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسّ بما ورد عليه .

9 الحضور : حضور القلب بالحقِّ عند غيبته .

10 المحو : رفع أوصاف العادة ، وقيل إزالة العلة ، وقيل ما ستره الحق ونفاه .

11 الإثبات : إقامة أحكام العبادة ، وقيل إثبات المواصلات .

12 الوجد : ما يصادف القلب من الأحوال المغيبة له عن شهوده .

حس : استنشق في طهر الظهر لظهور علم الفرق بين الروائح ، ثم استنثر عن إدراكه من قبل الأنف ، لأنه من قبل باب العادة [والعرف][1] في الروح والحس ، وفي طهر المغرب لخفاء الشم عند صاحب الأنفة مع وجود الإدراك على الصحة والعلة بالمس ، وفي طهر العشاء لذهابه بالكلية بزوال العضو ، وفي طهر الصبح لوجودها في السكران والنائم ، بعد الإفاقة والصحو .

الغرفة الثالثة : يا عقل استنشق ثالثة في طهر الظهر لكشف حقيقة كبريائك ، في مقابلة أعدائك ، ثم استنثر بزواله في مقابلة أوليائك ، وفي طهر العصر لتعانق الكبريائين بين العلم والجهل في الردائين ، وفي طهر المغرب لسقوط الكبرياء في البحر ، على العلم والظن بمشاهدة القهر ، وفي طهر العشاء لمعرفة أين غاب الكبرياء المذموم بالعلم ، أو بالشك ، حذراً أن يقبله الأفق المشوم وفي طهر الصبح لظهوره فيك في غير موطن الأعداء ، على العلم والفقد ، بتصحيح القبول والرد .

ويا حس استنشق لظهور عالم السوية ، بين الروائح المتضادة في وقت دون وقت ، في طهر الظهر . ثم استنثر بترك ما حصل لك إلى عالم العوائد للعطاء الغمر ، وفي طهر العصر لمعرفة هل ذلك عن تعشق الإدراك بها على الظاهر والباطن ، وفي طهر المغرب لدرج بعضها في بعض ، من أفقين عند الراحل والقاطن .

وفي طهر العشاء لغنائهما معاً في ظله بظهور سلطان أحدهما وعزله ، وفي طهر الصبح لإيجاد الشم وذهاب المشمومات .

جعلنا الله وإياكم من أهل الروائح والأنفاس ، وعصمنا وإياكم من ملابس الوسواس .

10 ـ في معرفة أسرار غسل الوجه

إنَّ الحيـــاءَ لبـــاب الله فتّـــاحُ ووجهـــه خلـــف ذاك البابِ وضّاحُ
وغسلُك الوجهَ بالشرع الذي شرَعتْ رسلُ الحبيب لـذاك البـاب مفتـاحُ
فاقدحْ زنـاد وجودِ الكشفِ تحظَ بـه إنَّ اللبيـبَ لزنْـدِ الكشفِ قـدّاحُ[2]

---

1 زيادة من (ع . ي ، ص 109) .

2 الزند : العود الأعلى الذي تقدح به النار .

نزل الروح الأمين بغسل الوجه على القلب ، وقال : أيها العقل اغسل وجهك بالغرفة الواحدة لطهر الظهر ، لظهور سرّ المراقبة ، وفي العصر لاتصافك به ، وفي المغرب لتعلقه بالمراقب ، وفي العشاء لتكلفك فيه ، وفي الصبح لشهود المراقب ، ويا حسّ اغسل وجهك في الظهر لظهور سرّ الإقناع عند مشاهدة الجلال ، وفي العصر لتوقفه عليه ، وفي المغرب لوجوده قبله ، وفي العشاء لبحثه عنه ، وفي الصبح لظفره به في هذا القالب .

الغرفة الثانية : يا عقل إغسل وجهك بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سرّ الحياء[1] ، وفي العصر لارتباطه بالإيمان ، وفي المغرب لانفصاله عنه ، وفي العشاء لاشتماله على الخير بكله ، وفي الصبح[2] لما ينفعل عنه .

ويا حس اغسل وجهك في الظهر ، لظهور سر السرور ، عند مشاهدة الجمال ، وفي العصر لارتباطه به ، وفي المغرب لوجوده قبله ، وفي العشاء لبحثه عنه ، وفي الصبح لظفره به منه .

الغرفة الثالثة : في الظهر لظهور سر المكافحة ، وفي العصر لخفائه بظهورك ، وفي المغرب لظهوره بخفائك ، وفي العشاء للالتفات ، وفي الصبح لما يظهر عنه من الاختلاف . ويا حسّ اغسل وجهك بالغرفة الثالثة ، في الظهر لظهور سر الاعتدال ، عند مشاهدة الكمال ، وفي العصر لسر الكمال في الاعتدال ، وفي المغرب للكمال المخلوق ، وفي العشاء للكمال الخالق ، وفي الصبح لمقابلة الكمالين بضرب من الائتلاف .

جعلنا الله وإياكم ممن رزق سر الحياء ، فاستحت منه ملائكة السماء . آمين .

---

1 الحياء : إما غسل الوجه مطلقاً من غير نظر إلى تحدد الأمر في ذلك ، فإن منه ما هو فرض ، ومنه ما ليس بفرض ، فأمّا الفرض فالحياء من الله أن يراك حيث أمرك وأن يفقدك حيث نهاك . وأما السنة منه : الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك ، فالله أولى أن تستحيي منه . (الفتوحات ، دارصادر 338/1) .

2 وفي (ع . ي ، ص 109) الصباح .

11 ـ في معرفة أسرار غسل اليدين إلى المرفقين[1]

غسل اليديـــن مشروع وغايتـــهُ إلى المرافـــق فاشرع فيـــه وانتظرِ[2]
مواهبُ الحـــقّ فيـــه أنّـــه علمٌ على سرائر عـــين النّفع والضرر
القائمين على كونين قـــد مُزجت ذاتيهما تحت قهر الشمس والقمر
لا تخدعنـــكَ دار لا بقـــاء لها بالله . يـا صاح كن منها على حذر
إن زُلزلت راحَ ذاك المرج وانفصلت هذي إلى الخلد ، والأخرى إلى سقر[3]
فـلا يغرّنك شيءٌ أنـــت تاركـــه فإنمـا النّاس في الدنيـا على سفر

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل . اغسل يدك اليمنى في الظهر لظهور أسرار إيجاد المشرق ، ويدك اليسرى لظهور أسرار إيجاد المغرب ، وفي العصر لإضافة الربوبية إليهما في قوله : رب المشرق والمغرب وفي المغرب لمشاهدة العين الحمئة[4] في المغرب ، وفي العشاء لتبع الشفقين الشمس ، وفي الصبح لمعرفة كرة الأرض بالعقل والحس .

ويا حس اغسل يدك اليمنى **بالغرفة الأولى** إلى المرفق في الظهر ، لظهور سر المرفق ، واليسرى لظهور السر الموجود عند فقد العيش المقلق ، وفي العصر للسكون ، وفي المغرب لفقد القلق بالتعيين ، وفي صلاة العشاء [الآخرة][5] لارتباط الارتفاق بالحركة ، وفي الصبح لعدم تأثير السبب في المسبب ، ووجود البركة .

الغرفة الثانية : يا عقل اغسل اليمنى بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر خلق العالم ، واليسرى لسر أحسن تقويم ، وفي العصر لتعشق الإنسان بالعالم ، لكونه على صرة القديم وفي المغرب لمغيب العالم في الإنسان ، لأنه على شكله ، وفي العشاء لتلف الإنسان في العالم عن مثله ، وفي الصبح لظهور الإنسان بالعالم ، والعالم بالإنسان ، فإنَّ ذلك من مادة

---

1 المرفق : موصل الذراع في العضد .
2 وفي رواية : «الذراعين» .
3 وفي رواية : «المزج» .
4 إشارة إلى قوله تعالى : ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ [الكهف : 86] .
5 زيادة من (ع . ي ، ص 111) .

الإحسان . ويا حس اغسل اليمنى بالغرفة الثانية في الظهر ، لظهور سر البطش ، واليسرى لصنع العيش ، وفي العصر لوجود الصنعة وفي المغرب لقيام الصنعة في القوة وفي العشاء لظهور الصنعة بالفعل من غير العالم وفي الصبح لتحصيل العلم بالصنعة .

والغرفة الثالثة : يا عقل اغسل اليمنى واليسرى بالغرفة الثالثة في طهر الظهر لظهور سرّ التوكل[1] ، وعدم التأمل ، وفي العصر لجعل التوكل سبباً من الأسباب ، وفي المغرب لعدم التوكل على الوهاب ، وفي العشاء لسر الجوع المراد ، وفي الصبح لشؤم الشبع المعتاد .

ويا حس اغسل اليمنى بالغرفة الثالثة في الظهر لظهور سر التقديم لها في الظهور ، واليسرى لبروز سر «كلتا يديه يمين»[2] في الظهر ، وفي العصر لاستوائهما الأسنى ، وفي المغرب لنيابة اليسرى عن اليمنى ، وفي العشاء لتعطيل اليسرى واليمنى ، وفي الصبح لوجود اليمين في اليمنى ، واليسر والعسر في اليسرى .

جعلنا الله وإياكم من المقربين ، وضرب لنا بسهم في أصحاب اليمين .

12 ـ في معرفة أسرار مسح الرأس[3]

مسحت رأسيَ للظلّ الذي نيط بالـ	ـعرش الذي هو بالأنوار محفوفُ
فأعجب لظلٍّ مــن الأنوار منبعث	فيــه الدلالــةُ ، إنَّ الظل موقوفُ
على نتيجتــه لا عــين صورتـه	على استقامته مــا فيــه تحريفُ
العرش سقفٌ لجنات الخلود فدا	رُ الخلد دائـرةٌ فيهـا التصاريفُ
فالعرش إن نظـرت عيناك صورته	مـن [كل] ناحية مـا فيه تجويفُ

---

1 التوكل : اعتماد القلب على الله بالكلية مهما كانت الظروف . وقال ابن مسروق : التوكّل : الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام . (انظر التعرف ، باب التوكّل ، دار صادر ، ص 51) .

2 أخرجه الزبيدي (110/2) .

3 الرأس أقرب عضو في البدن إلى الحقّ لمناسبة الفوق ، ثم له شرف آخر بالمعنى الذي رأس به على أجزاء البدن كلها وهو كونه محلاً جامعاً حاملاً لجميع القوى كلها المحسوسة والمعقولة المعنوية . ثم إن العقل الذي جعله الله أشرف ما في الإنسان جعل محله أعلى ما في الرأس . (الفتوحات ، دار صادر 340/1) .

يا ليتَ شعري والنارُ التي خلقتْ في السفل هل سقفها بالضد موصوف
فالنـارُ دائـرةٌ في جوف جنتكم فبيتهـا بجنـان الخلـد مسقوفُ
لولا الدخان الذي فيها لأدركها نـورُ الجنان [ولكن] فيه تطفيفُ

نزل الروح [على القلب] وقال : امسح برأسك يا عقل في الظهر لظهور سر الظل ، وفي العصر لوجود الظل في النور ، وفي المغرب لحجاب النور الظل ، وفي العشاء لاستواء الظل والنور في الحجاب ، وفي الصبح لتسمية الله بالنور دون ضده .

ويا حس امسح برأسك في الظهر لسر الإقناع ، وفي العصر للعشق ، وفي المغرب للذل ، وفي العشاء لفقد الحواس بالنوم ، وفي الصبح لرجوعها والإخبار بما رأته في النوم للقوم . جعلنا الله وإياكم من أهل الظل الأول ، الذي عليه عند المحققين المعول ، آمين بعزته .

13 ـ في معرفة أسرار مسح الأذنين

طهِّر صماخَيك إنَّ السمع يدرك ما في ذلك الطهر من تعريف مبدعِهِ[1]
إذا يخاطبك الرحمن مـن كثبٍ فإنّـه سامعٌ مـن غير موضعِهِ[2]
في نفسه درك ما في النفس من خيرٍ وفي اللسان ، وهـذا حـد مهيَعِهِ[3]
إذا يكلمني ربـي أقـول لـه يـا ربّ سمعـي محصور فمه يَعِهِ
ودركـه لكلام الله صحَّ لـه : على الحقيقـة لكـن من مشَرِّعِهِ
صلَّى الإلـه على موسى فإنَّ له أصل السَّمـاع اعتناءً في مُسمِّعِهِ

نزل الروح [على القلب][4] ، وقال : يا عقل امسح أذنيك لاستماع التنزلات في الظهر ، وبماذا قبلتها في العصر ، وبما حصل لك منها في المغرب ، ونظر فيها في العشاء ، وقوفك على الأسرار المودعة فيها في الصبح .

ويا حس امسح أذنيك لاستماع القول في الظهر ، ولارتباط السمع بالخطاب في

---

1 الصماخ : مدخل الصوت .
2 الكثب : القُرب .
3 المهيع : الطريق الواسع .
4 زيادة من (ع . ي ، ص 112) .

العصر ، وفي المغرب لسجن السمع في الأذن ، هل هو من الحقائق أو من العادات ؟ وفي العشاء لدرك أصوات في المنام وليست بأصوات ، وفي الصبح لدرك هذه الأصوات النومية في اليقظة بمشاهدة الحفظة . جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون [القول][4] فيتبعون أحسنه[1] فشهد لهم الوهاب بقوله : ﴿أولئكَ الذينَ هداهُمْ اللهُ وأولئكَ هُمْ أولوا الألبابِ﴾ [الزمر : 19] .

14 ـ في معرفة أسرار غسل القدمين

طهِّر بشرعِك أقداماً سعيتَ بها تفــزْ بــأسرار ربٍّ ثــمَّ جبّارِ

والربَّ للقَــدم العليــا منظــره جبــار ذي القــدم الملقاة في النارِ

واعلم بأنَّ لك الكرسيَّ ثم لك الـ ـــكونين فاشكر الوهاب وغفار

علم السوابق [موقوفٌ][2] عليك له والجاريـــات بأكـــوارٍ وأدوار

وقــد أحطتَ بأصناف العلوم فقم فأنــت صاحــب أنــوار وأسرار

فقمتُ مــن عنــده أبغيه ، فالتفتوا قــولي فــإن بــه تدرون مقداري

نزل الروح [على القلب][3] وقال : يا عقل اغسل قدمك اليمنى في الظهر ، لظهور سر مغالطتك في قدمك ، واليسرى لظهور سر عدمك ، وفي العصر للجمع بين القدم والحدوث ، وفي المغرب لمغيب قدمك في قدمه ، عند السير الحثيث ، وفي العشاء لوجودك معه في هيولى المحققين ، وفي الصبح لمطالعته عينك فيها على التعيين . ويا حس اغسل [قدميك في الظهر][2] قدمك اليمنى لمطالع قدم الرب واليسرى لمطالعة قدم الجبار ، وفي العصر لاجتماع المطالع في سماء الأنوار ، وفي المغرب لمغيب قدم الجبار في قدم الرب ، وفي العشاء لمغيب قدم الرب ، وفب قدم الجبار في طلال الحجب ، وفي الصبح لتمييزهما الأيدي على الحكم الأزلي . جعلنا الله وإياكم ممن تثبت قدمه في العالم ، ولم يحجب بما كشف [له][2] من العوالم .

---

1 إشارة إلى قوله : ﴿الذينَ يستمعونَ القولَ فيتَّبعونَ أحسنَهُ﴾ [الزمر : 18] .

2 زيادة من (ع . ي ، ص 112) .

3 زيادة من (ع . ي ، ص 113) .

15 ـ في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء

تشهّد بإثبــات الإلـه ونفيــه فإنّــك مطلوبٌ بإثبــات عينهِ
وفصِّل إذا قامت شواهد وصفه عليك ولا تُلحقه عينــاً بكونهِ
وأبرزه في الكون الغريب بشرطه فإن يَـكُ محفوظاً بأثواب صونهِ

نزل الزوح على القلب ، وقال : يا عقل تشهّد إذا فرغت من وضوءك لصلاة الظهر ، لظهور سر العدد في الأحد ، وفي العصر للألف المعطوفة المألوفة ، وفي المغرب الشاهد لمغيب الأحد في الواحد ، وفي العشاء للأحدية والأبدية ، وفي الصبح لثبوتك لديها ، عند قدومك عليها . ويا حس تشهّد إذا فرغت من وضوءك لصلاة الظهر ، لظهور سر التوحيد ، وللعصر لفناء التفريد ، وللمغرب لوقوع التمجيد ، وللعشاء لحصول التوحيد في التجريد ، وفي الصبح لمشاهدة التوحيد في التبديد . جعلنا الله وإياكم ، ممن وحّد فتوحد ، وأشهد فتشهد آمين .

16 ـ في معرفة أسرار الانصراف من الوضوء إلى الصلاة

ولـمـا أتينــا بالطهــارة كلِّهــا على وفق شرع الله في الحسِّ والعقلِ
أتيت أناجيــه بقــدس كلامــه على نحو ما قد صحَّ عندي من النَقل
فلم يستطع إحداث لفظي لكونه قديمــاً فناجيت المهيمن بالفعل
ولم يستطع مَعْنايَ أيضاً كلامه فقد صحَّ عندي أنّني لستُ بالمثل
فــرد عليّ الله مــن عرش ذاتــه بما طابق اللفظ الذي جاء من ظِلِّي
على نحو مــا أتلوه في النور والهدى بإيجاد وصف العدل منه أو الفضل
ومــا سَمِـع الرحمــن غير كلامه على مقولي في الفرض كنت أو النفل
فصــحَّ لي التعبيرُ عنــــه فإنّه تعالى عن الأصوات والحرف والشّكل
فإن قلتُ : إني قــد تلوتُ كلامه فقد قلت : إنّي ما تلوتُ سوى مثل
فإن تك خالفتَ الذي قد نصصته فقد غُصتَ يا مسكين في أبحر الجهلِ

نزل الروح الأمين على القلب ، فقال : يا عقل ـ انصرف إلى مصلاك ليتلو سبحانه كلامه عليك ، فاستمع وأنصت ، وتحقق ذلك المقام ، وأثبت فإنه مقام الدهش والطيش ، ومحل الحياة والعيش ، فاشحذ فؤادك ، واترك اعتقادك ، ولا تدبر في حين

الخطاب ، ولا تفكر فيما ترد عليه من الجواب ، فإنه مقام التأييد والقوة ومشرب الرسالة والنبوة ، فإن إجابة الحق تعالى [إذا خاطب] لا ينتجها فكر ، ولا يقول لها ذكر : حسب العقل قبول الخطاب ، وقبول ما يخلق فيه من الجواب ، من غير تقدم قصد ولا نية ، ولا فكر ولا روية . ويا حسّ اتل على ربّك كلام ولا تلتفت ، وحقق معنى ما تناجيه [به][1] وتثبت ، وشمر أذيالك ، واجعل خلفك أعمالك وآمالك وضع اليدين مكتوفتين فوق السرة وتحت الصدر ، فاطلب منه ذلك المقام فضل ليلة القدر ، في كونها خيراً من ألف شهر[2] ، واجعل كلَّ صلاة تدخل فيها آخر صلاتك[3] ، وذلك النَّفَس منتهى حياتك ، فلا تزال مقنّعاً[4] ولربّك مستمعاً ، متوشّحاً بالحياء ، غير ملتفت إلى السماء ، طرفك حيث سجودك ، وقلبك حيث معبودك ، وخشية تخشع الجوارح ، وهيبة تقصف الجوانح ، وعبرةٌ تُسفح ، وزفرةٌ[5] تلفَحْ ، وأنينٌ وزمزمةٌ[6] ، وحنين وهمهمةٌ[7] ، وتلاطفٌ في تعاطف ، وتوسلٌ في ترسُّل ، ومشاهدةٌ في مجاهدة ، وتغيُّر في تحيُّر ، واختلاف صفات ، وتنوع حالات ، وآدابٌ وسكينةٌ ، واعتدال وطمأنينة ، إلى أن تفرغ من صلاتك ، فتنظر عند ذلك فيما زكا من صفاتك ، وما تقدس من ذاتك ، فعند ذلك تكون المصلّي السابق ، وغيرك المصلّي اللاحق . جعلنا الله وإياكم ، ممن حضر في صلاته [فأجزل له في صلاته] فكان جزاؤه النور ودار السرور .

17 ـ في معرفة أسرار طهارة الثوب والبقعة للصلاة فيهما

ليس لي بقعـة سوى أرض قلبي وثيـابٌ تزيّنـني غيرَ علمـي

---

1 زيادة من (ع . ي ، ص 114) .

2 ومنه قوله : ﴿ليلة القَدْرِ خيرٌ من ألف شهر﴾ [القدر : 3] .

3 وقال النبيّ ﷺ للذي أوصاه : «صلِّ صلاة مودِّع» . أخرجه أحمد (412/5) ، وابن ماجه (4171) من حديث أبي أيوب بسند فيه ضعف . والحياء (230/1) .

4 الإقناع : رفع الرأس والنظر في ذلّ وخشوع . (لسان 329/5) . !! أظنه مقنعاً للرأس لا رافعاً

5 الزفرة : التنفس مع مدّ النفس .

6 الزمزمة : صوت مبهم من الخيشوم . وهنا استعارة لما يكون عليه العابد حين الصلاة .

7 الهمهمة : تردد الصوت في الصدر .

حدثي صحَّ عن ظهور حُدوثي وظهوري عنه بغيبة رسمي
أنا ثوبٌ على الحبيب وثوبي هوَ حبّي فحكمه عين حكمي
أي طهر في بقعة القلب لمّا وسع الله فانجلى ليل همّي
حقَّ لولا وجود ربّي بقلبي كان يبدو عليَّ ألحان حلمي
وانتقامي من آخر فكما لي في وجود السرور منّي وغمّي
هذه حكمة وهذا حكيمٌ ظهرت منه بين عدلي وظلمي
إنَّ كميّ هو الحجاب وكيفي عن حبيبي فاذهب بكيفي وكميّ
يا حبيبي وإنّني لعديمٌ وغناك الذي أُرَجِّي لعدمي
شطحاتٌ تبدو عليَّ لكوني صورة فيك عند نثري ونظمي
بكَ علقت يا أبي يا حبيبي أنت أرضعتني فجودك أُمّي
ولهذا إليك أرفع كفّي في أموري فأنت ركني وأُمي
ليس لي والدٌ أراه سواكم ما عسى يغني عنه والدُ جسمي
هو مثلي هنا ضعيفٌ فقيرٌ وهمه حاكمٌ عليه كوهمي
مُذ تجلّيتَ يا حبيبي لقلبي لم أزل عارفاً بقدري وباسمي
ثم أني عبدٌ وأنت إله وقويٌّ إذا بَدَأوَهْنُ عظمي
يا حبيبي لقد رمزتُ أموراً في قريضي هذا على حكم زعمي

نزل الروح على القلب، وقال: أيها العقل طهِّر ثوب سرِّك، وبقعة قلبك لتجلي ربك، فإنّ سر الطهارة معقول، كما أن فعلها منقول. ويا أيها الحس طهر ثوبك بالتقصير، فإن الفائزين أهل التشمير، وطَهّر بقعتك النفيسة من عالم التخليط، فإنك من عالم التخطيط عسى يفيض عليك [شيء من العالم البسيط، فإن فاض عليك منه شيء][1] فهو نور أنت فيه وعودٌ أنت بدؤه، وظهور أنت خبؤه، فلولا ظهورك، ما سرى إليك نوره فيك، وبفيضه عليك، وحاجتك إلى تعزز فاعرف قدرك وقدره وتحقق شمسه وبدره، وأشرقت الأرض بنور ربّها وذلك [النور] ظهور تربها، فبقعة الأرض[2] الفلك، وثوبه النور المشترك، فإن تدنس في كمال ظهوره بظل الأرض،

---

1 زيادة من (ع. ي، ص 115).

2 وفي رواية: «البدر».

فظهوره بالسمو عن عالم الخفض ، كما أنّ طهارة بقعة بروز نصف دائرتها للعين ، وعدم طهارتها هو مغيبها تحت هذا الكون ، فنظر الإنسان إليها هو إذن مطهرها ، وعدم نظره إليها هو مقذرها ، وبقعة الشمس فلكها ، وثوبها نورها الذي أخذته من ملكها ، وهو النفس الكلية المنفعلة ، فهي بهذه المنزلة . ودنسها بالحجاب الهلالي المحاقي[1] وطهارتها خروجها عن موازنته في العالم العلوي ، فيظهر ذلك في العالم السفلي ، فطهارة بقعتها كطهارة بقعة البدر الأكبر ، فلا تتحير .

جعلنا الله وإياكم ممن طهر ثوبه وقلبه ، وشاهد في كل حالة من الأحوال ربه ، آمين آمين بعزته .

18 ـ في معرفة أسرار إقامة الصلاة

يـا مُقيم الصلاة مـا لكَ تدعو   للمناجـاة مـن حمـاه العيانُ

وهـي عندي إزاحـة لحجـاب   قرارتـه عنـد الحكيم الكيانُ[2]

ودليلي مَـن قال : قـم يا بلالُ   فأرحنـا بهـا فسُرَّ الـزمانُ[3]

فأقـام الصّلاة فارتـاح قلبٌ   جـاءه الخوف تـارةً والأمانُ

قـل لمن يقـرأ القرآن : تبّحر   في علـوم شتّى حواهـا القرآنُ

خلـف سترادقٍ مـن وهم سرّ   شاهـد الله إذا أتتـه الحسانُ

هـو وَهمٌ وليس علماً ولكن   فيـه سـرٌ لربّنـا وامتنانُ

فـإذا مـا قـرأت قرآن ربّي   أظهر القول مـا حـواه الجنانُ

للفؤاد الكلام مـن غير حـرفٍ   يـا ولي ، وللحـروف اللسانُ

---

1 المحق : كل ما سترك عمّا يغنيك ، وقيل : عطاء الكون ، وقد يكون الوقوف مع العادات ، وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال . وأما بالنسبة إلى الهلال أن يستِرّ القمر ليلتين فلا يرى . بالغدو والعشيّ .

2 وفي رواية هذا البيت :   هي الأراحة لحجاب قدرتـ   ـه عنـد الحكيـم الكيان

3 هو بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله ، مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله . توفي بدمشق سنة 20هـ . انظر الإصابة ، ابن حجر ، دار صادر (182/1) والأعلام (73/2) ، وفي البيت إشارة إلى قوله ﷺ : «أرحنا بها يا بلال» . أخرجه الدارقطني في «العلل» والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار (225/1 ، 125/3) .

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل ﴿أقم الصلاةَ لدلوكِ الشمسِ إلى غسقِ[1] الليلِ وقرآنَ الفجرِ إنَّ قرآنَ الفجرِ كانَ مشهوداً﴾ [الإسراء : 78] .

يا عقل ـ ربك قد دعاك إلى الدخول عليه ، والوقوف بين يديه ، فتسوك بعود أراك[2] تفاؤلاً ، فإن الفأل مشروع ، فهو خير من سبعين صلاة ، وفي رواية من أربعمائة ، كما جاء في الموضوع فألزم الأدب وأحضر مع النسب ، فإن علم النسب يوجب أدبك ، وينهج مذهبك ، وهذا أنت خلف الباب ، تريد رفع الحجاب فقل .

الله أكبر الله أكبر إثباتاً لمن تكبر عليه إعظاماً ، ونزولاً عليه وإلماماً ، وقهراً له وإرغاماً ، ورحمة به وإكراماً .

أشهد أن لا إله إلا الله إثباتاً لمن ادعى الألوهية في نفسه ، حين أوجدها له في يومه دون أمسه فتنعم بها في حسه ، وظهر بها عند أبناء جنسه فحال بينه وبين دوام أنسه .

أشهد أنَّ محمداً رسول الله تحققاً أنَّ الرسالة في الثرى ، وأن كل الصيد في جوف الفرا فسرت سريان النفس في الورى : فمنهم من تقدم ، ومنهم من طلب الورا ، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى .

حيّ على الصلاة إثباتاً للغفلات ، وتعشق الغافلين بالكائنات ، فاتحدوا بها في عالم الكائنات[3] ، انفصلوا عنها في عالم السموات انفصال الروحانيات الملكوتيات .

حيّ على الفلاح تعيّناً للبقاء ونجاة السعداء ، وعدمها من الأشقياء ، والفصل بين الأرض والسماء ، يوم الفصل والقضاء .

قد قامت فقاموا إجلالاً لقيامها ، وبادروا إليها تعظيماً لإمامها ، فوهبتها الأسرار القدسية ، بين افتتاحها بتكبيرها وتمامها بسلامها ، فمن فارح بقدومها جزع من إقدامها ، ومن فارح بقضائها ، إذا كان على بينة من تمامها ، ومن محب في دوامها للتلذذ بكلامها .

الله أكبر الله أكبر : تكبيراً من غير مفاضلة ، وقرباً من غير مواصلة ، وبعداً من غير مفاصلة ، وإنباء من غير مراسلة ، وإنعاماً بمعاملة ، ورؤية من غير مقابلة .

---

1 الغسق : أول الظلمة .

2 الأراك : شجر كثير الفروع طيب الرائحة ، تتخذ منه المساويك .

3 وفي رواية : «الكلمات» .

لا إله إلا الله : إثباتاً للشرك والتوحيد في عالم الجمع والوجد ، في عالم الفرق والفقد ، سر التعطيل والوجود ، والنسبة والتمجيد لانفراد الوعد والوعيد من القريب والبعيد ، بمحل التعظيم والتأييد .

وأنت يا حسنٌ . فقل : الله أكبر الله أكبر تنفي تكبير المتكبرين من غير طريق دعوى المدعين وإرغاماً لأنوف الحاسدين ، ودحضاً[1] لحجة المبطلين ، وإقامة لبرهان المؤمنين أشهد أنَّ لا إله إلا الله ، ردّاً على مَن قال : إنه الله ، فإن الحكيم الأواه ، من قال بنفي الأشباه ، وساوى في الذكر بين القلوب والأفواه ، وفي السجود بين الأقدام والجباه .

أشهد أنَّ محمداً رسول الله إثباتاً لقربه من ربه ، بعالم تربه ، ومن حبه بعالم قلبه ، لصحة حبه ، فاتخذ حبيباً وخليلاً ، وعبداً ورسولاً ، فصحت له السيادة على صحبه .

حيّ على الصلاة : إثباتاً للإيمان وتعشقاً في العيان ، بالبصر والجنان ، في الإساءة والإحسان ، والجحيم والجنان ، فليس العجب من ورد في بستان ، إنما العجب من ورد في قعر نيران .

حيّ على الفلاح : إقبالاً على الإحسان بالأمان ، فإنَّ البقاء بقاءان ، والنجاة نجاتان ، وكل ذلك قد ظهر في الإنسان .

قد قامت الصلاة من قعدتها ، وانحلت لام ألفها من عقدتها ، فصارت سلطانة بوحدتها ، ظهرت في المؤمنين بقوتها ونجدتها ، وفي العارفين بترك عددها وعدتها ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين .

الله أكبر الله أكبر : مفاضلة روحانية ومرتبة ربانية ، ومعادلة رحمانية وتكملة إنسانية ، ونكتة رهبانية .

لا إله إلا الله : شرك مقبول ، في توحيد معلول ، صاحبها مقيد مغلول ، وتاركها في روض مطلول ، لا ملول ولا مملول .

جعلنا الله وإياكم ممن أقامها دائماً ، وكان بأسرارها عالماً . آمين .

---

1 الدحض : البطلان والأنقض .

19 ـ في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة

أكبِّره في كلِّ فعــل على الّــذي   تجلّى مــن الأسماء فيــه لناظري

فإنَّ الذي يبدو إليّ ! هو الّــذي   أراه بــذاك الفعل ربّــي وآمري

قال الروح في تنزله[1] : اعلم أن للجمع حضرتين ، كما بينا من قبل أنَّ الوجود كله مبني على اثنين ، فالله وأعني به الاسم ، حضرة جامعة لجميع الأسماء الحسنى ، والذات التي لها الألوهية ، حضرة جامعة لجميع الصفات القدسية الذاتية ، والصفات الفاعلة في العالم الأبعد والأدنى ، والأرفع والأدنى ، فإذا كنت في حالة من الحالات [من أحوال][2] الأرض ، أو من أحوال السماء فلا شك أنك تحت قهر اسم من الأسماء ، سواء عرفت ذلك ،أم لم تعرف ، أوقفت في مشاهدته أو لم تقف ، فإن ذلك الاسم الذي يحركك ويسكنك ، أو يكونك أو يمكنك ، يقول لك : أنا إلهك ويصدق في قوله ، فيجب عليك أن تقول : الله أكبر . وأنت يا اسم سبب فعله ، ذلك الرفعة السنيّة[3] ، ولله الرفعة الإلهية ، ويصح فعل هذا على طريق المفاضلة فإنها من حضرة المماثلة ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ ادعُوا الله أو ادْعُوا الرَّحمنَ أيّاً ما تدعو فَلَه الأسماءُ الحُسنى﴾ [الإسراء : 110] . كذلك له الصفات العليا ، فإن الله هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبار المتكبّر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الشاكر العليم ، القادر الرؤوف ، الرحيم الرزاق ، إلى ما يعلم منها ، وما لا يعلم ، وما يفهم من صفاته وما لا يفهم وعلى هذا يصح ، الله أكبر ، وبه تثبت المعارف الإلهية وتقرّر ، وهذا أمر مجمل تفصله أعمالك ، وسر مبهم ، توضحه أحوالك ، واعلم ـ قطعاً ـ أن الذات لا تتجلى إليك أبداً من حيث هي ، وإنما تتجلى إليك من حيث صفةٍ ما معتلية ، وكذلك اسم الله لا يعرف أبداً معناه ، ولا يسكن وقتاً ما في مغناه ، وبهذا السر تميَّز[4] الإله من المألوه ، والرب من المربوب ، ولو لم يكن ذلك كذلك لالتحق المهلك بالهالك فقد بانت الرُّتب ، وعرفت

---

1 وفي التجليات الإلهية ، طهران : مركز نشر دانشكاه ، ص 237 : «منزله» .

2 هذه الزيادة من رسالة في سؤال إسماعيل بن سودكين ، ص 237 .

3 وفي م . س ، ص 237 : هذه الجملة فلك الرفعة السببية .

4 وفي رسالة في سؤال إسماعيل بن سودكين ، ص 238 : «يتميّز» .

النسب ، وثبتت[1] حقيقة السبب .

جعلنا الله وإياكم ممن شاهد محركه فكبر ، فتجلى له ما هو أكبر ، بمنه وكرمه ، لا رب غيره آمين[2] .

20 ـ في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة

رفَعنـا يَديْنـا في الصلاة لعِلمنا بأنّـا نُناجيـه ، نشير إلى الفَقْرِ
وأنّـا تركنـا مُلكَنا مـن ورائنا وجئناكَ نبغـي صورة النَّفع والضَّرِ
وإن كان ذاك الفعـل ممّـا أفدتنا مع الوقت فالإنسان من طبعه يجري
وصورتنا في ذلك الفعـل كالّذي يكون بها في موقف الحشر والنّشرِ

نزل الروح [الأمين][3] على القلب السليم ، وقال : دعاك الرفيع إلى مناجاته ، والغني إلى فيض هباته ، فتذلل وافتقر ، وارفع يديك ، في كل خفض ورفع ، عندما تكبر فاترك ما يحصل لك في كل [تجلّ][3] وراء ظهرك ، وقل : هأنذا واقف صفر اليدين بين يديك عن أمرك أبتغي منحة علوية ، أو لمحة كليّة ، فإذا جاءتك المنحة وتجلت لعينيك اللمحة ، فارفع منحتك في كيسك . ولمحتك في تأسيسك[4] واطلب لمحة أخرى ، ومنحة كبرى ، فإنها لا تزال تترى فإنَّ الفيض الإلهي مستمر دائم من عين جوده ، فقابله بالفقر الكياني ، الذي هو مستقر لازم في عين شهوده ، فلا يزال يهب ، وأنت تجمع ، ويعلو وأنت تخضع ، ويُنزل وأنت ترفع ، فإذا حصَّلت هذه المنحة وعقلت هذه اللمحة ، وقفت على أسرار رفع يديك في صلاتك فرأيت مَن دونك راغباً في بركاتك وجزيل صلاتك ، فهب كما وُهبت ، فإنَّك تُعبَد كما عَبدت .

رفع الله هممنا إليه . وأنزلها المنزل المبارك لديه ، آمين .

---

1 وفي رواية (م . س) : «تبينت» ، ص 238 .

2 وقد ختم هذا الفصل ببيت من الشعر :

وَما أسفي إلاّ على العمر ينقضي وليسَ لنا في الاجتمـاعِ نصيبُ

(م . س ، ص 238) .

3 زيادة من (ع . ي ، ص 118) .

4 هذه الكلمة في القاموس التذسيس : وهو حرف القافية .

21 ـ في معرفة أسرار التوجّه في الصلاة

توَّجهنـا وليسَ لنـا وجـوه وأُنطِقنـا وليس لنـا لسانُ
فكـان لنـا البلاغـةُ والبيانُ وحُكِّمنـا على صُـور المعاني
فقُلنـا بانفطـار الأرض فينـا من الأشواق إن هجـر العيانُ
كما انفطر العنـانُ إذا تعـالى وأُمطرنـا ومـا قبـل المكانُ
فهذي حكمـةٌ مـن سار فيها رأى أمـراً يضيق بـه الجَنانُ

نزل الروح الأمين : [وقال : أيها][1] الحباب المتقاطر ، والسحاب الماطر . هذا قد تجلّى لكليتك الإله الفاطر ، فقل لسمائك لا تحجب بلطافتها ، ولأرضك لا تحجب بكثافتها ، فإنه لا بد عند تجليه لسمائك من تخلخلها ، ولأرضك من تزلزلها ، فإياك أن تقع في أشراك الإشراك ، لعظيم آفات الاشتراك ، والزم الوحدة فيها ، يحصل رفده[2] ومجده ، وكن وجهاً مستديراً ، ولا تجعله عبوساً قمْطَريراً[3] ولا تحجب بالجهة الكعبية[4] ، عن الجهة الإلهية القلبية ، وألحق الحياة بقدمها ، والموت بعدمه في قدمها ، والصلاة بحضر ربك ، واجعل النُّسك قربان[5] قربك ، وأقر بالأمر للأمر ، واعترف بالإسلام حذراً من الحُسام[6] الباتر ، وارغب في [الانصراف إلى][7] الفضائل ، وعن الرذائل ، وأسند الأمور إليه ، فإن مفاتيحها في يديه واستسلم للحكم ، تكن من أهل العلم ، وتدرع بثوب الاستغفار ، فإنه يحول بينك وبين النار .

جعلنا الله وإياكم من أهل التوجيه ، وممن يدعي هناك بالمقرب الوجيه آمين .

---

1 زيادة من (ع . ي ، ص 118) .
2 الرفد : العطاء .
3 القمطرير : الشديد ، وفي التنزيل : ﴿إنَّا نخافُ مِن ربِّنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ أي يعبس الوجه فيجمع ما بين العينين .
4 الكعبية : نسبة إلى الكعبة .
5 القربان : ما يتقرب به إلى الله .
6 الحسام : السيف القاطع .
7 زيادة من (ع . ي ، ص 118) .

22 ـ في معرفة أسرار الوقوف والقراءة في الصلاة

وقفْتُ أُناجيه بمعنى كلامه مع الكون وقتاً ، ثمَّ وقتاً مع القِدَمْ[1]
لأنَّك في وقت بوصْفَيْهِ ناطقٌ وفي آخر في عالم النُّور والظُّلَمْ
إذا قلتُ : قال الله ، أعني كلامه وإن قال ربِّي : قال موسى ، فأنت تمْ
تأمَّل علوماً قد أشرتُ ببعضها إليكَ ، فحقِّق ما ذكرناهُ والتزم

نزل الروح [الأمين على القلب السليم] ، وقال : الجامع قد تجلّى والمناجى قد تدلّى ، وأنت أيها المناجي الأسنى ، بقاب قوسين[2] أو أدنى ، فقل يُسمع قولُك وتُجابُ ، ولكن ميِّز الخطاب وفرِّق بين قرآنك وفرقانك ، وبين توراتك ونورك ، وكتابك وزبورك ، فإن المناجاة تختلف باختلاف المقامات ، وتتباين بتباين الحالات ، وتتعدد بتعدد الأشخاص وهي لا تقبل المزيد فتتصف بالانتقاص ، فتنادي في وجودك ولات حين مناص[3] ، فإنك في حضرة الجمع واقفٌ ، ولسيدها الجامع ملاطف ، فإذا منحك من لطائفه ، ووهبك من عوارفه ، فحصل ولا تفصل ، فإن ذلك مقام التحصيل ، لا التفصيل ، فاعلم أنَّ الزبورَ نظير الفرقان [وهما سران ، والقرآن][4] مختص بالمحمدي ، والفرقان له بالاشتراك الموسوي ، فسرُّ القراءة ، في جمع الذاتين واتحاد الصفتين .

جمع الله عليَّ ذاتي وقدَّس باطلاعي على صفاتي ـ آمين .

---

1 وفي رواية : «بعين» بدل من بمعنى .

2 مناجاة قاب قوسين للنبي ﷺ عندما قيل له لا تطلب أثراً بعد عين . الرسائل ، دار صادر ، 203 ؛ أمّا مناجاة أو أدنى : ثم أنشأ لي جناح الفنا ، فطرتُ به إلى حضرة أو أدنى ، فلما نزلت بفنائها ، وسقطتُ على حيطان أسمائها ، أنشدتُ :

من الذي لم يزل ينادي إلى الذي لم يزلْ مجيبا
أسهرت عيني أطلتَ بيني أورثتني الوجدَ والنحيبا
صيرتي في الهوى فريداً متيماً هائماً غريبا

(الرسائل ، دار صادر ، ص206) .

3 أي استغاثوا وليس ساعة ملجأ ولا مهرب .

4 زيادة من (ع . ي ، ص 119) .

23 ـ في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسورة

نورُ الكواكب موقوفٌ على السُّورِ وسُورةُ الحمد نورُ الشَّمس والقمرِ
فانظـر إلى فلك إن دار في فَلَك أعطاكَ علماً بمعنى الروح والصُّور
فسورَةُ الحمد فرقـانٌ يبـينُ على أطرافهـا بانفصال الكون والبشرِ
كما يبـين إذا حقَّقـتَ صورتها إليك قرآنهـا في بـرزخ الصُّورِ
فانظر إلى سُوَر تأتـي على صوَرٍ بصورة النَّفـع أحيانـاً وبالضَّررِ

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : اعلم أنَّ الفاتحة لها طرفان ، وواسطة ومقدمتان ، ورابطة ، فهي الفاتحة للتجليات الواضحة ، وهي المثاني ، لما في الربوبية والعبودية من المعاني ، وهي الكافية ، لتضمنها البلاء والعافية ، وهي السبع المثاني[1] ، لاختصاصها بصفات المعاني ، وهي القرآن العظيم ، لأنها تحتوي على سرّ[2] المحدث والقديم ، وهي أم الكتاب لأنها الجامعة للنعيم والعذاب ، فالطرف الواحد بالحقائق الإلهية منوط ، والطرف الآخر بالحقائق الإنسانية مربوط ، والواسطة تأخذ منهما ، على قدر ما تخير [به][3] عنهما ، والمقدمة الواحدة سماوية ، والمقدمة الأخرى أرضية ، والرابطة لها هوائية ، فيقول الأول : الحمد للمعين ، مصلح عالم الكون ، بالهين واللين ، فيقول الآخر : حمدني الأول في أبدي ، لمّا علم أنه لا ينقضي أمدي ، ثم يقول الآخر : الحمد لله ربّ العالمين ، على الحكاية المعقولة ، وما ثبت له في الرواية المنقولة ، فيقول الأول : أثبتني الآخر ، وملكني ، [وعليه][3] وعلى غيره سودني ، وجعلني مرئياً أينه ، ومصلحاً عينه ، ثم يقول الأول : بسطت رحمانيتك علي عامتك ورحيميتك على خاصتك ، فكنت لهذا الفصل إبراهيمي الأصل فيقول الآخر : لقد أثنى على الأول بما جعل عندي من فيضه ، وإقامتي به بين [يدي] بسطه وقبضه ، وجعلني حاكماً في سماء

---

1 السبع المثاني : وقال أبو عبيد : المثاني من كتاب الله ثلاثة أشياء ، سمى الله القرآن كله مثاني في قوله : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾ ، وسمّى فاتحة الكتاب مثاني في قوله : ﴿ولقد آتيناكَ سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ، قال وسمّى القرآن مثاني لأن الأنباء ثنيت فيه ، وقيل لاقتران آية الرحمة بآية العذاب . (لسان ، دار صادر ، 353/1) .

2 وفي رواية : «صورة» .

3 زيادة من (ع . ي ، ص 119) .

الله وأرضه ، ثم يقول الآخر الرحمن الرحيم ، فيقول الأول الآخر : أثنى الآخر عليّ[1] ، حين أسند المحامد إليّ ، فله عندي ما خبأته وراء حدّي ثم يقول الأول : يا آخر قمت في مُلْك ، وأحطت عيناً بما حصل في ملكك ، ونهيت وأمرت ، فشكرت وكُفرت ، ثم أقِرَّ لك بالمُلك ، وسلم لك باب الملك ، وناداك الملك بالملك ، حين خرجت عن حكم دورة الفلك ، واتخذك ربك وكيلاً ، وما وجدت إلى الانفصال سبيلاً ، فجاز قومك بأعمالهم وأوقفهم على أفعالهم ، فيقول الآخر : إنَّ الأول قد أثبت لي الشرف والمجد ، ومنحني الرتبة العلية حين ساعدني الجد فنعم الجدّ ، وفوض إلى تدبير كونه ، بمغيب عينه ، ثم يقول الآخر : ﴿مالكِ يوم الدِّين﴾ [الفاتحة : 4] فيقول الأول : رد الآخر عليَّ وكالتي ، وصرف إلى عمالتي ، وقال : شهودي إيّاك يمنعني من التصرُّف ، ونظري إيّاك يحول بيني وبين التعرُّف ، فأنت العلي الماجد ، والربّ الواحد . وانتهى الطرف الواحد ، والمقدمة ، وبانت المراتب المسومة ، ثم يقول الأول : يا آخر إليك آويت بالنزول الذاتي ، وبالتنزيل الصفاتي ، في ديجور[2] الليل المظلم ، لإيضاح السر المبهم ، ثم أويت إليك لإظهار الصنائع العلمية ، واستخراج المنافع المعدنية ، فأنت ربها وإمامها ، وعرافها وعلامها ، وبك ثبوتها وقوامها ، فيقول الآخر : الأمر بيننا مشترك ، فمن يضمن الدَّرك ؟ وأنا قد أقمتُ[3] أريك أعمالك ، ثم يقول الآخر : ﴿إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعينُ﴾ [الفاتحة : 6] فيقول الأول : إن الآخر قد قام لي في ذلّة العبودية ليثبت الربوبية ، وقد سأل العون في تدبير الكون ، فلي منها شربٌ ، وله شربٌ ، ولي السقاية ، وله الشُّرب ، فله ما سأل فقل له ينفصل ، فهذا سر الواسطة قد أعلن ومعنى الرابطة قد بين ، ثم يقول الأول للآخر : أي لي عن طريق العقائد والأعمال ، ومراتب الأولياء والأبدال[4] والخلفاء والأرسال ، والمبسوط إليهم نعم المعارف ، والمهدي إليهم حكم اللطائف ، وأوضح لي طريق الأشقياء والضُّلال ، ومرتبة العلماء به المستدرجين والعمال ، فتحق عليهم كلمة العذاب والنقمة ، وتحيد منهم كلمة النعيم والرحمة ،

1 وفي رواية : «فيقول الأول أثنى الآخر» .

2 الديجور : شدّة الظلام .

3 وفي رواية هذه العبارة نصها : «وأنا أجبت سؤالك وقمت» .

4 الأبدال : فهم سبعة ومن سافر من القوم عن موضع وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البديل لا غير وهم على قلب إبراهيم عليه السلام .

فيتيهون في قعر الظلمة ، فيقول الآخر : قد نزل الأول بحجابه ، واستتر خلف بابه ، فله ما سألني عمله ، إذ أقامني بدله ثم يقول الآخر : ﴿اهدِنا الصِّراطَ المستقيمَ صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهمْ غيرِ المغضوبِ عليهمْ ولا الضالّينَ﴾ [الفاتحة : 6] آمين ، فيقول الأول : قد سألني أن أهديه صراطه ، وأشد رباطه ، وأقيمه بالمحجّة[1] البيضاء ، وأجعل منزهه [المهجة][2] الغضّاء ، وأجعله وارثاً لرسلي ، وقائماً بسبلي وأجنبه موارد الهلاك ، ومصارع الهُلاّك ، فله ما سأل ، وما أمل ثم يقول الأول : يا آخر أجبني إلى ما سألتك ، فيقول الآخر [قد أجبت ثم يقول][3] آمين ـ فيقول الأول : إن أخلصت ، فقد فعلت .

فقد أبانت الفاتحة عن الصورة الصادية ، والحكمة العادية . وبقيت الصورة السينية القائمة بالمنازل السنية [وهي][3] في الأعالي والأسافل من مائتين وثمانين وسبع منازل إلى ثلاث منازل ، وتضيق هذه العجالة عن إيرادها فيها ، وقد ذكرناها في الفتوحات المكية ، في المنازل ، بأمهات معانيها لمن يعانيها وأريد أن أقصد هنا إلى بعض سورة الأسرى وما يحصل فيها من التلاوتين من الأنباء وأقول بالتلاوة الإلهية التي لا يسأل عنها بالكيفية ، ولا بالماهية : ﴿والنَّجم إذ أهوى﴾ [النجم : 1] في قلب تعرّى عن الهوى ﴿ما ضلّ صاحبكُم وما غوى﴾ [النجم : 2] ولكنه شرب فارتوى ﴿وما ينطقُ عن الهوى﴾ [النجم : 3] لخروجه عن كرة الهوى ﴿إنْ هُوَ إلاّ وحيٌ يُوحي﴾ [النجم : 4] أنزلناه عليه بلا واسطة كشفاً وتلويحاً ، فكان به ـ عند نزول الواسطة ـ في عالم الألفاظ [عجولاً][4] فصيحاً ﴿عَلَمه شديدُ القوى﴾ [النجم : 5] بحضرة الاستوا ﴿ذو مرّةٍ فاستوى﴾ [النجم : 6] ، بما أيده به من القوى ﴿وَهُوَ بالأفقِ الأعلى﴾ [النجم : 7] غاية مراتب روحانيات العلى ، ثمَّ دنا فتدلَّى ، على المقام الأجلى ، ﴿فكان قابَ قوسيْنِ أو أدنى﴾ [النجم : 9] من المقام الأسنى خلف حجاب العزة الأحمر ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم : 10] فما أمسى عليه يوم ولا أضحى ﴿ما كذبَ الفؤادُ﴾ [النجم : 11] ما رأى من حسن الرؤى ﴿أفتمارُونه على ما يرى﴾ [النجم : 12] ، فهو بحيث لا يرى

---

1 المحجّة : الطريق المستقيم . أو جادة الطريق . زيادة من (ع . ي ، ص 120) .

2 أي تشكّون فيه .

3 زيادة من (ع . ي ، ص 120) .

4 زيادة من (ع . ي ، ص 121) .

﴿ولقدْ رآهُ نزلةً أخرى﴾ [النجم : 13] عند الصيحة الكبرى ﴿عندَ سدرةِ المنتهى﴾ [النجم : 14] مستقر الحسن والبها ﴿عندَها جنّةُ المأوى﴾ [النجم : 15] المحفوفة بالبلوى ، حضرة ارتفاع الشكوى المنتجة للنجوى ﴿إذ يغشى السدرةَ ما يغشى﴾ [النجم : 16] فيعدم البصير ، ويظهر الأعشى ﴿ما زاغَ البصرُ وما طغى﴾ [النجم : 17] ولو طغى لسفل ، ولو زاغ ما ارتقى . فتحقق تلاوة هذه المشاهد ، وحصل هذه المنافع ، من هذا الاسم الجامع .

ثم أقول بالتلاوة الإنسانية ، الجسمانية والروحانية : ﴿والنجمِ إذا هوى﴾ [النجم : 1] ، بالسر الإنساني ، في الموقع الرباني ، ليحصل معرفته ، ويكمل مرتبته ، ﴿ما ضلَّ صاحبُكمْ وما غوى﴾ [النجم : 2] ، يقول قد أصاب المطلوب ، وظفر بالمحبوب ، ﴿وما ينطقُ عن الهوى﴾ [النجم : 3] لأنه مقدس عن التأليف والتركيب ، والتدبير والترتيب ، ﴿إنْ هوَ إلاّ وحيٌ يوحي﴾ [النجم : 4] من الله إلى الرب ، كما تقول في شاهد الغيب ، من السر إلى القلب ﴿علَّمه شديدُ القوى﴾ [النجم : 5] ترجمان الاستوا إليه المستوى[1] ﴿ذو مرّةٍ فاستوى﴾ [النجم : 6] جبّار قهّار ، مقتدر أقوى ﴿وهو بالأفقِ الأعلى﴾ [النجم : 7] فوق فلك الإشارات العلى ثم دنا من حضرة المنى فتدلى ، حين تجلى ﴿فكان قابَ قوسيْنِ أو أدنى﴾ [النجم : 9] أو كحبل الوريد الأدنى ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم : 10] لما اشتغل بمنافعه ، وهو قاعد ، وقام بأسبابه ، وهو راقد : ﴿ما كذبَ الفؤادُ﴾ [النجم : 11] النكتة الجامعة الإلهية ، ما رأى الحقائق الإنسانية ، ﴿ولقدْ رآه نزلةً أخرى﴾ [النجم : 13] ولا كون يرى ﴿عندَ سدرةِ المنتهى﴾ [النجم : 14] حضرة ذات الانتها ، ﴿عندَها جنّةُ المأوى﴾ [النجم : 15] حين مقام السوى ، ﴿إذ يغشى السِّدرة ما يغشى﴾ [النجم : 16] عند صلاة الظهر والعشا ﴿ما زاغَ البصرُ وما طغى﴾ [النجم : 17] لأنه في حظ الاستوا .

جعلنا الله وإياكم ممن عرج به إلى الملأ الأعلى وهيأه لقدومه والحضرات العلى ، آمين .

---

1 ونص هذه العبارة في رواية : «رحمن الاستوا : إله الاستوى» .

24 ـ في معرفة أسرار الركوع وما يختص به من التسبيح

ركعنا نريـــد علم برزخ ذا تناو   تُجـــري لنا البحرين ، إنّك قادرُ

فإن دخل البحرُ الفرات على الّذي   خلقــت أُجاجــاً فالمفضّل قاهرُ

إذا عاينــت أبصارنــا سرَّ فضله   تعبَّدنــا اسم للمهيمــن فاطرُ[1]

فسبّح بالتعظيــم والحمــدِ لفظنا   وأنــتَ لمعنــاه الحكيــم المؤازرُ

نزل الروح وقال هذا : قد تجلى العظيم في عظمته ، لوجود كلمته ، لما وقفت في برزخ الوقفة الذي [هو واسطة العقد ، والمقام الذي][2] يلي اتحاد الفرد بالفرد ، وسنبين ذلك لمن وجده ، عند قوله : «سمع الله لمن حمده» كل من دون الموجود الأول المطلق ، وفوق الموجود الآخر المقيد ، فموجود برزخي محقق ، وخذه حيث شئت ، فإنك تجده كذلك . فإذا وقفت على هذه الحقيقة ، فأنت لجميع مفاتيح الغيب مالك ، فاعرف قدر مقامك ، وإن كان بهيمياً ، من حيث مقابلتك الأرفق فلا تجزع ، فالمحقّق من يركب طبقاً عن طبق ، وعظم من تناجيه وتراً أو عشراً ، ترتفع بذلك عنده قدراً ، وليكن ذلك من حضرة التنزيه ، التي هي على الحقيقة حضرة التنبيه ، فإن المسبِّح هو المنزَّه لا المسبَّح ، وهذا مفتاح قفل من قال من العارفين : سبحاني[3] ، فمن شاء فليفتح ، فإنه سيلوح له الوجه الأغرّ الأصبح ، فهذا من بعض أسرار الركوع ، إذا صحبه شيء من الخشوع والخضوع .

جعلنا الله وإياكم ممن اطمأن في ركوعه ، وإن غلبه الوارد في خشوعه وخضوعه . آمين .

---

1 المهيمن : من أسماء الله ، وهذه الحضرة هي حضرة الشهادة وصاحبها عبد المهيمن والمهيمن هو الشاهد على الشيء بما هوله وعليه ، ولله حقوق على العباد وللعباد حقوق على الله تعالى ذاتية ووضعية ومن هذه الحضرة يقول الله : ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ [البقرة : 40] . (انظر الفتوحات ، دار صادر ، 205/4) .

2 زيادة من (ع . ي ، ص 122) .

3 إن مَن قال هذه الكلمة : «سبحاني» لأنه كان في مقام الفناء .

25 ـ في معرفة أسرار الرفع من الركوع وما يقال فيه

قلـتُ إذ صحَّـت عزيمتنـا وأتـى عبـدٌ بمـن عبـدَهُ
نائيـاً عـن وصف موجـده سمـعَ الله لمـن حمـدَهُ
يـا مقامـاً مـا أرى بدلاً منـه في القلـب لمَن وجـدَهُ
يـا سنـاً لاح لأعيننـا نعـم الطـرفُ الـذي شهدَهُ

نزل الروح الأمين ، قال : لما صحت العزائم ، اتحدت الذوات في الكلمات ، ولما ظهرت المعالم بانت عن القديم الصفات المحدثات ، تجلى القاتم على النفوس باكتسابها ، وفرح العالم باستنادها إليه وانتسابها ، فلما أثبت سمعه السميع ، حمده العبد المطيع .

وقال رضي الله عنه :

إذا صحَّـت عزائمنـا اتَّحدنا وبُئنـا بالصفـاتِ المحـدّثاتِ
عـن الذّات المقدسة التـي لم يدنِّسها العيـون بـالالتفاتِ
وقـد قـال الإلـه على لساني سمعنـا منـك حمدَ الحامداتِ
وجاءتنـا بـه رسل العـوالي على منـن السَّواري السَّابحاتِ

فنادى بربوبيته الإلهية لثبوتها ، وصرح على لسان عبده بإجمال نعوتها ، فإن التفصيل يقيده بحضرة ؛ [ما][1] ولا يقع في ذلك إلا من هو عن الحقائق أعمى ، فإن زاد على هذا الإجمال ، الإقرار بالمنع والعطاء ، للمعطي والمانع ، وأثبت الربح والخسران ، والمضار والمنافع ، للضار النافع ، فقد استكمل قيامه ، وثبت مقامه .

جعلنا الله وإياكم من صح عزمه فاتحد ، ثم بان له محال الاتحاد فتوحد .

26 ـ في معرفة أسرار الهوى إلى السجود

هويتُ مـن القيام إلى السجودِ هُـوِّى الروح مـن فلك البهاءِ
نزلتُ أريـدُ مـا تعطيه ذاتي نزول الحـقِّ لي مـن الاستواءِ
فحقِّق يـا أخـي نظراً إلى مَـن أتـى في الصورتين بـلا افتراءِ
فإنِّـي عندمـا يبـدو كالي إلى قلبـي أقـول بـلا امتراءِ

1 زيادة من (ع . ي ، ص 122) .

أنـــا ربُّ الأسافــل والأعالي وسرُّ العالمـــين عـــلى السواء
فــلي يـــومُ العروبــة والثلاثا ولي يـــوم الخميس والأربعاء[1]
ولي الاثنـــين والسبت المعلَّـى ولي الأحــدُ المحكَّـم في ذُكاء[2]
فتدبيرُ المعـادن مـــن وجودي كتدبير الكواكـــب في السَّماء

نزل الروح [الأمين على القلب] وقال : نزل الحق الرباني إلى السماء الدنيا شاهداً[3] لطالب الدرجة العليا . فقبل الحصول في سمائها ، وبعد مفارقة استوائها ، وهي حالة الشبر والذراع ، والهرولة[4] الواردة في الأخبار ، مجملة غير مفصلة ، وقصد العبد في أي حالة كان يفصلها ، وعند ذلك يحصلها ، فإن التجلي له صورة معقولة ، ووجوه مجهولة ، وفي مقابلتها منك صورة معلومة ، ووجوه غير مرسومة ، لكنها موسومة ، فالصورة التي تخرج إليه فيها ، اطلب تجليه إليك ، فإن بمثلها منه تنزل الرقيقة الإلهية ، في تجليها عليك ، فتحفظ من هذا المقام ، ومن استحكام سلطان الأوهام ، واعلم أن في هويِّك علاك ، كما أن في أرضك سماك ، واعلم أنها حالة هوائية لطيفة ، سريعة الذهاب خفيفة ، كذلك تجليها سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وهي شبيهة بالأحوال ، ليس لها قدم فتطلب برسوخها ، ولا هي حضرة فتبقى من شموخها ، فهي حالة ورديّة سيّالة كالدهان ، ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذِّبان﴾ [الرحمن : 13] .

جعلنا الله وإياكم ممن نزل من سدرته ، إلى دجنته[5] ، فعلم جزئيته من كليته . آمين .

27 ـ في معرفة أسرار السجود وما يختص به من التسبيح والدعاء وقوله جل ثناؤه : ﴿واسجُدْ واقتربْ﴾ [العلق : 19] وسبب عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان :

تفطَّن لوتــرٍ في الركوع محقِّـق وشفع سجـــود إنَّ ذا لعجيبُ
لأنَّك في حال الركوع مبعَّـدٌ وأنت وحالات السجود قريبُ

---

1 العروبة : الجمعة .
2 ذكاء : اسم للشمس لا ينصرف .
3 وفي رواية : «مساعداً» .
4 الهرولة : ضرب من العَدْو ، ما بين المشي والعَدْو . وهذا مقتبس من حديث قدسي .
5 الدجنة : الظلمة .

وسبِّحْ بتسبيح العلــوِّ وحمـــده   فإنَّـك للسرِّ العجيــب مصيبُ

نزل الروح الأمين ، وقال : حصل التجلّي في ثلث ليلة في سمائه ، وصرح فيما يليق بالوقت من أنبائه ، وقد أمرك أن تنزل نزوله ، وتتحقق فصوله ، ودعاك إلى الاقتراب ، الاسم القريب ، فإنك المحب ليس الحبيب ، ولهذا قال لك : واقترب ، ولو كنت محبوباً لقال لك : تقترب ، فإذا لاحت لك عبوديتك في سجودك ، وصحت لك القربة من معبودك ، وتحققت كبرياءه فيها ، وقلت عند ذلك نوفيها ، غلطت وأصبت ، وأحطت وخبت ، فانظر في علوه ، ونزاهته وسموه ، وسبحه على مقدار ما ظهر كما شرع وأمر ، يبدو لك في هذا الخضوع ، ما بدا لك في الركوع ، من إعادة التنزيه إليك ، ورده عليك ، واجتهد في الدعاء ، مع أن قبلته في السماء ، وقبلتك في سجودك في الأرض محل الانحطاط والخفض ، لا تجزع أيها الساجد فإنك[1] لفخذ نقطة الدائرة المشاهد ، وهي الغيب الحقيقي ، والإله الخالقي فمكِّن كفيك من الترب ، فإنك في محلّ القرب ، فتفطن لما رمزناه ، وفك المعنى الذي ألغزناه ، واعلم أنك معصوم في سجودك من الشيطان ، فإنه قهاره فليس له [عليك] سلطان ، إذا عاين هذه الحال اشتغل بنفسه ، واحترق في برج نحسه وصار شاهداً لك عند ربك بالطاعة ومشاهداً لما يؤول إليه من الخسران يوم قيام الساعة ، ويكفيك هذا القدر في سجودك ، فإنه حجابك في استمرار وجودك .

جعلنا الله وإياكم ممن سجد فوجَد ، وتهجّد[2] فتمجد ـ بمنّه وكرمه ، لا رب غيره ، آمين .

28 ـ في معرفة أسرار الرفع من السجود

رفعنــا للتستُّــر والهدايــــة   وجبــرٍ لانكســار في البـــدايهْ
وعافيةٍ وعفـــوٍ مـــن ذنوب   وتحصيل لمــا فيــه الكفـــايهْ
فإن جهــل الفقيه سبيل قــولي   أقــول لـــه كذا أتــت الرِّوايهْ
فإنَّ حقيقــة الكشف المجـــليَّ   بتحصيــل التَّعمُّـــل للولايهْ
وتحصيل التَّكوُّن عــن وجودي   بجــودي في البدايـــة والنهايهْ

---

1 وفي رواية «في سموه» .

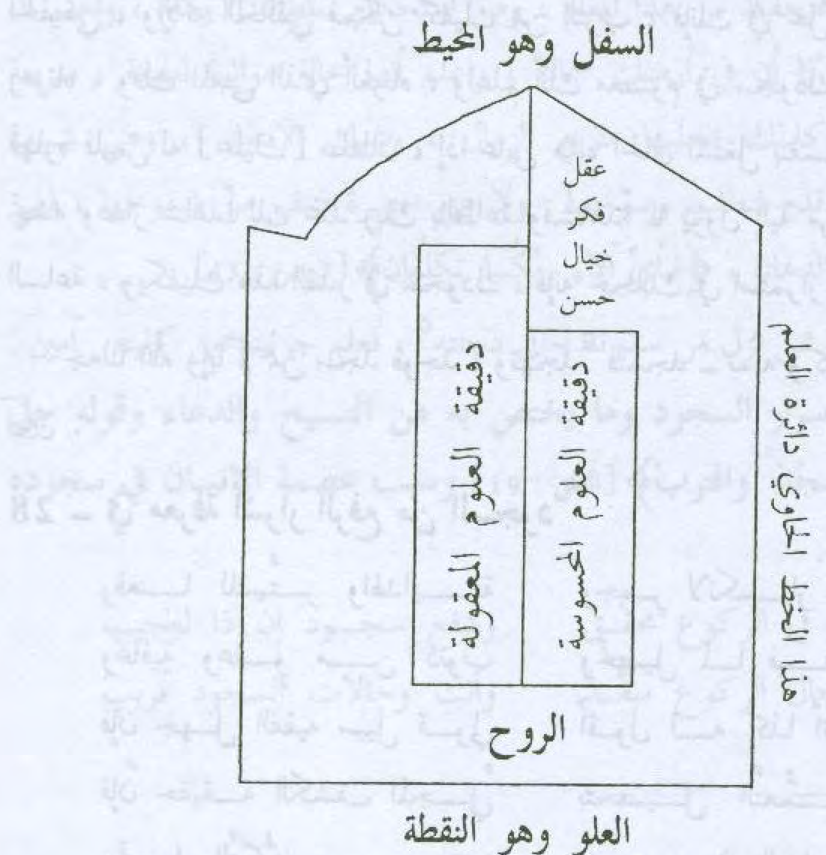
2 التهجد : الصلاة أثناء الليل . وفي رواية : «وتوجد» .

فـذاتُ الشَّخص جامعةُ المعاني لهـــا سرُّ الحقيقـــة والهـــداية

وسرُّ الملقيـــات أمور سعدي وسرُّ الغاويـــات مـــع الغواية

نزل الروح على القلب ، وقال : تنفّس الصبح فرحل المتجلي عن سمائه ، إلى حضرة استوائه فعاين احتراق الأفلاك ، وقيام الأملاك ، واهتزاز الملأ الأعلى ، وما حصَّلت من الحسن والوضاءة المراتب العلى والحجَّاب بين يديه مصطفون ، والروحانيات عليه ملتفون ، وحجابه سبعةُ أعلام ، لهم قضايا في العالم وأحكام ، يقدمهم الغفار ، ثم الراحم ، ثم الهادي ، ثم الرزاق ، ثم الجابر ، ثم المعافي ، ثم العفو ، والله من ورائهم محيط .

فيا إمام عالم التخطيط ، انظر في تصرفهم وقتاً في روحانيتك ثم في جسمانيتك [إذا أرادوا إمضاء العمل الأكمل ، ووقتاً في جسمانيتك][1] ثم في روحانيتك إذا أرادوا تحصيل العلم الأنزل ، وهذا مثاله :



1 زيادة من (ع . ي ، ص 124) .

فهم يمشون بين يديه فوقع منهم التفات إلى عالم الكائنات ، فقال لهم : إلى مَن تلتفتون ؟ وإلى مَن تنظرون ؟ فيقولون طائفة من عبادك ، رفعوا رؤوسهم من سجودهم إليك وسألونا أن نهبهم ما هو خلقه موقوف عليك . فيقول : ادفعوا لهم ما سألوه مما جعلتكم خزنة عليه ، ومحبوسين لديه ، فإن به يظهر سلطانكم ، ويعلو شأنكم ، وقد وكلتكم ، وجميع الخزنة على حفظ العالم ، وكلاءته ، وصونه وحمايته ، والأمر فيه لمن سبق منكم ، إن الوقت للسابق ، ويتأخّر اللاحق ، ثم نظر بنفسه إلى السائلين ، وتطلع إلى الداعين الراغبين ، فعند ما أبصرته الأرواح المسجونة في أقفاصها ، والواقفة في مناصها ، بادرت إلى السجود الثاني لتجليه ، ومرّغت وجهها في التراب لتدليه ، وأثبت بهذا السجود الثاني ما حصل له من الحقائق ، حين كان في نقيض هذه الحالة من السبع المثاني ، فأرسل عليهم خزنة الأسماء ، فأخذوا بنواصيهم[1] من السماء ، وأجلسوهم في بساط حضرة مضاهاة الاستواء ، فهذا بعض ما في الرفع من السجود من الأسرار ، وما يتجلى فيها من الأنوار .

جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحِجاب والحجّاب ، ولازم الباب لتحصيل لباب الألباب . آمين .

29 ـ في معرفة أسرار الجلوس في الصلاة

جَلَسنا في الصلاة عسى نراكُم	على العرش المحـاط بالاستواءِ
فخاطبني جلالـك يـا عبيدي	أنـا في الأرض عندك والسَّماءِ[2]
فما لـك طالبٌ عرشاً محيطاً	بسيطـاً في ذرا أوج العلاءِ
وقلبك قـد نزلـتُ بغير حدٍّ	إليـه عنـد خاتمـةِ السَّواءِ
فنعتك بي إذا مـا كنتَ عندي	صحيحٌ في الفنـاء وفي البقاءِ

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها المضاهي والمباهي به [والمباهي] هذا العرش قد استوى برحمانه ، وظهر المستوى عليه بإنسانه ، وثبت الملك واستقرّ ، ودام الانفعال واستمرّ ، وما بقي حجاب على درك هذه الحقائق ، وتحصيل هذه الرقائق ؛ إلا حجاب

1 الناصية : مقدمة الرأس .

2 مفعول لفعل محذوف تقديره : قال .

واحد ؛ وهو مزج هذا العالم المحسوس المشاهد ، فإذا وقع الانفصال ، وزال الاتصال ، وحييت صور البرازخ ، وبان المقام الشامخ للعالم الراسخ ، حينئذ تجلت الحقائق ، وعوينت كيفية امتداد الرقائق ، بالخلائق من الخلائق وأدركت ما غاب عنك من الأسرار ، في اعتمادك على اليسار ، وبان لك عموم نشأتك ، لتنوع هيئتك .

جعلنا الله وإياكم ممن استوى به سريره ، وأشرقت بالرؤية الإلهية أساريره .

30 ـ في معرفة أسرار التشهد في الصلاة ، إن شاء الله

إن السعــادة سرٌّ في التحيــات   الكائنــات اللواتــي في المنــاجاةِ
ثم الصلاة على الرسول[1] مرشدنــا   ثــم السلام علينــا بالكناياتِ
ثم السلام على السادات أجمعهم   الكائنـين هنــا أو في السمواتِ
ثم الشهادة بالتوحيــد مطلقــةٌ   فــرض علينــا جميعاً والرِّسالاتِ
فانظـــر سرائرهـــا تأتي على قدَر   على القلـوب بألطاف الإشاراتِ

نزل الروح الأمين على القلب وقال : أنت قد دخلت حضرة الاستواء وتعاليت عن حكم الأرض والسماء ، فحي من ضاهيت ، وسلم على من تولاك حين توليت ، وزك وبارك ، وطيب وأوجز في الخطاب ، وقرب تلح لك أنفاس الأنوار ، وتزكو أفعالك قبل إلقائها عصا التسيار ، وتظهر البركة ، في عموم الحركة ، وسلم على من أرشدك ، وفيه[2] من أنت بين يديه أسعدك ، مقرّاً بإثباته بحرف ندائه ، ثم سلم تحية من عند الله مباركة طيبة على نفسك ، وعلى أبناء جنسك ، فإن السلام هنا مولاك ، وحضرة السلام مجلاك ، وأقر بوحدانية الأحد ، وانف الشريك [والولد] ، ولا بد لك أن تغيب هناك ، فإن في غيبتك تحصيل مناك ، واشهد للمبعوث بالخلة والمحبة ، فهي أعلى درجات القربة وأثبت له الرسالة العامة ، الظاهرة لسيادته يوم الطامة[3] وأضفه إلى الله لا إلى غيره ، فإن في ذلك جوامع خيرة ، فإذا تجلى القاضي والمفتي ، على منبره ذي الخمس الدرجات فناده ، يا عائذ أعذني ، من هذا المفتي ، مما يقابل هذه الدرجات من

---

1 وفي رواية : «المبعوث» .

2 وفي رواية : «وبه» .

3 يوم الطامة : يوم القيامة ومنه قوله : ﴿فإذا جاءت الطامةُ الكبرى . يوم يتذكّر الإنسانُ ما سعى﴾ [النازعات : 34] وهي الصيحة التي تطم على كلِّ شيء . (لسان 196/4) .

الدركات ، فإن تجلى لك [من] في المنبر ذي السبع الدرجات ، فردّد[1] الاستعاذة من المآثم والديون ، فإن رأنها[2] أقبح ما يطلع على القلب من الريون .

جعلنا الله وإياكم مما نجا من جحيم دركاته ، حين لجأ إلى نعيم درجاته آمين .

31 ـ في معرفة أسرار السلام

سلامٌ عليكم أهلَ بيتي ومسكني فقد جئتكم بالخير من عند مُسكني
سلامٌ على اسم قـد دعاني لحكمه لسلطانـه فارتـاح سرُّ ممكني
سلام اتصـال وانفصـال بمشهدٍ وعـن مشهدٍ أفناه عنـي تمكني
سلامٌ عليـه ثـمَّ منـه سلامـه بـه لا بنفسي لـو عرفت تلكني
سلامٌ على مـا لاح من حركاتنا علينا فهـل يـومٌ يراني مُسكني

نزل الروح وقال : إذا أردت ـ أيها المصلي ـ أن يقبل كلامك ، ويتلقى بالترحيب سلامك ، فلا تدخل مصلاك ، حتى تعرف من تولاك ، وتتفرغ عن أهلك ودكانك ، وعمادك وسلطانك ، فإذا فرغت من الأكوان ، فانصب ذاتك لمشاهدة الرحمن ، وإلى ربك فارغب في الدوام ، إن أردت أن تفوز بلذة السلام ، واعلم أن المسلم من صلاته رجلان ، لهما طريقان فإن كانا في شخص واحد فقد جمعت له الحقيقتان ، فالعالي من سلّم لكونه انفصل من أمر ما ، إلى أمر ما ، إلى اسم ما ، عن[3] اسم آخر ، فيكون سلام توديع وإقبال ، إما من جليل إلى جلال ، أو من جميل إلى جمال ، والدون من سلم على الرحمن ، وعلى الأكوان ، فسلامه على الرحمن لانفصاله ، وسلامه على الأكوان لرجوعه إليهم واتصاله ، ولهذا لا يسلم المصلي على يساره ، إلا إذا جاوزه مثله ، فيظهر فيه ظله ، ومن خرج عن هاتين الحقيقتين لم يصح سلامه ، ولا قبل كلامه ، فإنه لم يكن عند الحق فينفصل عنه بسلام ، ولم يغيَّب عن الأكوان فيسلم عليه عند الإلمام ، وهذه صلاة العوام بريئة من الكمال التمام ، ليس لها انتظام ولا التمام .

جعلنا الله وإياكم ممن سلم على اسم من اسم ، وتحكم في حكم من حكم . آمين .

---

1 وفي رواية : «فرد» .

2 الران : الغطاء والحجاب الكثيف ومنه قوله تعالى : ﴿كلا بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين : 14] .

3 وفي رواية : «من» .

32 ـ في معرفة أسباب السهو والسجود له

ولّما سهونا عن مناجاة ربّنا وثارَ علينا ثائرُ الغفلاتِ
تثلَّم عرشُ القرب منا فبادرت محاجرنا تنصبُّ بالعبراتِ[1]
فشرّع مولانا السجود لسهونا فحار اللعينُ الرجسَ بالحسراتِ[2]
وكان لذاك الكسر بالفعل جابراً إلهي وأخفاه عن الخطراتِ
فعاد صحيحاً محكم الفعل قائماً قويَّ المباني دائمَ اللحظاتِ

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : إذا التفت المصلي إلى نفس صلاته ، إلى غير من يناجيه ببعض حركاته ، فقد ظهر لهوه ، وثبت سهوه ، فنظر إليه من ناجاه ، فناداه : لم زلت عني ، أتنظر إلى من هو خير مني ، فيحن القلب ، في عالم الغيب ، وإن لم يشعر به المصلي ، إلى ذلك الخطاب من ذلك التجلي ، فيسجد له إجلالاً وتعظيماً ، فيلقى رؤوفاً رحيماً ، فيجبر له التفاته ، فتكمل صلاته ، فيسمى هذا السجود إرغاماً للشيطان ، ومرضاة للرحمن ، ولهذا لم يجبر سهو الصلاة بغير السجود ، لأنه يحزن المطرود ، فافهم هذه إشارة فإنها بنية المتحد ، عزية المشهد ، وكل يسهو على قدره ، فمصل مع شمسه ، ومصل مع بدره ، وتكفيك هذه المنحة الأفقية ، المصلحة لهذه النية .

جعلنا الله وإياكم من لم نره ، فلم يسه ولم يبعد ، فلم يسجد[3] . آمين .

---

1 الثلم : انكسار في حدّ الشيء . المحاجر : ما أحاط بالعين . العبرات : الدمع قبل أن ينفصل من العين .

2 اللعين : الشيطان . والرجس : القذر أو الشيء المحرم .

3 أي لم يسجد سجود السهو .

الباب السادس

الاختصاصات والانفعالات [1]

1 ـ في اختصاص الإمام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات

سلامٌ على اليوم السعيد المعظَّم ... وسلطان أيـّـام الوجود المنظَّم
هــو الأحد المختارُ أول موجدِ ... بـــه البنيةُ العلياء دون التهدُّم
تسمَّى بنعت [2] الله من دون غيره ... مـن أمثالـه فاختصَّه بالتَّقدُّم
به سرت الأرواحُ [3] في كلِّ مسلكٍ ... فيدعى لها قطبُ النَّدي والتَّكرُّم
تصدَّى له قطب الوجود من أفقه ... فعلَّمـــه مـن كلِّ سرٍّ مكتَّم
فأحيا بـه الأرواح في ملكوتها ... وأحيا به أهل اللظا والتجشُّم [4]
وناطت بها الأرواحُ منه فلا يرى ... بمشهده أهـل الأسى والتَّندُّم [5]

خرجت أبقاكم الله ووقاكم ، من روحانية اسم كريم من الأسماء ، إلى اسم آخر ليصعد بي إلى السماء ، فعندما تجرّدت عن هذه السدفة [6] الترابية ، لاحت لنا أعلام المشاهدة الغيبية ، فركبنا الجادة ، وسألنا المادة ، واستعذنا من وعثاء السفر [7] ، وكآبة المنقلب [8] ، وروعة الحذر ، فقطعناها علماً علماً ، واتخذناه لمعراجنا سلّماً ، حتى وصلنا السماء المتوسطة ، والحضرة العادلة المقسطة ، سما النبي آي العلا والمهاة ، وهما أسنى

---

1 هذا الباب السادس والأربعون استشهد منه في كتابه : الفتوحات المكية (502/3) .
2 وفي رواية : «بوصف» .
3 وفي رواية : «الأفراح» .
4 التجشُّم : التكلُّف .
5 وفي رواية : «التندم» .
6 السدفة : من الأضداد وهنا الظلمة .
7 الوعثاء : الشدّة والمشقّة .
8 المنقلب : المرجع والمصير .

الآباء والأمهات ، في إيجاد الحياة ، فلما وصلنا هذه السماء المطلوبة ، واستأذن لنا صاحب الحكمة المحبوبة ، فأذن السيد فدخلنا ، وقام لقدومنا وقعدنا ، وقال : من أين جاء هذا الركب المحفوظ ، المصان الملحوظ ؟ فقلنا : من بلد الجسد الغريب ، فقال : مرحباً بالزائرين من بلد الحبيب ، ما أحسنها من مدينة حصينة ، قامت أركانها على التربيع ، وجعل سلطانها من العالم البديع ، وهذا العالم على جنسين : رفيع ونازل ، وهذا السلطان من الجنس الرفيع ، وقامت بها الصفات الإلهية ، فدعيت بالحي العالم المريد القادر المتكلم البصير السميع ، فأحكمت بتسع قوى مرضعة غاذية ، ونامية ، ومصورة ، وناطقة ، وعاقلة ، وحافظة ، ومفكرة ، ومخيلة ، ومحسة ، فجاءت حسنة الترصيع ، وأتقنت بقوة تجذب المنافع وقوة تمسكها ، وقوة تهضم ما حصل في المعدة ، خوفاً من المضار وقوة تدفعها ، وشرح ترتيب هذه المدينة يطول ، لكثرة ما فيها من الفصول ، لكنها جمعت حقائق المحدثات ، وبعض الحقائق الإلهيات ، ما خلق الله خلقاً أشرف منها ، ولا أُخذت حكمٌ من[1] أحد مثل ما أحدث عنها ، أوتيت جوامع الكلم ، وأودعت فنون الحكم ، يا طول شوقي إليها ، ويا حسرتي عليها ما أشتهي قيام الساعة إلا لردي إليها ونزولي عليها وهي مدينة لا يعرف قدرها ، إلا من عرف سر القدر ، ولهذا جهلتها أرباب الفكر ، هي بوطيقي الحكمة وموسيقى النغمة ، وبرزخ النور والظلمة ، لا زالت آفاقها سافرة ، وأطباقها دائرة ، فخدم الجلساء والحجّاب ، وسجدوا لظل الحجاب ، ثم رفعوا وأصاخوا وأقنعوا وأعاد الكلام السيد الإمام ، والنسّابة العلام ، وقال : عرفتم أن هذا المحل الأسنى ، لا يجوز عليه التكليف ، ولا يتحكم عليه لطيف ولا كثيف ، أين المفصح عنا ببعض ما نحن عليه ، والمترجم عنا ببعض ما قررنا لديه ، فرفع لنا بيتٌ من الذهب الأحمر ، قد فُتق[2] بالمسك وجمر بالعنبر ، ونصب فيه منبر من الياقوت الأحمر[3] ، وخرج الترجمان وعلى رأسه تاج من اللؤلؤ والجوهر ، وقد حفت به أقاويل الملأ الأعلى وروحانية السموات العلى ، وما بقي

---

1 وفي رواية : «أحدث حكم عن» .

2 الفتق : استخراج رائحة المسك بشيء تدخله عليه ، وهو أن تفتق المسك بالعنبر . (لسان 88/5) .

3 الياقوت : من أجود الأحجار الكريمة .

روح إلا حضر ، ولا ملكٌ محجَّب إلا ظهر ، وسطع الشعاع ، وعمر القاع ، واليفاع[1] وسرت الضياءات ، وأشرقت الأنوار وازدانت[2] السموات ، وظهر سلطان الاستواءات ، وتعالى العلاء ، وقام البناء ، وخلص الولاء ، وتمكن الصفاء ، وعظم الإشراق ، وتلألأت الآفاق ، وتبحرت الجداول وأخذت مراتبها الأقاول ، وصعد الخطيب المصقع[3] منبره ، وحمى أثره ، وإذا به معتدل النشأة حسن الهيئة ، وضاح الجبين أشم العرنين[4] ، سبط البنان ، ذرب[5] اللسان من أهل أرين ، وداره بعليين في أحسن تقويم ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، مستدير الوجه الأغر ، كأنما فقيء حبّ الرمان في خده فأحمر ، فسلم ولم يشر ببنانه ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه ، وأداره في شدقه ثم شرع في بيانه فقال : الحمد لله الذي كان ولا شيء معه ، وهو على ما عليه كان ، ثم أبدع العالم واخترعه ولم يرجع إليه أثر من خلقه الكيان ، أوجد ما علم من ذاته لا من شيء ، وأخرجها من غير شيء كانت فيه ولا خبء[6] ، وكان موصوفاً بالوجود قبل كل موجود ، ولا قبل إلا من حيث العبارة ، ولا كان إلا من حيث الإشارة ، والمنهج القويم ، في معرفة ارتباط المحدث بالقديم ، فليس بينهما بينية ولا قبلية ، إذ القبل مخلوق إضافي ، وامتداد زماني ، الحياة ، فسرت منه في زوايا وجود الكون ، وتخللت مسالك كل عين ، وقام ميزان العدل ، في قبة الفضل ، وزالت البغضاء وارتفعت الشحناء[7] وظهر سلطانه في القلوب ، باختصاصات الغيوب ، لا زال مجده سنيّاً ، ومكانه علياً ، ثم نزلت فقلت : يا أبا العلا لم اختصصت بالقلب ؟ فقال لكونه الحضرة التي وسعت جلال الربّ الموضوعة على صورة القلب ،قلت : فلم اختص القوي بها سر المهاة[8] فقال : لكونه معدن الحياة ، وسيبدو لك في روحانية كل سماء ، ما

---

1 وهو ما ارتفع من كل شيء ، وفي رواية : «البقاع» . انظر مختار الصحاح ، ص 743.

2 ازدان : حَسُنَ وجَمُل .

3 الصقع : البلاغة في الكلام والوقوع على المعاني .

4 العرنين : ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم .

5 ذرب لسانه : من يتكلم بالفحش . ؟!!!

6 الخبء : المدخر .

7 الشحناء : العداوة والبغضاء .

8 المهاة : علم للشمس .

يقابله منك من القوى والأعضاء ، فقلت له : أريد أن توقفني مشاهدة عين ، على تأثيراتك في قلوب العارفين ، والعلماء ، والمريدين ، من عالم الكون ، وما تعطيه أفلاكك ، وما تهبه أملاكك ، فأشار إلى بعض جلسائه ، وأكرم خدمائه ، وقال : اخترف به الدور المربع ، وأشرف به على الكون المسبع ، فإذا حصل مفاتيح الخزائن ، وموازين المعارف ، ردّه إليّ ، وأحضره بين يدي ، فاخترق بي تسعين فلكاً ، فرأيت مع كل فلك ملكاً ، يرجع (أمر) هؤلاء الأملاك إلى ثلاثة أملاك : الملك الواحد موكل بالتحليل ، والملك الآخر موكل بالموت ، والملك الآخر موكل بالأنفاس ، ومدة تدبيرهم في العالم ، ثلاثة وثلاثون ألف سنة ، وتدبيراتهم شريفة حسنة ، بين أيديهم سبعة أملاك على صور المردان ، كأنهم قضبان خيزران ، لهم انثناء وانعطاف ، وبركات وألطاف لا نبات بعوارضهم ، ولا تأخر عندهم في أداء فرائضهم ، ولو حققتم مراتب الموجودات ، لاستحال عندكم وجود الأزمان والتقدم بالمكان ، وقضيتم فيها الإحالة بعد الإمكان ، فمن ثبت قدمه ، واستحال عليه إطلاق صيغ الأزمان ، والإشارة بصيغ المكان ، إلا من طريق المجاز ، على الجواز ، لما في عالم العبارة من العجز والقصور ، في ذلك المقام من العلو والإعزاز ، فتطلقها عليه العقول المعقولة بأفكارها ، لتجوز منها إلى إدراك المعاني المقدسية الموصولة في فطرها المؤسسة ، ولولا الإمداد لهذه العقول المتعطشة لمعرفة باريها الحائرة ، لما احتجنا إلى استعمال هذه العبارات القاصرة ، وله الصفات العلى ، والأسماء الحسنى ، والنبأ الأسنى ، وحجاب العزة الأحمى تجلى اسمه الحي فحييت الموجودات ، والقيوم[1] فقامت به الأرض والسموات ، ومن فيهن من عوالم البقاء والاستحالات ، فعنت لحياته الوجوه ، وسجدت لقيومته الجباه ، وأقنعت لعظمته الرؤوس ، وتحركت بذكره الشفاه ، وحبا سيدنا هذا بفنون المعارف والأسرار ، ومنحه جزيل المعارف في مطالع الأنوار ، فأداره مع الأفلاك ، وأسرى به مع الأملاك ، فوقف على الآثار الفلكية ، وتحقق بأسرار اللطائف الملكية ، وخاطب كل روحانية بلغتها فعرّفته بمكان حكمتها ، فلما حل في أوج العلا ، نزل في خط الاستوا خوفاً أن ينحرف إلى أحد الميلين فتذهب بعض معارفه ، وتستحيل إلى الكثافة بعض

---

1 القيوم : اسمٌ من أسماء الله . وقرأ عُمَرُ رضي الله عنه : «الحيُّ (القيَّامُ) ، وهو لغة ، (مختار الصحاح ، الرازي ، ص 558) .

لطائفه ، وعلم ما يكون في طمو البحور ، فأودع الحكم في الصخور ، ثم عاد إلى مرقاه[1] الأوسط ، وحل منه في الوسط ، وهو مقامكم الذي أنتم به قاطنون ، وعنه عند انقضاء كلامنا راحلون ، ثم لما وصل محفوظ الجوانب ، ملحوظ المآرب[2] نكح المهاة ، وأمرها أعراضهم طيبة الروائح ، بأيديهم الطوالع والمفاتح ، قد شمروا أذيالهم ، وقصروا أردانهم ، وثبتوا مكانهم ، علامون بما يراد منهم ، محكمون لما يصدر عنهم ، منهم خمسة لهم حركة واحدة ، واثنان لهما حركتان ، واثنان منهم بين يدي ملك التحليل ، واثنان بين يدي ملك الأنفاس ، وواحد منهم بين يدي ملك الموت ، ما عندهم علم بغير ما هو سلطانهم عليه .

وأما الاثنان فالواحد منهم له علم التحليل والموت ، والثاني له علم الأنفاس والموت فلملك الموت تصريفهما معاً[3] ، ولملك التحليل تصريف الواحد منهما ، ولملك الأنفاس تصريف الآخر ، وهم على درجات معتدلة متساوية في العدد والقوة ، وأحكام الفعل ، غير أن الاثنين أعلم من الخمسة لتحصيلهم العالمين .

فلما عاينت هذه المراتب ، وسلكت هذه المذاهب ، أشرف بي على الكون المسبع ، وهو العرش الأكمل المعظم المكرم الأرفع ، فعاينت ما أحدث الله في قلوب العباد وعلى مراتبهم في حركات تلك الأفلاك ، وتوجيهات أولئك الأملاك ، وذلك أن الله تعالى عنده الحركات الفلكية ، والتوجهات الملكية ، يجمع بين الأنوار والأسرار ، في موقف السواء على دقيقة ، من الحقيقة . في العالم المعقول والمحسوس ، ويسوي بين حقائق النفوس ، ويظهر معارف التأسيس ، ويكسو الأرواح أنفاس النور ، ويذهب كل باطل وزور ، ويحل على العلماء بالله وبالأحكام المسائل المعقدة ، في العلوم المقيدة ، وغير المقيدة ، ويوضح المبهمات ، ويشرح المشكلات ، ويفتح معالم الصنائع في قلوب الصناع ، ويحسن مواقع النغمات في الأسماع ، وتسيل أودية المعارف في قلوب المعارفين في قلوب العارفين ، وتتفجر عيون العلوم في نفوس العالمين ، وتعظم أسرار الأسرار والحكم ، في قلوب الحكماء المحققين ، وتترادف

1 المرقاة : الدرجة أو الوسيلة للوصول لشيء ما .

2 المآرب : الحاجة .

3 أي لملك الموت ، عزرائيل .

التنزلات الغيبيات ، وترتفع الأسرار الرحموتيات ، إلى أعلى فروع سدرة الانتهاءات وتتفتح على الشيوخ المربين علوم العلل والأودية ، ومعرفة اعتدالات الأهوية النفسانية المردية ، وغير المردية ، وتبدو لأهل المجاهدات تنتجه المجاهدات ، وتعطي ما فيها بالقوة من الكائنات المستحسنات ، فطائفة منهم تتنعم بالمشاهدات الذوقية ، وطائفة منهم تتنعم بمشاهدات الأنفاس والروائح العطرية ، وفي الحضرة تجتمع هذه المقامات ، وعليه تبدو هذه البركات ، وفي هذه التوجهات والحركات ، تنفخ أرواح المعاني في قلوب أهل البدايات ، وترضع أطفال المريدين ثدي أوائل التجليات ، وينتشر عالم الصعود ، وتقلب أحوال البقاء ، وتتشوف همم العارفين إلى الوصال ، ويتسابق العباد بالأعمال ، والمريدون بالأحوال ، ويفنى ما يضاد البقاء ، ويموت ما يقابل الحياة ، ويمحى ما يناقض الإثبات ، فهذا ذكر ما عاينت في الكون من تأثير النمط الأول من هذا الدور .

ثم ردني إلى النمط الثاني من هذا الدور فقطع بي تسعين فلكاً ، أبصرت أيضاً من كل فلك ملكاً ، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك : الملك الواحد موكل بالحياة ، والملك الآخر موكل بالتركيب والملك الآخر موكل بالفناء . ومدة تدبيرهم في العالم أربع وعشرون ألف سنة ، بين أيديهم سبعة أملاك مقتبلو الشباب ، كأنهم أبناء خمس وعشرين سنة ، معصومون في أعراضهم أقوياء في انتهاضهم ، أشداء على التصريف ، علماء بحدود التعديل والتحريف ، وحالهم مع الثلاثة الأملاك كحال السبعة الأملاك المتقدمين في الخدمة ، وترتيب الحكمة ، خمسة منهم علماء بفن واحد ، واثنان لملك الحياة ، وواحد لملك التركيب ، واثنان لملك الفناء ، والاثنان الباقيان ، الواحد عالم بالحياة والتركيب ، والآخر عالم بالتركيب والفناء ، فلما عاينت منحاهم وتحققت مغزاهم أشرف بي على الكون المحبوب ، لأرى تأثيراتهم في القلوب بأنواع الغيوب ، وذلك أن الله تعالى عند خلق هذه الحركات الفلكية ، والتوجهات الملكية ، يظهر عالم الأسرار ، على عالم الأنوار ، ويكون العلم في المغرب أكثر منه في المشرق ، ويقر العارف الرباني ، بالسبق الإلهي المحقق ، ويتقوى سلطان الاصطلام[1] على أهل الأحوال والكرامات ، ويتمكن العلم النوري في قلوب أهل

---

1 الاصطلام : نَعْتُ وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه . وفي اللغة القطع من الأصل .

المقامات ، وطلبت الأسرار عالمها وسلطنت عالمها ، واحتدت شوكتهم ، واحتدت بيركتهم ، وقامت مملكتهم[1] ، واستحكم سلطان الشهوات على عالم النفوس وبانت حقائق الحس والمحسوس ، وظهر الضعف في العقول . وانقطعت موارد المعقولات ، واستمرت مواد المنقولات ، واحترقت النفوس شوقاً إلى التجليات ، واستحكم سلطان الحب في نفوس المحبين حين ظهرت لهم اتصالات النهايات ، ورفعت لهم أعلام الغايات ، وتعمرت بحار المحسوسات ، بفنون الانفعالات ، ورضع أطفال المريدين ثدي الملقيات ، وتجلت العظمة المعظمة لأسرار الأولياء ، وتمكنت النشأة البشرية ، بما أعطيت من الأسماء الإلهية ، من تسخير الأرواح البرزخية . والأرواح التي أسرارها في أقدامها ، والأرواح التي معارفها في جوانبها . فهذا ما عاينت في الكون من تأثير النمط الثاني من هذا الدور ، وقطعت كل نمط من هذا الدور بإقامتي فيه خمسة عشر يوماً ونصف يوم وست ساعات ، كل يومن منها مقدار ستة أيام ونصف من أيام الدنيا ، ثم ردني إلى النمط الثالث من هذا الدور فجبت تسعين فلكاً ، قد وكل الله مع كل فلك ملكاً ، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك . الملك الواحد موكل بالأنفس والآخر موكل بالأرواح ، والثالث موكل بالميزان ومدة تدبيرهم في العالم خمس عشر ألف سنة ، يتصرف بين أيديهم سبعة أملاك كهول ، وقد كملت قواهم ، وتحكمت عقولهم وحسن تدبيرهم ، وهم في التقسيم على حكم الخدماء المتقدمين في الدرجات والتساوي ، فلما اطلعت على سرهم ، وكشفت ما خفي على الناس من أمرهم ، نزلت إلى الكور لأرى تأثيرهم المودع في ذلك الدور ، وذلك أن الله تعالى ساوى في الدقيقة بين عالم الأسرار ، وبيّن عالم الأنوار ، وسكن قلق المشتاق ، وخمدت نيران الاشتياق ، وطرأت على القلوب التغيرات ، وقلت المعارف ، وتوقفت التنزلات ، واحتجبت المقامات المتجليات[2] وانقطعت موارد علوم العلل والشفا ، وذهبت أسرارهم[3] ، فكان أصحابها على شفا ، ورجع العالمون عارفين بسر الانتقاص ، وحكمة المناص ، وتوفرت دواعي

1 وفي رواية : «بمملكتهم» .
2 وفي رواية : «المتخيلات» .
3 وفي رواية : «أسرار الأقدام» .

الإخلاص ، وحصل الواقفون في موقف السلب وتجلي الاسم الحفيظ ، للملأ الأعلى من انضغاطهم كظيظ[1] ، وانتقلت المحبة من المحبوب ، إلى المحب المطلوب ، ووقعت العصمة على الخواطر والقلوب ، وانطردت الأبالس والوساوس ، ولم يكن لعالم الأرواح قوة التصرف إلا في الخسائس ، فظهرت أسرار الأكوان ، وما تضمنه الملوان[2] ، واستوى الخفيف والثقيل ، والبعيد والقريب ، فهذا بعض ما عاينت في الكور من هذا النمط الثالث ، من هذا الدور ، وقطعته في خمسة عشر يوماً ونصف يوم وست ساعات .

كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف يوم ، من أيام الدنيا ، ثم ردني إلى النمط الرابع في هذا الدور فدرت مع تسعين فلكاً ، قد رتب الله بكل فلك ملكاً ، يرجع أمرهم أيضاً إلى ثلاثة أملاك : الملك الواحد موكل بالمحو ، والملك الآخر بالرجاء[3] والملك الثالث موكل بالعلم ومدة تدابيرهم ستة آلاف سنة ـ بين أيديهم سبعة أشياخ هرم ، لهم قوة الشباب ، يتصرفون في كل ما يؤمرون ، وحكمهم حكم من تقدم من إخوانهم ، في التسخير والانفراد ، والاشتراك والمساواة ، وغير ذلك .

فلما فككت رمزهم ، واستخرجت لغزهم اطلعت على الكور ، لأرى ما ظهر من[4] سلطان هذا الدور ، في قلوب أهل الغور والحور والعدل والجور ؛ وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات العلويات ، والتوجهات الأفقيات ، أظهر عالم الأنوار ، على عالم الأسرار ، ووقعت النجوم ، وكثرت التنزلات من الحي القيوم ، وكورت[5]

---

1 الكظيظ : المغتاظ أشد الغيظ ومنه قول الحصين بن المنذر :

عدوك مسرور ، وذو الودّ بـالذي ... يرى منك من غيظ ، عليك كظيظُ

(لسان 410/5) .

2 هما : الليل والنهار .

3 الرجاء : الطمع في الأجل ، وقيل : هو قرب القلب من ملاطفة الرب . ومنه قوله تعالى : ﴿مَن كان يرجو لقاء الله ، فإن أجل الله لآت﴾ [العنكبوت : 5] . انظر الرسالة القشيرية ، دار صادر ، 78 .

4 وفي رواية : «عن» .

5 كورت الشمس : قال مجاهد : اضمحلت وذهبت . وقيل : معنى كورت غوّرت ، وهو بالفارسية «كوربكرْ» . (لسان 449/5) .

الشمس ، وطمس الحس ، وسيرت الجبال ، ونسفت الرمال ، وعطلت العشار الظاهرة ، وحشرت الوحوش المتنافرة ، ووقع الطوفان ، وزفر البركان ، وزوجت النفوس ، وتعشق بالمحسوس ، ونشرت الصحائف ، وتبينت المعارف ، وظهرت اللطائف ، وأتى بجميع الظَّرائف واتصل حبل التلاق ، وكثر بين المحبين اللثم[1] والعناق ، وثل[2] عرش الفراق ، ونثرت الكيان نجوم أسرارها ، وأطلعت البرازخ لوامع أنوارها ، وخلّى البرزخ من سكانه ، وتعشق التاجر بدكانه ، وضجر أهل السلوك[3] ، وتنعم سمراء[4] الملوك ، ونبت الريحان ، في النيران ، وظهرت يواقيت اللهب في العيان ، وعمرت المعادن كلها بروح التكوين ، وجاء الرب في ظلّ من الغمام ، والملائكة في لحف الظلام ، وكثرت مناجاة الوعد والوعيد وتقصفت جوانح المحبين ، وذابت أبدان العارفين ، وسكنت النفوس بألآفها ومألوفاتها ، وحنت لعرّافها ومعروفاتها فهذا بعض ما عاينت في الكور من تأثير هذا النمط الرابع من هذا الدور وقطعته في قدر المدة التي قطعت فيها النمط الذي قبله ، فلما وقفت على هذه المعارف وحصّلت فنون هذه الأسرار واللطائف ، رددت إلى السيد الإمام إدريس صاحب التأسيس ، فقال لي : إيّاك والنسيان ، فإنه سبب الحرمان ، ثم قال لي : ارك جوادك ، واشحذ فؤادك ، وسر إلى حضرة أبيك ، وحافظ على ما يحصل لك في تجليك ، واعرف أسرار الإنسان الوحيد ، وهنالك يتبين لك الفرق بين المراد والمُريد .

جعلنا الله وإياكم ممن عرف نفسه ، وشاهد شمسه ، بمنه ، لا رب غيره آمين .

---

1 اللثم : التقبيل ، واللثام : ردّ المرأة قناعها على أنفها وردّ الرجل عمامته على أنفه .

2 الثُل : الهدم .

3 وفي الأصل «الشلوك» وما أثبتناه يقتضيه السياق .
السلوك إلى الله وهو الذي سلكته الخاصة له دعائم أربع :
* بواعث . * دواع .
* أخلاق . * حقائق .
وتمتاز بحقوق ثلاثة فرضت عليهم هي : حق الله ، وحق لأنفسهم ، وحق للخلق . (انظر محيي الدين ابن عربي ، يحيى شامي ، ص 27) .

4 وهي جمع مسامر .

2 ـ في اختصاص المأموم بيوم الاثنين وما يظهر فيه من سر الانفعالات[1]

سلامُ اللهِ يـــا ابنـــي الأثيرُ عليـكَ الطيبُ الزّاكـي الخطيرُ

لـك العُليـاءُ والفلـك المعلَّى لـك السجين والفلك الأسيرُ[2]

وزيـرك مثلُ ذاتك لا يُجـارى سريـعُ العـدو كـرّارٌ يدورُ

لـه المحـق المعلّـى إذ تعـالى وإبـدارٌ إذا يدنـو كبيرُ

لـه الوصفـان والاثنين ملكاً كما لأبـي ذُكا والزَّمهـرير[3]

يُفيـضُ على العـوالم مـا لديه كريمـاً مثـل رتبتنـا يفوزُ

فينمو حـين ينمـو كلُّ شيء ويبخل حـين بنحـل أو يبـورُ

هـو المحيـا إذا يدنـو إلينـا وإذ يعلـو هـو الموتُ المبيرُ

تولّـعَ بالفـراق وبـالتَّلاقي هـو الوثابُ والكابـي العَثورُ

يقـومُ بذاتـه محقـانِ علمـاً وإبْـدران مدركُهـا عسيـرُ

إذا يدنـو فإبـدارٌ ومحـقٌ وإن يعلـو كذلك يـا خبيرُ

ومـا ينفـكُّ عن محـقٍ محيطٍ وإبـدارٌ وإظـلامٌ ونـورُ

مـع الأحيـان والأنفاسِ فيـه تعـالى الواحـدُ الـربُّ القديرُ

ولما دعتنا دواعي الاشتياق ، إلى الكشف على ما أودع الله من الأسرار في هذه الطباق ، رحلنا نريد حضرة الميثاق ، وهي حضرة أب الآباء ، وعنصر أجسام الأولياء والأعداء ، أول بوطيقي تكوّن إكسيرها[4] ، فصار فضة بيضاء ، قزديرها[5] الجامعة للقبضتين ، والحاكمة للحكمتين ، واندفعنا من قلب الأفلاك ، وقد حفت بركابنا أقاويل الأملاك فما بقيت حقيقة مررنا بها في طريقنا إلا تجلت بأحسن زيٍّ وقامت وخدمت ، ولا روحانية إلاّ سألت النزول عليها ، واحترمت وأكرمت ، فأخبرتهم أن الحاجة الآن في رؤية الوالد ، والغرض في مشاهدة الإنسان الواحد ، فإذا انقضت

1 انظر الفتوحات المكية 303/1 ، طبعة دار صادر ، بأن الجنة أوسع من النار .

2 السجين : موضع فيه كتاب الفجار .

3 ذكا : اسم للشمس ، والزمهرير : اسم للقمر .

4 الإكسير : مادة تحوّل المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة كما كان يزعم الأقدمون .

5 القزدير : مادة يُطلى بها أواني النحاس لحفظها من الصدأ .

المآرب ، وتميزت المذاهب ، وسالت المذاهب[1] ، وافترقت العواقب ، واتحد الأول بالعاقب ، وبانت المطالب ، وتحصلت الرغائب ، وعقلت تفاصيل المواهب مع الإقرار بوحدانية الواهب ، والتحقت بالعدم والوجود الأكاذب ، أسرعنا إن شاء الله إليكم الكرة ، ونزلنا عليكم عند ابتداء الدورة ، فاستعدوا لحلولنا ، وتأهبوا لنزولنا .

ثم أخذنا نقطع دروب الدائرات وقلوب الروحانيات ، إلى أن نزلنا بفناء الوالد ، والإنسان الواحد الموصوف بالناجي والهالك ، والمعروف بالباكي والضاحك ، فأرسلت إليه رسول الهمة ، ينهي إليه إلمامي بحضرته ، في القيام بمبرته وأدخلني عليه ، وأحضرني بين يديه ، فقبلت يمين بساط مقامه ، وسجدت تعظيماً لمعالي أعلامه ، وإذا به في بيت من اللجين[2] من أحسن ما نظرت إليه عين ، قد فتح فيه خوختين ، الواحدة عن يمينه ينظر منها إلى عليين ، والأخرى عن شماله ينظر منها إلى سجين ، بواب الخوخة اليمينية ببغاء مستندة إلى الباب ، وبواب الخوخة الشمالية عقاب وعلى رأس الوالد تاج من الياقوت الأبيض ، كأنه البرق إذا أومض ، وعليه حلة دمشقية ، وأمامه مجامير كافورية[3] تبرق من أسارير وجهه ظهيرية ، في المجامير بخور المصطكى واللوبان ، وبين يديه أطباق الياسمين والسوسن ، والجرجير[4] والأقحوان ، فإذا شمّ الأقحوان تبسم ، وإذا استنشق الجرجير اهتم[5] ، فلا يزال باكياً ضاحكاً ، مملوكاً مالكاً ، والإنسان الواحد بين يدي قائم يبث إليه ما عنده من معالم العوالم ، فقال لي : مرحباً بالابن السعيد ، والطالب المستفيد ، يا أيها الابن : ما الذي أوصلك إلينا ، وما السبب الذي أنزلك علينا ، فخدمت بساطه ، واستغنمت انبساطه ، وقلت أدام الله أيام الوالد المعظم المقدم ، وعدل قسطاسه[6] وأبرم أمراسه[7] ، وحرس أنفاسه ، لما عرف العبد أنك صاحب العِلمين والصورتين ، وحامل سر الآيتين ، أراد أن يقف عليهما منك مواجهة ، وأن يسمعها منك مشافهة ،

---

1 وفي رواية : «المذانب» .

2 اللجين : الفضة .

3 الكافور : شجر كبير يتخذ منه مادة عطرية .

4 الجرجير : نبات عشبي حولي يؤكل وفي طعمه حراقة .

5 وفي رواية : «فإذا شم الجرجير أقيم» .

6 قسطاس : ميزان العدل .

7 الأمراس : الحبال .

فقال : همة شريفة وداعية سلطانية منيفة ، ثم دعا بترجمانه ، وصاحب لسانه ، وقال : اصعد على منبر الاستواءين ، واذكر بعض ما عندنا ، وعند حاجبنا من سرائر علوم الكونين والصورتين ، فصعد الخطيب وتكلم ، وقال بعد أن بسمل وصلى ثم سلم : الحمد لله الذي جمع لآدم عبده وخليفته ورسوله بين يديه ، وحباه[1] بصورتيه ومنحه سورتيه ، وأودعه سريرتيه ، وحصل فيه قبضتيه ، هداه نجديه ، والجب[2] له سبيليه ، وخاطبه بكلمتيه ، وأمره على ملأيه ، واستخلفه على كونيه ، واصطفاه برسالتيه ، واختصه بخلافتيه وكرمه بمشاهدتيه ، وخصه بجنتيه ، ووهبه معرفتيه ، وأنزله بني علميه ، وأشهده مركزه وقاب قوسيه ، وأسكنه في البرزخ بين كتابيه ، لإظهار صفتيه ، فقام عظيم الشأن ، سلطاناً على الأعيان ، واستوزر له الزبرقان[3] الذي هو نظير الرئة في الأبدان ، فيعلو وينمو فيفضل ويدنو ، فينحل فيذبل ، فوزيره مثله على صورته وسورته ، له وجهان وطريقان وسيران وتجليان ومحقان ، وإبدران ومحق وإبدار في كل أوان عند العالمين بما في الصنعة العلوية من الإحكام والترتيب ، والاتقان ، واعتدال الأوزان ، وله محق واحد ، وإبدار واحد ، عند العامة ، فله الضدان وسرعة التأثير في الأكوان ، وهو شبيه بالإنسان ، من جميع الوجوه القباح والحسان ، وله التقابلان ، وإليه ينظر الثقلان ، وفيه كسران وبدايتان ، وغايتان ، ونقصانان ، وكمالان ، وسران ، وأمران ، وتأثيران ، وحكمان ، وله يدان ، ورجلان ، وعينان ، وأذنان ، وثديان ، وعلوان ، وسفلان ، ويمينان ، وشمالان ، وفوقان ، وتحتان ، وخلفان ، وأمامان ، ومخاطبتان ، وقلبان ، ولسانان ، ومغربان ، ومشرقان ومعدتان وأثران ، وعرشان ، وكرسيان ، وروحانيان ، وتبيضان ، وتحميران ، وتسويدان ، وتكليسان ، وحياتان وموتان ، واعتدالان ، وانحرافان وعقدتان ، وفيه من كل شيء اثنان ، فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الاتقان ، إنه ولي الامتنان . والصلاة على الحقيقة المحمدية ، صاحب الإمامة المطلقة ، والخلافة المحققة ، ما اتصلت الأرواح بالأرواح ، والأبدان بالأبدان .

---

1 الحباء : العطاء .

2 وفي رواية : «وألهب» .

3 هو الحصين بن بدر التميمي السعدي ، ولقبه الزبرقان ، ولاه رسول الله صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر ، وتوفي في زمن معاوية سنة 45 هـ . (الإصابة ، دار صادر ، برقم 1789) .

ثم نزل وتكلم الأب فقال : اعلم يا بني شرح الله صدرك ، ورفع في ذروة التوحيد قدرك ، أنَّ الله تعالى لما كنى على الحقيقتين ، وأبان عنهما بالقبضتين ، في الموطنين ، وأنبأ عنهما في عالم العبارات بالحرفين ، وجعلهما على السواء في الفطرتين ، والنعيمين ، والعذابين ، والطاعتين ، والمعصيتين ، باعتدال الكفتين وجعل الآخرة ذات دارين ، لتحيط بالعالمين ، وفيها يقع الميز بين الفريقين كما وقع في أوان القبضتين ، قبل أخذ الميثاقين ، وجعل الدنيا ذات برزخين ، فأظهر الكافر في صورة المؤمن ، والمؤمن في صورة الكافر ، لذي عينين ، وجعلهما محل تمحيص وبلوى الطائفتين فوجه إليهم على لسان واحد منهم حكمين ، فأمر ونهى ، لتميز الكلمتين ، فمن وحد حبي بنار وجنتين ، ومن أشرك جوزي بجنة ونارين ، واعلم يا بني أن الله خلق الإنسان بين ستة أعلام : الفوق ، والتحت ، واليمين ، والشمال ، والخلف ، والأمام ، فالفوق والتحت ، اختص بهما ربّ العزة من طريق المثل والمثال ، والحقيقة والخيال ، فالفوق للرؤية والتحت للحجاب ، فكانت الجنة ثمانية أبواب للرؤية الإلهية ، وكانت النار سبعة أبواب للحجب النفسانية ، ولو كان الحجاب باباً مغلقاً لفتح يوماً ما ، وانقلبت الحقائق ، واستوى البصير والأعمى .

وأما بقية الأعلام ، اليمين ، والشمال ، والخلف ، والأمام ، فهي مرتبة على مراتب الجنة والنار ، ومنها يأتي الملك بالطاعة المحلة دار القرار ، وإبليس بالمعصية الموصلة إلى دار البوار ، قال الله تعالى : ﴿ثم لآتِيَنَّهم مَنْ بَيْنَ أيديهِمْ ومِنْ خلفِهِمْ وعَن أيمانِهِمْ وعَن شمائِلِهِمْ﴾ [الأعراف : 17] أخبر بذلك عن إبليس ، وفي مقابلته ملك التقديس ، وهذه قسمة مدينة الإنسان وهو مخاطب من ثلاث جهات : روح ، ونفس ، وجثمان ، في كل عَلَم من هذه الأعلام الأربعة .

ولهذا كانت مدينة مربعة ، وللشيطان في كل علم سبعة مَرَده ، وللملك في كل علم سبعة وزعَةٌ ، ملكان للروح ، ومَريدان ، وملكان للجسم ومريدان ، وملك للنفس ومَريد ، وملك واحد سادس بين الروح والنفس ، ويقابله مَريدٌ عنيد ، وملك سابع بين النفس والجسم ، ويقابله مريد عنيد . وهكذا في كل علم من الأعلام مردةٌ للوسواس ، وملائكة للإلهام ، فمتى أتى الملك بلمته وهمّته ، أتى إبليس بلمته وعزمته ، ومن ارتقى عن الملك والشيطان ، بدت لعينيه إصبعا الرحمن ، ولما كانت أعلام الإنسان أربعة ، والجنة أربعة ، والنار أربعة ، كانت ملائكة المنازل في الكثيب والحجاب أربعة ، فالمنزل

الواحد في الكثيب والحجاب منابر ، والمنزل الثاني أسرة ، والمنزل الثالث كراسي ، والمنزل الرابع مراتب ، وقد يدخلها كسر ، كما دخلها في الأعمال وفي عدم تتميم الأحوال ، قال عليه السلام[1] : «يُقبَلُ من الصلاة عُشرُها تُسعُها ثُمنها هكذا إلى نصفها» . فقد جاء بالعدد المكسور ، مع كونها حضرة النور ، فإذا رأيت في هذه المراتب كسراً ، فهو على هذا الحد ، لنقص كان في أداء العهد ، ولقد نبّه عليه الصلاة والسلام ، في قتل جعفر بن أبي طالب[2] وزيد بن حارثة[3] وعبد الله بن رواحة[4] ، فأخبر ﷺ أن في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن أسرة أصحابه وكذا شهدناه ، فإن عبد الله بن رواحة ، توقف قليلاً في غزاته عن القتال كما رويناه ولما كان المصطفوْن ثلاثة : الروح والنفس والجسم ، في حق الموحدين وكان المبعدون ثلاثة الروح والنفس والجسم ، في حق المشركين ، فافهم ما قررناه لديك ، وأبرزناه إليك .

فالروح خليفة والنفس وزيره ، والجسم مبلغ يشرف[5] به سريره ، ولكل واد من هذه الثلاثة ، منبر وسرير وكرسي ومرتبة من شكله ، وعلى مثله ، وقال عليه الصلاة والسلام ، في سر التثليث : «لن تهلك أمةٌ أنا أوَّلها ، وعيسى آخرها ، والمهديُّ وسطها»[6] . فانحفظ الطرفان والوسط ، وانضم الملك وارتبط ، فأتى بالثلاثة على حكم النشأة ، تقابل الهيئة ، فارفع رأسك وانظر إلى الصور ، الذي هو قرنٌ من نور ، وانظر إلى اتساعه في عليين ، وما أعطى الله فيه من الدرجات لأصحاب اليمين ، وانظر أيضاً

---

1 وروي بهذا المعنى وأوله : «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها . . .» رواه النسائي في «الكبرى» (611) وابن حبان من حديث عمار بن ياسر . والإحياء ، دار صادر ، بيروت : 218/1 .

2 هو جعفر بن أبي طالب ، صحابي ، من السابقين إلى الإسلام ويقال له : «جعفر الطيار» توفي في مؤتة سنة 8هـ . انظر الإصابة ، دار صادر رقم (1166) .

3 هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي ، صحابي وهبته خديجة إلى النبي ﷺ فتبناه وأعتقه وزوجه زينت بنت جحش . توفي في مؤتة سنة 8هـ . انظر الإصابة ، رقم (2890) .

4 هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أبو محمد ، صحابي ، كان أحد النقباء الاثني عشر . توفي في مؤتة سنة 8هـ .

5 وفي رواية : «يتشرف» .

6 رواه أبو نعيم في أخبار المهدي عن ابن عباس . أخرجه الإمام السيوطي في الحاوي للفتاوي (134/2) .

إلى ضيقه في سجين ، في أسفل سافلين ، وما أودع الله فيه من الدركات للمحجوبين ، فنظرت فرأيت الأمر على ما قاله ، وأن كل إنسان لا بد له من أحد الدارين لا محالة ، وهذا صورة ما رأيت على التقريب .

شرح ما في الدائرة من الرمز :

فهذا ما قيل لي في حضرة التمثيل [1] . وقد تمثل في وقت آخر في صورة أخرى ، كما مثلت النار لابن قسي في صورة حية ، ومثلت لابن مرجان في صورة جاموس [2] ومثلت لنا في صورة دار له طبقات ، علواً وسفلاً فلنقل في بيان ما مثل في هذه الدائرة :

إن الدائرة العليا صورة الكثيب الذي يجتمع الناس عليه لرؤية الحق وهو في جنة عدن والناس على أربع مراتب : ربع منه تنصب لهم فيه منابر ، وهي الرسل والورثة من الأئمة المهديين وهم فيها بين كامل ، وهو جامع المقامات والصفات وأهل جلال ، وأهل جمال ، وما ثم طبقة رابعة[3] في كل مرتبة ، وفي مقابلتهم في النار في منزل الحجاب ، منها خاصة وهو منزل فيها ، يقابل الكثيب من الجنة وهي للأئمة المضلين الذين شرعوا ما لم يأذن به الله ، وقالوا لأتباعهم : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

والمرتبة الثانية تنصب لهم أسرة . وهم الأنبياء الذين هم على شرع من ربهم في أنفسهم ، بما أرسلوا ، وما جرى مجراهم ممن له إخبار إلهي من نبي ما هو على شرعة خاصة ، وحالهم كحال الرسل : أعني على ثلاثة أحوال [4] : كامل ، وذو جلال ، وذو جمال . وفي مقابلته من النار [5] الدجاجلة ، وأصحاب الخيالات الفاسدة ، الذين ضلوا في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

والمرتبة الثالثة : أصحاب الكرسي ، وهي للأولياء الصالحين ، الذين تولاهم الله ،

---

1 وبداية هذه الفقرة في رواية : «وقد مثلت لي في مثاله هذا بيانه» .

2 الجاموس : نوع من البقر . وهو فارسي أصله (كاو) بقر ، (ميش) علامة المذكر . (مختار الصحاح : 109) .

3 أي رابعة العدوية . !!؟

4 وفي رواية : «أعني ثلاثة أقسام» .

5 وفي رواية : «وفي مقابلة الدار» .

والله ربّهم[1] . وهم أولياؤه ، وهم فيها على ثلاثة أقسام : كامل وذو جلال وذو جمال ، ويقابلهم في النار أهل الكراسي وهم أولياء الشيطان ، ووليهم الطاغوت[2] .

والمرتبة الرابعة : أهل مراتب ، وهم المؤمنون بالله وما جاء من عند الله ، وهم أيضاً على ثلاثة أقسام : كامل وذو جلال ، وذو جمال . ويقابلهم في النار أهل مراتب ، وهم المؤمنون بالباطل . قال الله تعالى : ﴿والّذينَ آمنوا بالباطلِ وكَفروا باللهِ أولئكَ هُمُ الخاسرونَ﴾ [العنكبوت : 52] وإنما سميناهم محجوبين عما يراه أهل السعادة من الله ، وأما هؤلاء فيرون ما اعتقدوا ، وهم المتولي تعذيبهم فيودون أنهم لم يروه ، لما يعيبهم منه ، وأما الشجرة فلها فروع لأهل الجنان عالية ، ولها فروع لأهل النار مستقلة ، هي التي تسمى في الشجرة عروق وأصول ، ففروعها العالية لأهل الجنان تسمى السِّدرة ، وعروقها في أصل النار تسمى شجرة الزقوم[3] ، فيها المرارة في الطعم ، على قدر ما في ثمرها من الحلاوة في الطعم ، لأهل السعادة ويقوم في كل مرتبة خطيب من أفضلهم ، وهو الكامل من هلاء ومن هؤلاء فيخطب بهم ويذكرهم بما يذكره في الخطب بعد هذا يقام خطيب في السعداء ، وخطيب في الأشقياء ، ويجتمعون حوله فإذا فرغ الخطيب السعيد من خطبته ، شكرهم وشكروه ، ودعا لهم ودعوا له ، فإذا فرغ خطيب الأشقياء ، من خطبته ، لعنهم ولعنوه ، ودعا عليهم ودعوا عليه فيكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ، ومأواهم النار ، وما لهم من ناصرين . وذلك في الوقت الذي يكون فيه السعداء في الجنة بهذه الحالة ، يكون الأشقياء في جهنم بهذه الحالة ومنزلهم جهنم خاصة فإن غاية القرب الكثيب ، وغاية البعد جهنم .

واعلم أنَّ السعداء في كل مرتبة درجات ، وللأشقياء دركات ، فلأهل المنابر إحدى وعشرون ومائتان وثلاث الآف ولأهل الأسرة تسع وتسعون وثلاث آلاف ، ولأهل الكراسي ثمان وسبعمائة وألفان ، ولأهل المراتب سبع وأربعون ومائة وأربع آلاف .

---

1 وفي رواية : «فالله وليهم» .

2 الطاغوت : كلُّ رأس في الضّلال .

3 الزقوم : اسم طعام فيه تمر وزبد ، قال ابن عباس : لما نزل قوله تعالى : ﴿إنَّ شجرةَ الزقومِ . طعامُ الأثيم﴾ [الدخان : 43] ، قال أبو جهل : التمر بالزبد نتزقمه أي نتلقمه فأنزل الله تعالى : ﴿إنّها شجرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيم﴾ [الصافات : 64] ، (مختار الصحاح : 273) .

واعلم أنه إذا تميز فريق في الجنة ، دار الثواب والنعمة ، وفريق في السعير[1] دار العذاب والنقمة ، أذن الرحمن لأئمة السعداء أن يقوموا خطباء . في أتباعهم ،وأذن الجبار لأئمة الشقاء أن يقوموا خطباء في أتباعهم .

خطيب السعداء :

صعد الخليفة منبره[2] ، وقام بين يديه خدماؤه الكرام البررة ، وقال : الحمد لله من غير تقييد بنعت ، كما قيده سادات أهل الوقت ، المقدس الحميد ، ذي العرش المجيد ، الذي تردي برداء الكبرياء والعز ، وأودع معرفته في القصور والعجز ، جاعل الملائكة رسلاً ، ومعرف العقول إليه سبلاً ، نصب المنابر وأقعد عليها إرساله ، وأشهدهم جماله وجلاله ، وأنطقهم بأوضح ما تكلم به أو قاله ، تعالى في ذاته عن إدراك المدركين ، وتسامى في قدسه ، أن تحيط به غايات السالكين ، حارت الأسرار في مشاهدة عظمته ، وعبدت الظلم أنوار كلمته ، واحتجبت بسبحات عزة أحديته ، في أزليته وأبديته ، نزل في علوه ، وعلا في نزوله ، وفصل في إجماله ، وأجمل في تفصيله ، اصطفاكم أيها الحاضرون بالنعمة والرؤية ، وأوصلكم إلى منازل القربة والبغية ، وأحلكم الجوار الأحمى وحمى سلطانه بغير العمى ، فأنعموا بالمعارف الصمدية ، وجولوا في ميادين الحقائق المحمدية ، وامتطوا متون العتاق[3] الدرية ، وانفسحوا في فسحات التوحيد ، وترأسوا بخصائص المشاهدة على كل موجود ، فطوبى[4] لكم وحسن مآب ، وهنيئاً لكم بما طوعتموه[5] ، من لباب معارف الألباب ، غضضتم الأبصار للموافقة والمساعدة ، فقرت أعينكم بالمعاينة في المشاهدة ، لم أزل في دنياكم أرغبكم في هذه المشاهدة المقدسة ، وأشوقكم إلى هذه المناصب المؤسسة ، وأحرضكم على تحصيل المقام المحمدي ، والتجلي الأحدي ، فيقولون : صدقت جزاك الله عنا خير ما جازى به مرشد حق ، وأقعدك عنده مقعد صدق .

---

1 السعير : النار .

2 وفي رواية : «صعد الخطيب المنبر» .

3 العتاق : النجائب .

4 طوبى : اسم شجرة في الجنة ، الحُسنى .

5 وفي رواية : «طعمتموه» .

خطيب الأشقياء :

صعد الخليفة الناطق منكوس الرأس ، وقام خدماؤه بين يديه أهل الرّيب[1] واللبس ، وقال : الحمد لله الذي لا أحكم عليه بوصف ، ولا أقيده بنعت ، فأي موطن وقف احتجب عن أبصار المعطلين وأهل الإصرار ، والذين أشركوا من الأريسيين[2] ، والذين تملكوا ، فسألهم في ذلك الرسول الأخفى ، فقالوا : ﴿ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى اللهِ زُلفى﴾ [الزمر : 3] ، فأهلكتهم عادتهم ولم تنفعهم عبادتهم ، ولم تغن عنهم من الله شيئاً ، آلهتهم وتبرأ منهم عند اضطرارهم أئمتهم ، ولم تنفع البراءة أولئك الأئمة ، وضوعف لهم العذاب خلف حجاب الظلمة ، فكانوا هم وأتباعهم عن سعادتهم بمعزل ، وأنزل من هذه الدار التي أنتم فيها ماكثون بشر منزل .

أيها الحاضرون ، والجماعة السوء الخاسرون ، هذا مقام الأسف الذي لا ينجي حين لم يساعد الجد ، وهذا موطن الاعتراف الذي لا يرد حين لم ينفع الجحد . أنا شر متبوع ، وأنتم شرُّ أتباع ، وأنا أخسر متشيع فيه ، وأنتم أخسر أشياع ، أوردتكم المهالك ، وأحللتم بساحة مالك ، أخذت بنواصيكم إلى معاصيكم ، وأنزلتكم إلى الشرك من معاقل فِطركم وصياصيكم[3] فزورت لكم الأقاويل المزخرفة ، وأوضحت لكم المناهج المتلفة ، ونصبت لصيد عقولكم حبائل الجهالة والخداع ، فوقعتم فيها شر وقوع ، لا يرام منه انفكاك ولا يستطاع ، وقلت لكم لو كان ثم إله ، لحمى سبله ، وعصم من أيدي عدائه رسله ، وجعلت عندكم فيمن تخلص منهم ، إنما تخلص بفراره وعدم قراراه ، وباتباعه الأراذل ، وأشياعه الأسافل ، وألحقت بالمعجزات ، بالسحر والخيالات وقلت . إنما جعلها كما فعلت أنا لصيد العقول القاصرة خيالات ، فركبت بكم جادة[4] الكفر والضلالات ، وخضت بكم لجج الغمرات ، وأنزلتكم منازل الحسرات ونصصت لكم ، أن في الأخذ بما دللتكم عليه سبيل نجاتكم ، وتحصيل

---

1 الريب : الشك .

2 وفي رواية : «الآدميين» .

3 الصياصي : الحصون .

4 الجادة : معظم الطريق ، قال تعالى : ﴿ومن الجبالِ جُدد بيض وحمر﴾ أي طرائق تخالف لون الجبل . (مختار الصحاح : 95) .

درجاتكم ، وارتقاء عقولكم ، عن حضيض[1] حسها ، ومعراج أرواحكم عن خسائس نفسها ، وعطفت على بعضكم بأنه مأثم ، إلا هذا الدولاب الدائر ، وهذه التكوينات عن هذه العناصر ، ولا يزال هذا الدولاب راجعاً وسائراً ، وأنه المعبر عنه بالإله ، وما شاهدنا فاعلاً ، فيما يشبه سواه ، وأن التناسخ صحيح ، والقائل بغير هذا يخبط في مهامه[2] من الجهالة قبيح ، وكذبت بيوم الدين ، فحرمت شفاعة الشافعين ، وقلت بإحالة حشر الأجساد ، لكون الآخرة ليست بدار كون ولا فساد ، وأن النبوة سياسة حكمية ، ليس لها أصول أصلية ، وأن الميزان عبارة عن إقامة العدل في ذاتكم ، وأن الصراط عبارة عن أخذكم في تطهير خلقكم وصفاتكم ، وأن الحوض في الحكم ، عبارة عن العلم ، وكون آنيته عدد النجوم إشارة إلى فنون العلوم ، وجعلتها عندكم رموزاً فلسفية[3] ، وإشارات تمويهية ليس وراءها غير ما ذكرناه ، ولا يوجد فيها سوى ما قررناه ، وسخرت بالشريعة وتابعت سلطان الطبيعة ، كذبت الرسل ، وأعميت السبل ، فيا سوء مذهبي ويا شؤم من اغتر بي ، ويا شر منقلبي فيقولون : لعنك الله من مضل كذلك فعلت جازاك الله عنا ما جازى به ملحداً ، وجعل لك في أسوأ المنازل مقعداً ، فيلعن بعضهم بعضاً ، ومأواهم النار ، وما لهم من ناصرين .

أهل الأسرة :

خطيب السعداء استوى الخطيب الناطق على سريره باسميه ، وقام وزراؤه الأدباء بين يديه ، وقال : الحمد لله الذي استوى على العرش ، اسمه الرحمن ، عند استواء الألوهية على عرش الإنسان ، فقال : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني القلب الموصوف بالإيمان» ، فأقام علم البيان ، مقام العيان ،حتى عجزت عن ردك هذا الضرب من العلم حقائق الكيان ، أفاض على الأكون عامة أنوار رحمانيته وحكم فيها أسماء ربانيته ، ونظم اثني عشر نقيباً في سلكه ، وأقامهم سايسين في ملكه ، وجعل لكي نقيب أمداً ينتهي إليه حكمه ، وحداً يقف عنده علمه ، وجعلهم على أربعة مذاهب ، لاتحاد الرسالة والنبوة ، والولاية والإيمان ، بالمنابر والأسرة والكراسي والمراتب .

---

1 الحضيض : ما انخفض من الأرض .

2 المهامه : المفازة .

3 يتبيّن هنا بكل وضوح وجلاء بأن الإمام الأكبر ابن عربي لا يحب الفلسفة .

فمنهم من وصلت مادته إلى الفلك الأثير واستقرت ، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات النارية واستمرت ، ومدتهم أربعة وعشرون ألف سنة ، ومنهم من وصلت مادته إلى ذلك الهوى ولبثت . فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات الهوائية وثبتت . ومدتهم ثمانية عشر ألف سنة ، ومنهم من بلغت مادته ، إلى فلك الماء وسكنت ، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات المائية وتمكنت ، ومدتهم خمسة عشر ألف سنة ، ومنهم من بلغت مادته الأرض فتكون الإنسان والمعادن والحيوانات والنباتات الترابية ومدتهم واحد وعشرون ألف سنة ، وقال الله تعالى يخاطب هؤلاء النقباء ، والسادات النجباء ، الذين اختصهم بالاستواء المعبود ، والظل الممدود : ﴿إنّي معكُمْ لئـنْ أقمتُـم الصَّلاةَ وآتيتُـمْ الزّكاةَ . . .﴾ [المائدة : 12] فأقاموا صلاتهم فضاعف صلاتهـم ، وأدّوا زكاتهم فقدس ذواتهم ، وآمنوا بالرسل ، فأوضح لهم السبل ، وعزروهم فعززوا ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً ، فوفّاهم سرّاً وعلناً من كونه محسناً ، فلما استوى على سرير ملكه فأثّر وكان الإمام المكبّر ، نظرت العقول في آياته ، وما أودع الرحمن من التكوينات في حركاته ، وأنتم أيها الحاضرون المصطفون الأخيار المقربون والمجتبون الأبرار ، أتذكرون إذا أبنت لكم في الدار الدنيا عن استواء الرحمن ، إنه ليس كاستواء الأكـوان ، وأنه لـو جلس عليه جلوساً كما يدعيه المشبّهـة ، لحده المقدار ، وقام به الافتقار ، إلى مخصّص مختار ، لا تحيط به الجهات والأقطار ، والافتقار على الله محال ، ولا سبيل إلى هذا ، فالاستقرار بمعنى الجلوس عليه محال ، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال ، وما بقي لكم فيه سوى أمرين مربوطين بحقيقتين :

الأمر الواحد : أن نصرف لفظ هذا الاستواء إلى الاستيلاء . **والأمر الآخر** : أن نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تكييف ، ونصرف العلم بها إليه ، فإنه أسلم بالمؤمنين ، عند قدومهم عليه ، ولهذا يختم المنزّه تأويله بقوله : «والله أعلم» لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته ، ولكنّ صرف هذه الآية إلى هذا الحكم خاصة لا يلزم . وعرفتكم أن أسماء الله لها حقائـق ورقائـق ، وأن بامتداد تلك الرقائق المعنوية المنزهة الأقدسية ، يظهر فيكم سلطانهـا ، ويضلكم ويهديكم إغماضها وتبيانها وقلت لكم : تحفَّظوا من مكر الله في التأويل واستدراجه ، واسألوه الثبوت والاستقامة على منهاجه ، وطهروا قلوبكم بماء التقديس والتنزيه ، من التجسيم والتشبيه ، فإنه ﴿ليسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البصِيرُ﴾ [الشورى : 11] ويستوي ويجيء وينزل وهو في السماء ، وفي الأرض كما قاله ،

وعلى المعنى الذي أراده ، من غير تشبيه ولا تكييف ، وهو العليم القدير . على هذا دللتكم ، وإليه دعوتكم ، فأوصلكم استعمالكم ذلك إلى ما أنتم فيه الآن من النعيم المقيم في دار القرار ، واختصكم بلذة الجوار ، فانعموا بخير جار ، في خير دار ، فيقولون : صدقت الحمد لله الذي صدقنا وعده ، ورضي الله عنك رضاء لا سخط بعده ، وجازاك عنا أفضل ما جازى به ناصحاً ، وجعلك لكل باب مقفل من التجليات الإلهية فاتحاً .

خطيب الأشقياء[1] :

استوى الخطيب الناطق على سريره ، ذليل النفس ، وقام وزراؤه بين يديه في أضيق حبس ، وقال : الحمد لله المنزه في علوه ، المقدس في سموه ، الذي لا يحده مكان ، ولا يحويه زمان ، ولا يقيده آن ، ولا تختلف عليه الحالات ، ولا يتعذر عليه حل الأمور المشكلات تنزه عن الحد المقدار ، واتصف بالإرادة والاختيار ، وتقدس عن الحركة والانتقال ، وتعالى عن الأشكال والأمثال ، ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا يشبهه مخلوق في صفاته ، أيها الحاضرون الخاسرون سمعاً ، أنتم الذين ضل سعيكم في الحياة الدنيا وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعاً ، وأنا الذي سلكت بكم مسالك الغيّ والضلال ، وقررت في نفوسكم كل ما هو على الله محال ، وزينت لكم سوء أعمالكم ، وأعميت لكم ضرر أحوالكم ، فبئس المعلم كنت فيكم ، وبئس ما قبلتموه ، فبئس المورد الذي قد أوردتموه ، شبهتم معبودكم سبحانه وتعالى بذواتكم ، وجعلتم كلامه ككلامكم ، في حروفكم وتقطيع أصواتكم ، تكتبون المصحف بآلات موضوعة ، وأدوات مصنوعة تلك الحروف التي صنعتموها بالقدم ، وتدعون أنكم في ذلك على الطريق الأمم ، وأنكم فضلتم بهذا الاعتقاد على سائر الأمم[2] ، ثم عمدتم إلى خالقكم وعلامكم وجعلتم له جسماً كأجسامكم ، وجوارح كجوارحكم ، وصورة كصورتكم وتبشيشاً كبشبشتكم وقدماً كقدمكم وفرحاً كفرحكم واستواء كاستوائكم ، وضحكاً كضحككم ، وأصل ضلالكم في هذا كله من إضلالي ، ومن زور قولي لكم ومحالي ، فلعنكم الله من أتباع فيقولون : لعنك الله من متبوع غوى ، أورثنا أتباعه عذاباً لا يستطاع .

---

1 إشارة إلى خطبة إبليس في النار كما سورة إبراهيم : ﴿وقالَ الشَّيطانُ لما قضيَ الأمرُ إن الله وعدَكُم وعدَ الحقِّ ووعدتُكُم فأخلفتكم . . .﴾ [إبراهيم : 22] .

2 الأمم : المقصود . (انظر مختار الصحاح : 26) .

أهل الكراسي خطيب السعداء :

قعد الخطيب الناطق على كرسيه الأسنى ، وقام وزراؤه بين يديه على قاب قوسين أو أدنى ، وقال : الحمد لله الذي وسع كرسيه السموات والأرض ، ووضع فيه ميزان الرفع والخفض ، ودلى إليه قدم النهي والأمر وصيره طريق روحانيات التدبير في السر والجهر ، رتب لهم فيها المنازل ، ليحل فيها النازل .

فأما روحانيات الآدمية فتنزل كل ليلة ، وتستمر[1] في كل منزل ، من ربها كرامته ونيله ، فإنها سريعة الحركة ، كثيرة البركة ، وأما إخواتها ، وإن اجتمعوا معها في سرعة السير ، فإنه يبطىء بهم عنها حكم الدور ، فإن عتاق أفلاكهم تسري بهم وبحقائق أملاكهم أيها الحاضرون السعداء . هل تستمعون ؟ أتذكرون حين رؤيتكم نزول الحق والليل إلى السماء الدنيا من أجل الخلق ، وينصب له في كل سماء كرسي ، ويقعد عليه ، والملائكة بين يديه ؟ فنفيت التشبيه ، وقلت : إن صح هذا الخبر فقد عرف المراد ، والباري على وصفه من التنزيه فإنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام قال : «كان الله ولا شيء معه ، وهو على ما هو عليه كان»[2] فنزهه عن المكان ، بوجود الأكوان ، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويبين لهم على قدر طاقة تحصيلهم ، وقد قبل إيمان السوداء في إشارتها إلى السماء ، مع علمنا بأن الله تبارك وتعالى في علاً عن إدراك العلماء ، ثم أثبت لكم أنَّ الربّ هو النازل ، ومعلوم أنه الثابت غير الزائل فهذا حظ السر بالعلم من نزول هذا الاسم ، فقضى الحاجات ، وقبل السعايات ، وتاب على التائبين ، وغفر للمستغفرين ، وأعطى السائلين وأجاب الداعين ، وشملت رحمته المتهجدين والنائمين ، فأنزل من كرسيه كلمتيه وأرسلها على قبضتيه فتميزت بالأخذ والترك ، وانفصلت بالتوحيد والشرك فانقلب أهل الشرك والترك إلى دركاتهم[3] وانقلب أهل التوحيد والأخذ إلى درجاتهم ، وهم أنتم ، طاب مسكنكم ، ونعمتم ، فأعطى الكرسي بالقوة حقيقته ، وأبرم في العالم رقيقته .

يا أيها الحاضرون ـ ألم أكن فيكم نعم الداعي والحافظ ، فيقولون : صدقت الحمد

---

1 وفي رواية : «وتستمد» .

2 أخرجه الإمام العجلوني في (كشف الخفاء ، 199/2) . وأمّا عبارة وهو . . . كان ، مدرجة .

3 الدركات : منازل أهل النار .

لله الذي أذهب عنا الحزن ورضي الله عنك فلقد كنت نعم الواعظ ، جزاك الله عنا أفضل ما جازى به داعياً ، وجعل لك في كل مقام من مقامات الجمع المقدس نادياً .

خطيب الأشقياء :

قعد الخطيب الناطق على كرسيه في النار وقام بين يديه وزراؤه الفجار ، وقال : الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم ، وكتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة مما علم ، وجعل الكرسي موضع قدم المنزه وجوده أن يكون مسبوقاً بعدم ، فحقت الكلمات في اللوح علينا أهل الخسران وعلى أهل الريحان والروح إذ جعلنا كرسيه علمه لا غير ، وكذبنا به فناط بنا الضّير[1] ، وأحرمنا الخير ، دللتكم أيها الحاضرون الضالون المكذبون على ما فيه شقاؤكم ، وحرضتكم على ما يسلط به عليكم بلاؤكم وخاطبت كل طائفة منك على قدر نقصان علمها ، وقهرها تحت سلطان وعلمها[2] فمن غلبت منكم روحانيته على خسّة جسمانيته جعلت له هذه العبارات الحسيّة ، إشارات إلى أمور معنوية ، وكل من ألحقها بالمحسوس ، فنظره معكوس وحشره منكوس ، وقلت في قوله تعالى : ﴿يا جبالُ أوِّبي مَعَهُ﴾ [سبأ : 10] إنه أراد الرجال ، وقلت في ذلك إنه محال ، وإعطاؤه لسليمان تسخير الرياح ، إنما أراد به الأرواح ، وكون مريم تمثل الروح بشراً إليها ، أن خيالها حكم عليها ، فكذبت بالملك والشيطان والمس وقلت : إن هذه كلها من المخاطبات التمويهيّة لإيقاع اللبس ، وإن ذلك عبارة عن أخلاط فاسدة ، تجسدت أغذية ردية ، وإن الملائكة قوى في النفس روحانية ، وخواطر نفسانية ، وإنه ما في الأفلاك سوى نجومها ، وإن الملائكة عبارة عن قوى سلطان علومها ، وأمثال هذا الهذيان ، الذي لا يقوم عليه برهان ، وأما من غلبت منكم جسمانيّته على روحانيته فخاطبته على ما علمت من قصور فهمه ، وعدم علمه . وقلت له : إذا لم يكن كلام ربك بحروف وصوت فما تسمع ؟ وأنزلت له الصفات المقدسة المعنوية على مثال ما يصححه أول عقله ، فقبل ولم يدفع ، فلحق بأهل التشبيه والتجسيم ، ووصف القديم بصفات الحدوث فالحق بالجحيم ، فلعنكم الله لقصور أفهامكم وعقولكم ، وعدم نظركم في معاني منقولكم ، فيقولون : صدقت لعنك الله مفسد مضلّ ، وألبسك ثياب الهون والذل .

---

1 الضير : الضُرُّ . (انظر مختار الصحاح : 379) .

2 وفي رواية : «وهمها» .

أهل المراتب

خطيب السعداء :

ظهر الخطيب الناطق في مرتبته ، وقام وزراؤه بين يديه قائلين بحرمته ، وقال : الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، هذا الحمد هو آخر دعواكم معاشر السعداء ، ويرجع الأمر على الابتداء ، وهكذا تكون الدرجات في الجنان ، والأحوال على ترتيب ما كان عليه الإنسان ، فالحمد لله تملأ الميزان ، وهي آخر موضوع ، ولا إله إلا الله تثبت الإيمان وهي أول مسموع ، فانعموا رضي الله عنكم بين طرفين شريفين ، وحقيقتين عظيمتين ، توحيد وثناء ، فسناً وسناء فالتوحيد للسنا والسناء للثناء ، فقد جمع لكم بين الرفعة والضياء ، فالحمد لله الذي جعلني أعلمتكم بهذه الأمور ، ونهجت لكم مناهج الأمور[1] ، فيقولون : صدقت . الحمد لله رب العالمين ، رضي الله عنك ، جازاك الله عنّا أحسن ما جازى به الداع ، ومنحك لذة الاستمتاع ، في السماع عند الإيقاع .

خطيب الأشقياء :

قعد الخطيب الناطق على مرتبته من الغضى وقام وزراؤه بين يديه في لظى ، وقال : الحمد لله ولا أدري كيف ، لأني في موطن العطب[2] والخوف ، لم أزل في ربقة[3] التقليد مغلولاً ، وبقيد الشرك مقيّداً مكبولاً ، لا أدري ما المعبود فيكون مني الإقرار أو الجحود ، فلما قبلتم يدي لعنكم الله وعظمتموني ، وجعلتموني إماماً ، وقدّمتموني ، فرحت نفسي الخسيسة بتلك الرياسة المحسوسة ، ولم تأخذوا في تعظيم حالي إلا رغبة في جاهي وطمعاً في مالي ، ولم يكن عندي علم ألقيه إليكم ولا معرفة أسردها عليكم ، ومنعني الكبر أن أسأل العلماء العمال ، ورأيت العلماء السوء منكم يخدمون بابي ، ويلازمون ركابي ، رغبة فيما عندي من الأموال ، فإن قلت قولاً باطلاً صححوه ،

---

1 وفي رواية : «بكم مناهج النور» .

2 العطب : الهلاك .

3 الربقة : العروة .

وإن زورت كذباً حققوه وشرحوه ، وقالوا : هذا هو الحق الذي لا يرد ، والعمل الأقدس الذي لا يحد ، لقد أعطيت أيها السيد من الذكاء والفطنة وجودة القريحة[1] ما لم يعطه أحد ، واغتر الجاهلون بهم في ذلك ، فجروا على مذهبهم فأوردهم المهالك ، فغالطتني نفسي واحتجبت عن تصريف عقلي برئاسة حسي ، فصرت أخترع الأكاذيب ، وأشرع المذهب وفتحت بيوت الأموال ، وملكت بها العلماء السفال ، واتبعتموني على كل باطل فكنتم قوماً بوراً[2] ، فلا تدعوا اليوم ثبوراً[3] واحداً ، وادعوا ثبوراً كثيراً ، تخيلتم أن ربوبيتي دائمة ، ومملكتي لا تزال قائمة ، واغتررتم بوعدي ، فأجهدتم نفوسكم في شكري وحمدي ، فاليوم أقول لكم ما قاله الشيطان الرجيم ، حين قضى الأمر في سواء الجحيم : ﴿إنَّ اللهَ وعدَكم وعْدَ الحقِّ وَوَعدتكمْ فأخلفتُكُم وما كان لِي عَلَيْكُمْ مِن سلطانٍ إلاَّ أنْ دعوتكُم فاستجبتُم لِي فلا تلوموني ولُوموا أنفسَكم ما أنا بمصرخِكم وما أنتم بمصرخيَّ إنِي كفرتُ بما أشركتمونِ من قبلُ إنَّ الظَّالمينَ لهم عذابٌ أليمٌ﴾ [إبراهيم : 22] زادكم الله إلى عذابكم عذاباً ، وفتح لكم إلى كل شر باباً ، فيقولون : صدقت . وأنت الكذوب لعنك الله وأخزاك ، وأهانك وأرداك ، جازاك الله عنا أسوأ ما جازى به مفسداً ملحداً ، وجعل لك في كل منهل من الثبور مورداً .

فلما عاينت هذه المشاهدة المتقابلة ، وعرفت سبب ضحك الأب في المنازل العالية ، وبكائه في المنازل السافلة ، قلت له : يا أبت إني أريد أن تخبرني بما علمت من الأسماء ، وهل كانت لك خلافة في السماء ، فقال لي : يا بني –إن القدم الواحدة مخصوصة بالسماء ، والخلافة ذات قدمين فلا يصح فيها وجود الخلفاء ، وأما ما سألت عنه من معالم الأسماء ، فإنّ الله عرض عليّ الحقائق قبل تأليفها ، وعرفني بأسمائها وأسماء من يتألف منها ، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها ثم عرض عليّ الملائكة تلك الحقائق ، وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق ، لما تقدم

---

1 القريحة : أول ما يُستنبط من البئر ، ومنه قولهم لفُلان قريحة جيدة يراد به استنباط العلم بجودة الطبع . (الصحاح : 528) .

2 البور : الهلاك .

3 الثبور : الويل والخسران .

منهم في حقي من التجريح ، كما رأيته في البناء الصحيح ، فقال : ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كُنتُمْ صادقينَ﴾ [البقرة : 31] وأشار إليهم لكونهم حاضرين ، ولو أراد الأسماء خاصة ، لقال عرضها ، وفي قوله : عرضهم بحجة صادقة واضحة يعرفها من فرضها ، فعرفت الملائكة أسماء الحقائق في حال افتراقها حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها فقالوا : ﴿سُبحانكَ لا عِلْمَ لنا إلاّ ما علَّمتنا إنّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ﴾ [البقرة : 32] قال ﴿يا آدمُ أنبئهُمْ بأسمائِهِم﴾ فألّفت الحقائق بطريق ما ، وقلت : هذا فرس ، وألفنها بطريق آخر ، وقلت : هذا إنسان ، فأنبأتهم بأسمائهم فظهرت حجة الله على خلقه ، وقام لهم برهان حقه فبمثل هذه الأسماء اختصصت ، وهي التي على الملائكة نصصت ، وإلا فليس في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح ، لأنها على مجرد الاصطلاح[1] ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها ، ولم تختلف المعاني التي بها قوام وجودها ، ولهذا قالت الأعراب : هذا فرس ، وهو جواد ، وهو طِرفٌ[2] ، وقالت الإفرنج[3] فيه : كباله ، وقالت الروم : ألوَغْ ، وقالت الترك : آت[4] ، وقالت الأرمن فيه : سي ، وقالت العجم[5] فيه : أسب . فالنفس تعقل معانيها وإن اختلفت أساميها في مباينها فقلت له : هذه الأسماء الكيانية[6] . فهل اختصصت أيضاً بالأسماء الإلهية ؟ فقال : عليها فطرت الصورة الإنسانية انظر فهي مصرِّفتك وتحققها فهي معرفتك ، وبمعرفتها[7] تفاضلت أشخاص هذا الجنس ، وبمشاهدتها تقدس العقل وزكت النفس ، فقلت له : كذلك وجدتها ، ولهذا عبَّدتها[8] ، وما عبدْتها . ثم قلت له : يا أبت ــ أنت جامع القبضتين ، وصاحب الحكمتين ، وحامل الصورتين ، فأخبرني عن السرّ الذي

1 هنا يبين الشيخ الأكبر أن اللغة اصطلاحية وليست توقيفية .
2 الطرف : الكريم من الخيل .
3 الإفرنج : سكان أوروبا .
4 وفي رواية : «أطْ» بسكون الطاء .
5 العجم : من ليسوا عرباً والمقصود بهم هنا الفرس .
6 وفي رواية : «الكائنة» .
7 ونص هذه العبارة في رواية : «انظرها فهي في مصرعك وتحققها فهي معرفتك بمعرفتك» .
8 أي ما ذللتها .

يرد المعادن إلى معدنين ، وأوقفني على الكنزين الأحمرين والأبيضين ، وعن سر كل وصفين : كالجلال والجمال والانفصال والاتصال ، والتركيب والتحليل ، والتجميل ، والتفصيل ، والفناء[1] والبقاء[2] ، والإثبات[3] والمحو[4] ، والسكر[5] والصحو[6] والرب والعبد ، والحَر والبَرد ،وما أشبه ذلك ، فإما أن تخبرني بحقيقة تجمع لي هذه المعاني ، وإما بتفصيل هذه المباني .

فقال أما التفصيل فيطول ، وإيضاح الحقيقة الجامعة أولى بالوقت ، فأقول : إن الأشياء المنفعلة إنما تنبعث من فاعلها على حقيقة وجوده في الأعيان ، ولهذا لم يبقَ أبدع من هذا العالم في الإمكان ، وأبين ما يكون ذلك في الإنسان ، إذ له الجود المطلق ، والفيض المحقق ، فإن تفطنت فقد أبنت لك عن درج التحقيق ، وألقيتك على الطريق ، فأدرج عليه ، حتى تعاين أسرار التفضيل لديه ، وأما بحثك عن الكنزين والأمر الذي يرد المعادن إلى معدنين ، فاعلم أن هذا الأمر على مرتبتين : المرتبة الواحدة في الشاهد ، تسمى خرق العوائد ، وهي تصريف المحسوس على حكم هم النفوس ، وهي مختصة بأرباب الهمم ومعادن الحكم ، فقوتهم تسري في الأرواح ، بقلب صفات أعيان الأشباح ، فهذه صناعة علمية ، وصورة حكمية آلاتها روحانية ، ومواردها سماوية ، إكسيرها مقرون بسعادة الأبد ، وفعله مشاهدة الأحد ، يتصرف في العقلاء ، تصرف الأفعال بالأسماء ، وأما المرتبة الأخرى : فهي صناعة علمية موقوفة على عناية أزلية ، تورث الجنان ، ومجاورة الرحمن ، ولهذا قال في الكتاب المبين : ﴿نتبوأ منَ الجنّةِ حيثُ نشاءُ فنعمَ أجرُ العاملينَ﴾ [الزمر : 74] فلمثل هذا فليعمل العاملون ، وفيه فليتنافس المتنافسون ، فمن أراد أن يقف عليها ، ويصل إليها ، فإنها الكنز الذي لا يهد جداره والزند الذي لا يظهر أواره[7] .

---

1 الفناء : رؤية العبد للعلة بقيام الله على ذلك .
2 البقاء : رؤية العبد قيام الله على كلّ شيء .
3 الإثبات : إقامة أحكام العبادة ، وقيل إثبات الواصلات .
4 المحو : رفع أوصاف العادة ، وقيل : إزالة العلّة وقيل : ما ستره الحقّ ونفاه .
5 السكر : غيبة بوارد قويٍّ .
6 الصحو : الرجوع إلى الإحساسِ بعد الغيبة بواردٍ قويّ .
7 الأوار : اللهب والدخان .

هي حكمة لا يودعها الله إلا الأمناء من عباده ، والمتألهين بحضرة إشهاده ، فإذا أراد الشيخ أن يظهر في المريد ربوبيته[1] ، يخفي سببيته ويضرب له ميقاته ، ثم يحجب عنه أوقاته ويأمره بالقصد إلى خط الاستواء ، حيث يكون الليل والنهار ، والحر والبرد فيه على السواء وأعن فيه إلى الجبل الشاهق في السماء ، فستجده جبلاً عالي الذرى صعب المرتقى ، فيه أنواع من الحيوان ، وكهوف ، وغيران ، يعمره بيض وسودان ، جردته أكثر من خضرته ، تحرقه الرياح ، وتعمره النارية والنور[2] من الأرواح ، لهم سلطان عظيم ، يسكن في قبته ، ووزعته حافون بقبته[3] ، له أجناد وأمراء وحكّام وحكماء ، فقام بنفس خاطر السعادة ، والترجه إلى طريق الاستفادة ، بخرق العادة ، والبحث عن الأمر الذي به دوام الملك الذي بيده إلى يده ، فاستعمل الفكر المحرق لما قام به من الشوق المقلق ، فأنتج له أن هذا الأمر موقوف على معرفة الحكمة ، وأنها موضوعة بين النور والظلمة ، موقوفة على المعدن والنبات ، محكوم عليها بعدد شهود الزناة ولكن قصر به الفكر عن تعين ذاته ، وعن الإدراك لجميع صفاته ، فقال له بعض حكمائه ، وأخص علمائه : أيها الملك مطلبك في قدرتي ، وحاجتك تحت قوتي ، ولكن قد لا تعرف قدرها ، فيحرمك الله خيرها ، وأنا أبهك أولاً على كيفية إيجادها ، وحسن إسعادها ، فإنها من الله بمكان ، وكأنها مشاركة للقدرة في وجود[4] الأعيان ، فهي حكمة علوية ومدرجة في صناعة عملية .

لتعلم أيها الملك أنَّ الله هو الحكيم الخبير ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه قبل كل شيء ، وأنه أوجد الأشياء لا من شيء ، ولكن مع اتصافه بهذه القدرة المحققة ، النافذة المطلقة ، لم توجد هذه المعادن ابتداء حتى خلق الله سبحانه وتعالى الأفلاك العلوية ، والروحانيات السماوية ، واللمحات الأفقية ، وأودع كل فلك روحانية كوكبية ، تحتوي على خاصة بها ، وعند وجودها خلق الأرض والماء ، والهواء والأثير[5] ، ثم أوجد فيها منها دائرة الزمهرير[6] ، ثم أجرى الشمس والقمر والنجوم مسخرات بزمره ، وخصّ كل

---

1 أي يظهر في المريد تربيته .

2 وفي رواية : «النورية» .

3 القنوت : الخضوع .

4 وفي رواية : «للقدر في إيجاد» .

5 الأثير : الرفاهية ، والشيء المفضل على غيره .

6 الزمهرير : اسم للقمر .

متكون عن هذه الأجزاء بسر من مكنون سره ، فظهرت المعادن في أعيانها وتخلصت بكرور[1] أزمانها ، فإذا كان الله تعالى مع قدرته ، ونفوذ إرادته وقوة علمه ، لم يوجد أشياء من هذه المعادن إلا بعد خلق هذه الأدوات ، وأجرام هذه المسخرات ، فكيف تطمع أنت أيها الملك أن تكون فعالاً لهذه الحكمة مع عدم هذه الأدوات ، وتحصيل هذه الآلات ؟ فإن قدرتك قاصرة ، وصفقتك إن لم تحصِّل هذه الأدوات خاسرة ، وما فعل الله شيئاً من هذه الأدوات ، وقدم هذه المقدمات آلات مع غناه عنها ، إلا لحكم علمها مَن علمها ، وجهلها مَن جهلها. قال الملك : وكيف السبيل إلى تحصيل هذه الأدوات ، وتركيب هذه المقدمات ؟ فقال الحكيم : يا أيها الملك . ألست ساكناً تحت خط الاستواء وأنك من أهل السواء ؟ فقال الملك : بلى ، فقال الحكيم : من أراد أن يعرف أصل نشأة العالم وترتيب هيئته ، من خط الاستواء يعرفه ، فقال الملك : فكيف أصنع فإني لا أجد في نفسي قوة ، تصور هذه الأسباب والمقدمات وإيجاد هذه التأليفات والمركبات فقال الحكيم : إنَّ الله سبحانه وتعالى ، قد منحني القوة علة بناء ما يماثلها وإقامة ما يشاكلها ووهبني أسرار كيفياتها ، وكميات حركاتها ، ولي أصحاب من الحكماء ، أهل الفطنة والذكاء ، أشد بهم أزري ، وأحكم بمشاورتهم ورأيهم أمري لينقضي غرض المولى وتقدم له هذه الروحانيات العلى ، فسُرَّ الملك بما قاله الحكيم ، وزال عنه ما كان أحاط به من الهموم ، وقام الحكيم فاخترق مخاريق هذا الجبل العظيم ، ينظر فيه أين نقطة دائرة المركز الذي تقوم عليه النشأة ، ويترتب عليه نظام الهيئة ، فرأى الرياح والبخارات ، التي تنحل من مسامات ذلك الجبل ، تصير كالدائرة تتحرك في موضعها ، ولا تتعدى إلى غير مهيعها فأعمل الحيلة حتى روحن[2] ، فالتحق بالأطيار ، وسوى جناحيه وطار ، واخترق معظم تلك الرياح محلّقاً في جوّها ، ينزل بنزولها ، ويسمو بسموها إلى أن انتهى إلى موضع لا يتعدى النازل فيه على الصاعد ، ولا الصاعد على النازل ، فقال الحكيم : الله أكبر قام الملك وظهر ، فإذا بذلك المركز المعقول ، أرضاً ذات أشجار ويقول ، وأدار عليها الماء فدار ، وأدار عليها الهواء فصفق النسر بجناحيه فيه وطار ، وأدار به دائرة الزمهرير ، وحلق به الفلك

---

1 وفي رواية : «بكرّ» .

2 وفي رواية : «روض ذاته» .

الأثير ، فلما أكمل هذه الأركان ، لإنشاء ما يريد من المعادن والنبات والحيوان ، لم ينفعل ما أراد عنها لأنها أشباح بلا أرواح ، وإناث بلا ذكور ، فاحتاج إلى إقامة النجوم الثابتة ، والبروج الحاكمة والكواكب السيارة ، وحركات أفلاكها ، وفتح مسالك أملاكها فأقامها فكانت الآباء بالعلويات وهذه الأمهات السفليات ، فتناكحا بالحقائق الرحانيات والرقائق السماويات ، فتولد منهما بنات الحكم المعدنيات ، والنباتيات ، والحيوانيات ، ولم تبلغ قوة هذا الحكيم فوق هذا الحد ، ولكنه وفّى بالقصد ، فلما استوت هذه البنية ، على حسب ما أعطته الروية ، وحسن النية ، وجرت الأفلاك ، وأعطت قواها الروحانيات ، وظهرت التكوينات والانفعالات ، وأشرف الملك الكريم ، على ما فعله الحكيم ، وعاين تكون هذه الحكمة في هذه الأجزاء وعرف أن الأمر لا يقوم إلا بوجود الأرض والسماء ، وأعجبه ما رأى من حسن الراء ، فأدركه الطيش والتوله ، فخاف عليه الحكيم التأله ، فأعمل الحيلة والنظر ، حتى بدا له ما أراده وظهر ، وشرع في إنشاء بستان ذي أفنان ، فيه من كل وليد وقهرمان[1] ، ومن الجواري الحسان ، والنخيل والأعناب والرمان ، ضروب وألوان ، تنساب فيها الجداول انسياب الثعابين بين تلك الأزهار والبساتين ، وابتنى فيها قصوراً من الذهب والفضة البيضاء وأسكنها من كل جارية غضاء وفرشها بالحرير من السندس والاستبرق[2] والعبقري[3] المرقق ، وجعل حصاها الياقوت والمرجان ، والزمرد والجوهر وترابها فتيت المسك ، وأكامها العنبر ، ثم شرع في إنشاء دار أخرى ذات ، لهب وسعير ، وبرد وزمهرير ، وقيود وأغلال وسرابيل من قطران ، وأفاعي كأنها البُخْت[4] ، وأساود عظيمة الشخت[5] ، وعقارب مكونة من السّحت[6] ، وبيوت مظلمة ، ومسالك ضيقة ، وكروب وغموم ، ومصائب وهموم ، ثم أشرف على الدارين ، وقال : انظر ما بين المنزلتين ، فراعه ما رآه ، وسأله ما السبب الذي دعاه ؟ فقال الحكيم : جعلت لك هذه

---

1 القهرمان : المسيطر الحفيظ على من تحت يديه .

2 الاستبرق : الديباج الغليظ .

3 العبقري : البُسُط التي فيها الأصباغ والنقوش . وفي الحديث «أنه كان يسجد على عبقري» .

4 البخت : الإبل الخراسانية وهو طوال الأعناق .

5 الشخت : الضامر خلقة لا من هزال .

6 السحت : ما خبث من المكاسب مثل الرشوة وغيرها ، (مختار الصحاح : 288) .

الدار دار الرضا ينعم بها من أطاعك ووالاك ، وجعلت لك هذه الأخرى ، دار الغضب تعذب بها من عصاك وعاداك .

واعلم أنَّ الله ما أسكنك في هذه الدار ، إلا لتجعلها دار اعتبار ، فتفكر وتعتبر ، وتذكر وتزدجر وتعظم من سواك فعدلك ، وصوَّرك فجمَّلك ، ووالاك وملكك ، وعلمك وحنَّكك[1] ، فإن كنت مطيعاً لربك ، عادلاً في رعيتك ، فستصير إلى النعيم عند الله ، كما تصير أنت من أطاعك إلى هذا النعيم ، وإن كنت عاصياً جائراً في حكمك ظالماً ، فستصير إلى ضيق وعذاب وجحيم كما تصير أنت من عصاك وناوأك إلى عذاب أليم ، فخف ربك وذنبك ، وأصلح مع الله قلبك ، وانذر قومك ، وطهّر ثوبك ، ولا يحجبنك سلطان عادتك ، عن تحصيل أسباب سعادتك ، فإنَّ الدنيا لمحة بارق ، وخيال طارق وكم من ملك مثلك قد ملكها ، ثم رحل عنها وتركها ، ولا بد لك من الرحلة عنها إلى الآخرة ، فإما أن تعمر درجها ، وإما أن تعمر دركها[2] ، واعلم أنَّ الله تعالى ما جعلك ملكاً على خلقه ، وأقامك بين الباطل والحق في مقام حقه ، لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره ، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره ، وإنما ضرب لك بك مثلاً في عالم الفناء لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء ، ولهذا جعل هذه الدنيا ظلاً زائلاً ، وعرضاً مائلاً ، وجعلك عنها راحلاً ، فهي جسر منصوب على بحر الهلاك ، وميدان موضوع لمصارع الهلاَّك كم أبادت من القرون الماضية ، والأمم الخالية ، والجبابرة المتألهين الطاغية والفضلاء والحكماء ، والأدباء والعقلاء ، والأولياء والأنبياء ، فهل ترى لهم من باقية ؟ وأنت أيها الملك على قارعة مذهبهم ، وعن قريب تلحق بهم ، فإما إلى نعيم في دار الخُلْد[3] بجوار الصمد ، وإما إلى عذاب الأبد ، فاجهد في تحصيل أدوات البقاء والنجاة ، فإنَّ الدنيا متاع قليل والآخرة خير لمن اتقى . والعارية مردودة ، وأعمالك بين يديك موجودة ، غير مفقودة ، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا علانية ولا سريرة ، وهذا الذي تعين على من نصيحتكم إن كنتم تعلمون ، وما على الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .

---

1 التحنيك : التهذيب . أي أن الدهر هذبه بالتجارب .

2 الدركات : منازل أهل النار .

3 الخُلْد : دوام البقاء .

فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية ، والقيام بالحدود الوضعية ، فقال الملك : جزالك الله خيراً لقد وعظت فأبلغت ، وقدمت[1] بالحقّ على الباطل فأدمغت[2] ، وأقبل الملك معتبراً في تلك الانفعالات الدورية ، والأحكام الكورية ، ولاحت لعينه نشأة الحكمة التي أرقته ، وشوقته فأقلقته ، فاعتز بها سلطانه ، وتقوت بوجودها أركانه ، فإن دخلت في هذا الجبل ، وشرح لك الملك استقصاء مسالكه ، مع من يعرفه من ممالكه فستقف على تكوينها ، وقوة تمكنها بعد تلونها وفي هذا الجبل العزيز ، يتكون الحجر المرموز ، وليس بكامل في ذاته ، ولا متمم في صفاته ، فأدر سماواتك ، واستنزل روحانيتك ، عسى ينجلي عنك غمامها ، ويبدو لك بدر تمامها ، وكذلك إن لقيت روحانية متجسدة ، ذات همة متعبدة فستبين لك عينه ، وتريك أينه ، وتجود عليك بتمام تدبيره وتعرفك بكيفية تسخيره ، فإنَّ التدبير الأثقال[3] لا يزال في استفال فإنَّ الحقائق الروحانية والرقائق السماوية ، تتأذى مما تتأذى منه الإنسانية .

فالحذر الحذر من صفقة الغُرر[4] ، واطلب الشيء من معدنه ، ودبره في موطنه ، فإنه من تولد من الحقائق الطيبة الممزوجة بالأتفال ، لا بد لمن أراد أن يكمل ذاته من مباشرة الأذبال ، فإنه عنها تكون ، وبها تحقق وجوده وتعين ولا يغرنك التحاق الأسافل بالأعالي ، والتحام الأباعد بالأداني فإن للمعادن موطناً ، ولكلّ ساكن مسكناً ، فمن حال بينها وبين معدنها ، ودبرها في غير موطنها ، سقط في يديه ، وحار[5] وباله عليه ، وكانت صفقته خاسرة ، وتجارته بائرة ، فإن كنت إلى تدبير هذه الصفة وإيجاد هذه الحكمة بالأشواق ، فانزع هذه الطباق ، وسل عن الجبل المعروف ، فستجد مطلوبك في الحروف ، فنزلت في طلب ما عنه سألت ، فوفق لي روحانية متجسدة في محرابها متعبدة ، تقطع الليل ساجدة وقائمة ، ولباب ربّها

---

1 وفي رواية : «وقذفت» .

2 إشارة إلى قوله تعالى : ﴿بل نقذفُ بالحقِّ على الباطل فيدمُغهُ فإذا هو زاهقٌ ولكم الويلُ ممّا تصفونَ﴾ [الأنبياء : 18] . فيدمغه : يمحقه ويبطله ؛ زاهق : ذاهب ، مضمحلٌ .

3 وفي رواية : «التقديس بالأتفال» .

4 الغرر : بفتحتين الخطر ، ونهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر ، وهو مثل بيع السمك في الماء ، وأي ما كان بالظاهر يغرّ المشتري وفي الباطن مجهول .

5 وفي رواية : «عاد» .

لازمة ، فلما سلمت من صلاتها ، وفرغت من دعواتها ، كوشفت بغرضي ، فأخذت في إزالة مرضي ، وقالت : أنا على علم ما سلب العقول فقدانه ، وعسر على أهل الطلب والذكاء وجدانه ، فعشقهم في هذا الأمر حيرهم فيه ، فصرفهم عنه وأعماهم ، فلو ضحوا وآثروا الزهد فيه لحصل لهم بوقوفهم على ما هم فيه ، وما هم وأنا أريد أودعك إياه وأنزهك في محياه وأعرفك بمعناه ، وأتحفك بسر معناه ، وأفرق لك بين حكمته في مماته ، وبين حكمته في محياه فانهض معي ، بلا حول ولا قوة إلا بالله ، فرحل بي إلى خط الاستواء ، فإذا الجبل المذكور يعانق عنان السماء[1] ، فنزل إليه شخص من سراة الأرواح ، في نسيم الأرواح ، لطيف الإشارة ، فيصح العبارة فقال : مرحباً وأهلاً ، وسعة وسعلاً ، فقال الشيخ : هذا الغلام قد أنزلته عليك ، وسلمته إليك ، له همة في طلب الحكمة وتشوق إلى طلب معدن الرحمة فسلمني إليه ووقف ، وقبلني الآخر ولم يتوقف ، وسرت معه وانصرف إلى أن أدخلني على الملك ، فقبلت يمين بساطه ، وانبسط فسررت بانبساطه ، وعرف مقصدي ، وأخذ فيه بيدي ، وأشار إلى بعض وزعته ، وقال : سر به في ملكي ثم مكنه من حاجته ، وأخذني المملوك وكان من أحسن المماليك فاخترق بي جميع المسالك ، فرأيت ملكاً عظيماً ، وسلطاناً جسيماً ، بديع الترتيب والنظم ، رفيع الكيف موزون الكم[2] ، ما من مسلك فيه إلا وعليه حافظ ، ولا مجلس إلا وفيه واعظ ، فمما رأيت فيه نهراً عظيماً يجري منه ، وينتهي فيه ، ينبعث من صهريج[3] محكم البناء تخرج منه ترع[4] لمزارعهم ، وجداول تسقي أشجارهم وبساتينهم ، فإذا كثرت الأمطار عليهم ، وترادفت السيول ، وعظمت الترع والجداول ، وسالت الجعافر[5] والمذايب خافوا على أنفسهم الدمار ، لترادف تلك السيول وتوالي الأمطار ، ولهذه الأنهار أسداد مدبرة محكمة ، لا يقوى كل أحد على فتحها إلا العالمون بذلك .

وإلى جانب ذلك الجبل قرية فيها عالم حكيم صنع ، اسمه مالك ، قد ورث فتح

---

1 عنان السماء : كل ما علا منها وارتفع .

2 الكم : المقدار .

3 الصهريج : أسطونة ضخمة مصنوعة من الحديد ينقل فيها الماء أو النفط على مركبة .

4 الترع : القناة المتفرعة من النهر من أجل السقي وغيره .

5 الجعافر : النهر الصغير .

تلك الأسداد ، عن الآباء والأجداد ، فيفتح منها بصنعة معلومة ، ما يخاف منه ، فينتشر على الأرض ، فيفيض الماء ، وتقلع السماء ، فتصلح الأحوال ، بوجود الاعتدال ، فإن النقص والتطفيف[1] سبب البوار ، ودليل الدمار ، فأخبرني الصاحب أنّ ذلك الماء ، لما أخرجه الحكيم في ذلك الجبل وأجراه ، وأقام مجراه ، سواه بالأرصاد ، وأوقف منفعته على الاقتصاد ، وضرب لابتداء جريته ميقاتاً ، وربط لإيجاد أقوات ما يعطيه أوقاتاً ، فمن عرف ما أودع في تدبيره الحكيم من العلوم ، تدبر منه حكمته بصفة تقويمية[2] تنظر إليها روحانية النجوم .

ومما رأيت في ذلك الجبل صهريجاً معلقاً في الهواء ، عليه قبة عظيمة محكمة البناء ، تسقط من تلك القبة حجارة رخوة ، بصنعة هندسية روحانية ، في ذلك الصهريج ، وفيه سرب ينتهي إلى صهريج آخر معلق في الهواء ، فترسب تلك الأحجار فيه فيثقل ، وعندهم نهر يسمى النهر العزيب ، يجري في أوقات مدبرة في سرب ، حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج ، فإذا امتلأ طفت الحجارة على وجه الماء ، وذلك الصهريج مصنوع من الكبريت ، فيعود ذلك الماء حميماً فتطبخ تلك الحجارة ، فتكون منها الحكمة ، وهي تسمى الكيمياء ، وما نزل على روحانيتها صار تفلاً[3] وماء ، فلا تزال هكذا أبداً .

ورأيت في ذلك الجبل مرجلاً[4] على صورة الإنسان ، له سريان : صغير وكبير ، يسمى البركان ، تخرج منه نار محرقة ، وقد وكل الحكيم به شخصاً مدبّراً مجوفاً شبه الروبان[5] يلتقف منه حرارة تلك النار ، وله سرداب له فتح إلى الهواء ، فتخرج تلك الحرارة على باب ذلك السرداب ، ولولا ذلك لأنهدَ ذلك الجبل واحترق كل من فيه من ساكنيه ، ولقد أخبرني تجار أهل البحر بهذه النيران وأن في جزيرة صقلية[6] جبلاً عظيماً ، خارجاً في البحر ، قد عانق العنان ، يقال له : البركان ، تخرج منه نار عظيمة ، تفور كما يفور المرجل على النار ، وترمي بأحجار رخوة على

---

1 التطفيف : البخس في المكيال والميزان .

2 وفي رواية : «بصنعة تقويمية» .

3 التفل : الزبد .

4 المرجل : القِدر من نحاس .

5 الروبان : خائر النفس مختلط .

6 صقلية : جزيرة في البحر الأبيض المتوسط تابعة لإيطاليا .

وجه البحر ، وهي الأحجار التي تستعمل لإخراج الوسخ من الأقدام في الحمامات وغيرها ، وكذلك هذا الموضع الذي ذكرته في هذا الجبل . ثم نهض بي إلى قصر الملك فرأيت قريباً منه بستاناً من الورد الأحمر ، ورأيت فيه سردابين عظيمين ، قد أودع فيه الحكم طلسمين : الطلسم[1] الواحد : يعطي هبوب الرياح والزعازع[2] ، والطلسم الآخر : يعطي نسيم الحياة ، وله حكم في الغارب والطالع ، وفي ذلك البيت عشر جماعات ، قد رتبهم الحكيم لأعمال بعض الصناعات ، وقد قام فيهم شخص عريض ، لين الشمائل معتدل القدّ أريض ، يدعى تاج الأقاول ، ومعتمد الأوائل ، له قدم في اختراق الهواء ، وباع متسع في علوم الأرض والسماء ، يحمل من عالم الغيب والشهادة ، ما ترونه في مستقر العادة ، ويختص بسر ذلك العلم المحققون من أهل الإرادة فغمزني صاحبي ، وقال : انظر إلى أوسط جماعة وتحققهم ، فإنهم مطلوب أرباب الصناعة ، فمن حصل منهم واحداً فقد استغنى ، وحصل على المعنى وتهنى ، ولم يتعن ، فطوبى لمن أخرجهم من أماكنهم ، وغربهم عن مواطنهم ، وشاهدت في ذلك الجبل من العجائب والأرواح المسخرة والسيميا[3] الصحيحة ، والانفعالات الثابتة الكاملة ، والانبعاثات المحققة الشاملة الفاعلة ، ما تضيق به هذه العجالة عن شرح أمره وإيداع سره ، فلما طالعت هذه الأعلام المنصوبة وعاينت الغاية المطلوبة ، أخذت في الإسراء والرجوع ، إلى سماء معلم الأسماء فقلت للوالد : أريد أعرف ما للإنسان الواحد من التصرف في أهل الإرادة السالكين طريق السعادة ، فقال : شأنك وإياه ، ولا تغفل طرفة عين عن الله ، فناديته : يا هلال ، يا بدر ، يا قمر ، فما أجاب . وقال : خسر من دعاني هنا بهذه الأسماء وخاب : فناديته يا سلطان الأنوار والظلم ، فضحك وأجاب : وقال : لا أجيب من ناداني في سمائي بغير أخص أسمائي وأما من ناداني من غير سمائي فكل اسم يناديني به فهو من جملة أسمائي فقلت : أريد أن تخبرني بما لك من التصرفات ، في الأحوال والمقامات ، وما تعطيهم من التنزلات ، والتجليات ، والكرامات ، فقال إنَّ الله قدر لي المنازل في الأعالي والأسافل ، فلي في كل يوم منزلة ، وأحوالنا في هذه المنازل مختلفة ، فإذا نزلت بالنطح ، والبطين ،

---

1 الطلسم : الشيء المبهم.

2 الزعازع : أي تزعزع الأشياء . (مختار الصحاح : 272) .

3 السيمياء : العلامة ومنه قوله : ﴿سيماهم في وجوههم﴾ [الفتح : 29] .

والجبهة ، والخزنان ، والصرفة ، والنعايم والبلدة ، أعطيت من الأعمال المجاهدات ، ومن التنزلات الإشارات ومن التجليات الاصطلامات .

ومن الكرامات المشي على البحور الزاخرات ، وإذا نزلت بالثريا ، والدبران[1] ، والهقعة[2] ، والعوّى[3] ، والسماك[4] ، والذابح[5] ، وبلع[6] . أعطيت من الأعمال الرياضات والخلقيات ، ومن التنزلات برد الأنامل الحاملات ، لجميع العلوم الكائنات ، ومن التجليات ما يختص بالنزول في السموات ، ومن الكرامات قطع ما بعد من المسافات ، بيسير الخطوات ، وإذا نزلت بالهنعة[7] ، والذراع ، والغفر[8] ، والزباني[9] ، والسعود[10] والأجنبية ، ومن التنزلات ما تحمله المعصرات ، ومن التجليات ، ما يظهر في المواطن البرزخيات ، ومن الكرامات اختراق الهواء كالطير والذاريات ، وإذا نزلت بالنثرة[11] ، والطرفة[12] ، والإكليل[13] ، والقلب[14] ، والشولة[15] ، والموخر ، والرشا[16] ، أعطيت من الأعمال الوصال في الهاجرات ، ومن التنزلات ما يختص بسريان الحياة في الحيوانات ،

---

1 الدبران : من منازل القمر ، نجم يدبر الثريا .

2 الهقعة : من منازل القمر ، وهي ثلاثة كوكب فوق منكب الجوزاء .

3 العوى : من منازل القمر ، وهي أربعة كواكب والرابع قريب منها كأنه من الناحية الشامية .

4 السمّاك : السماكاك : نجمان نيران .

5 الذابح : من منازل القمر وهما كوكبان نيران ، وسمّي الذابح : لإن أحدهما صغير وقريب منه وكأنه يذبحه .

6 بلع : اسم لأحد منازل القمر .

7 الهنعة : من منازل القمر ، وهما كوكبان أبيضان .

8 الغفر : من منازل القمر ، وهم ثلاثة أنجم صغار .

9 الزباني : كواكب من المنازل يشبه زباني العقرب .

10 السعود : عدة كواكب ، منها سعد السعود .

11 النثرة : من منازل القمر ، تسمية العرب نثرة الأسد .

12 الطرفة : هما كوكبان يقدمان الجبهة وهما عينا الأسد .

13 الإكليل : من منازل القمر ، وهو أربعة أنجم مصطفة .

14 القلب : من منازل القمر ، يسمّى قلب العقرب وهو كوكب نيّر .

15 الشولة : منزلة وهي كوكبان نيران متقابلان ينزلهما القمر يقال لهما : حُمة العقرب .

16 الرشا : يقال لهما بطن الحوت ، وفي سرّتها كوكب نيّر ينزله القمر .

ومن التجليات ما يأتي على أيدي المرسلات ، ومن الكرامات إحياء الموات ، فهذا يا أخا الإجلال ، ذكر حالتي معكم على طريق الإجمال ، وأقمت في هذه السماء ، في تحصيل هذه الأنباء يومين ، كل يوم منهما على قدر أربعة عشر يوماً من أيام الدنيا .

جعلنا الله وإياكم ممن عقل معناه وأكرم مثواه وبر أباه ، وحفظه وتولاه ، وقدس في كل موطن معناه ، وأبين له طريق هداه ونزه في كل وجهة محياه ، وأكرمه مولاه في مماته ومحياه ، وحياه عند اللقاء الأنزه ، بالتحيات الطيبات المباركات وبياه[1] فالفائز والله من زكى روحه ، والخائب من دساه .

3 – في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات بمشيئة الله تعالى

سلامٌ على يـــوم الثلاثـاءِ إنّـــه   لـهُ هِمّـةٌ خُصّتْ بعُشقِ محمّدِ
لــه الدَّرج العالي إلى كلِّ غايـةٍ   من العالم العُلْويِّ في كلِّ مشهدِ
بـــه كان بأسُ اللهِ في الكلِّ ظاهراً   ولكنَّـــه في كلِّ غضْـب مهنّدِ[2]

ثم أنشأ لي جواداً من المرة الصفراء ، والتحفت بالبردة الحمراء ، وسرت أريد سماء الخلافة النبوية ، والإمامة البشرية ، فلما وصلت الفلك الخامس ، إذا بالخليفة جالس مرتد برداء العزة والسلطان ، عديم النظراء والأقران ، فسلمت فرحب وأهل ، ووسع وسهل ، وأمر بذبح ما حضر من الحيوان ، وتسعير النيران ، فحمرت القدور الراسيات ، وأحضرت جفان[3] كالجابيات ، وجيء بالكوامل المستديرات ، عليها من الخبز المرقق ، واللحم المدقق ، ما تسرى برؤيته الحياة في الأشباح ، وتتنعم بمشاهدته لطائف الأرواح ، ناهيك من طعام صدر عن سر الحرفين ، ونزل من كرسي القدمين ، فلما تملأنا من الطعام ، وحمدنا الله تعالى على ما منحنا من سوابغ الإنعام ، أظهر الخليفة عزة نفسه ، وقوة بأسه ، وبيده قضيت

---

1 بياك الله : أي عجّل لك ما تحب .

2 العضب : السيف القاطع . المهند : السيف المصنوع من حديد الهند .

3 الجفان : القصعة العظيمة . ومنه قوله : ﴿ويعملونَ لَهُ ما يشاء من محاريبَ وتماثيل وجفان كالجوابِ وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور﴾ [سبأ : 13] .

من الذكر اليماني رقيق الأشفار[1] ، ماضي الغرار[2] فقلت ، حذار من أسد العرين ، حذار وبين يديه جماعة من الأنجاد الأجراد ، قد امتطوا متون الصافنات[3] الجياد ، عليهم الدروع المحكمة السرد ، وبأيديهم رماح الخطي[4] وقواضب الهند ، وهم عازمون على إيقاع البلايا والمحن ، وإظهار الحروب والفتن ، وإهلاك الأعداء من النحل والملل والفتك فيهم بحد القواضب والأسل[5] ، وقد ظهر سلطان الغضب المقلق ، وارتفع لنار الحمية اللهب المحرق ، وبان الطريقان ، وامتاز الفريقان ، وكل فريق يذب عن سنته ، ويحمي ذمار سننه ، فقلت : يا سوء المكر الذي يحيق بعالم الخفض ، ويا بؤساً لأهل الأرض ، وقام وزير الخليفة خطيباً في ذلك الملأ الأعلى ، عن إذن الخليفة المولى ، وبيده عصا من الحديد ، يلحق بها القريب والبعيد ، متوجاً بعمامة حمراء ، مرتدياً برداء أحمر ، عليه فظاظة[6] نكير ومنكر ، فعندما أراد الشروع في خطبته العمياء ، والتحريض على إمضاء فتنته الداهية الدهياء ، أقام المؤذن صلاة العشاء ، فبادرت للصف الأول خلف الإمام ، فبينما أنا أحضر نية الإحرام[7] إذا سنح بخاطري رسول الإلهام ، لأبيات سمائية في أسرار صلاة عشائية .

دعــاني للمسامرة المنــادي ... مع المحبوب حــين أتى العِشاءُ
فأسبقتُ الوضوَ وجئت قصداً ... إليــه ولم ينهنهنــي اللقاءُ
فكبرنـا نشير بــأن أتينـا ... فما رفــعَ الحجابُ ولا اللواءُ
فأثنينـا بحمدَيْـهِ جميعـاً ... فشالَ السِّتر وارتفــع الغطاءُ
وقــال : أصبتَ خيراً يا سميري ... وصحَّ لــك السَّنا ثم السَّناءُ
تُسامرني بلفظك مــن بعيــدٍ ... وللمعنى على القُــرب استواءُ

---

1 رقيق الأشفار : وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر .
2 الغرار : حدّ السف وغيره .
3 الصافنات : من الخيل القائمة على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .
4 اسم موضع على ساحل البحرين وعُمان وإليها تنسب هذه الرماح .
5 الأسل : الشوك الطويل من شوك الشجر وتسمّى الرماح أسلا . (مخار الصحاح : 17) .
6 الفظ : الجافي الخُلق .
7 الإحرام : دخل المصلي في الصلاة بقوله : الله أكبر .

فـلا شرقٌ ولا غـربٌ لذاتي | وليس لهـا الأمـامُ ولا الوراءُ
وليس لهـا الأسافلُ والأعالي | وليس لهـا الكفاحُ ولا الأزاءُ
لنـا الظلماتُ والأنوارُ حجبٌ | عـلى الأبصارِ ثمَّ لنـا العماءُ
فإن أكني بنيتُ على وجودي | لتعليـم فأنـتَ لـه لجاءُ
فيا قـومُ اسمعوا مـا قال ربِّي | ومـا أعطـى التعبُّدُ والحياءُ
ولمـا أن صفـا الـودُّ اتحدنـا | فكـان المرتـدي وأنـا الرداءُ

فلما أحرمنا بدت ظلمات العمى ، فلما افتتحنا المخاطبة أجبنا من غير أرض ولا سماء ، فلما جهرنا قيل من أنتم ومن أنا ، فلما أسررنا وقفنا في العناء ، فلما كبرنا في الركوع هيمنا في الهواء ، فلما رفعنا ظهر سلطان الحيرة ، فلما سجدنا أسدل حجاب الغيرة ، فلما استوينا جالسين رأينا المستوى على السرير غيره ، فلمّا سلمنا سلبنا المعرفة ، ورمى بنا في بحر الصفة ، فلما فرغ الإمام من صلاته وأكمل جميع تسبيحاته ودعواته ، أخذ الخطيب عصاه ، وقام إلى ما كان قبل ذلك نواه ، فقال : الحمد لله ، واضع الملل وشارع النحل ، تارة بالوحي ، وتارة بالإلهام ، فوقتاً خلف حجاب الإشراق ، ووقتاً خلف حجب الإظلام ، فأضل وهدى ، وأنجى وأردى ، وأقام أعلام الضلالة والهدى ، ففصل بها بين الأولياء والأعداء ، فجعل الهدى لحزب السعادة سلّماً ، ونصب الضلالة لحزب الشقاوة علماً ، وأوقع بينهما للفتن والحرب ، في عالم الشهادة والغيب ، وثبتت في صدورهم الشحناء ، وبدت بينهم العداوة والبغضاء ، فسفكت الدماء ، واتبعت الأهواء ، فالسعيد منا من ناضل عن شرعه المؤيد بالآيات ، وقاتل عن وضعه المقرر بالمعجزات ، والشقي من احتمى بحمى الضلالات ، ودافع عنها بمجرد المحميات ، وأعمى نفسه عن ملاحظة الصواب ، فيما وقع من الخطاب ، فبادروا إلى نصرة الدين المكي [1] وقاتلوا بما ثبت في قلوبكم من اليقين اليمني وقد خاب من طلب أثراً بعد عين ، ورجع بعد معرفته بعلو مرتبته الصدق إلى المين .

جعلنا الله وإياكم ممن ذب عن شرعه المعصوم ، وناضل عن دينه المعلوم .

1 وفي رواية : «دين الملك الوهاب» .

وأنا أيها الأشراف الأقاول[1] ، والربانيون الأوائل ، روح المقام المحمدي ، ومعطيه سيف منزل الاستخلاف الكلي ، لنا الحياة والنمو ، والاعتدال والسمو ، ومعالي الدرجات ، وبلوغ الغايات ، والترقي إلى المعالي والتلقي من المقام الأنزه العالي ، وتحليل الجامد ، والترحيب بالمقاصد ، والعز القاهر ، والسلطان الظاهر ، والنضال عن الدين ، وسفك دماء الملحدين ، ونصرة الغزاة الموحدين ، ونيل الأغراض وسرعة الانتهاض ، إلى إزالة الأمراض ، فله الشكر سبحانه على ما أولى ، وله الحمد في الآخرة وفي الأولى .

4 ـ في اختصاص العصر بيوم الأربعاء ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر من الانفعالات ، بعون الله ومنه وكرمه

سلامٌ على عيسى المسيح ابن مريما ... نبـيٌّ لــه الأرواحُ أيَّـانَ يمَّما
تبدَّا ونورُ الشمس في الأفقِ طالعٌ ... فلم أدرِ ممَّـن أشرقَ الكونُ منهما
تولَّـدَ في الأرحام مـن غير شهوةٍ ... عـن النَّفحةِ العليـا فصارَ محكَّما
على سرِّ إحيـاء الموات ونشرها ... فكـان ليـوم الأربعـاء متمِّما
وكاتبـه الوهمـيُّ يرسل همَّـةً ... على روح فرَّار فتسمى مجسَّما
فكان لطيفـاً في التَّحاليل صانعاً ... وكان شجاعاً في التَّراكيب مقدما

فلما فرغ خطيب الفلك الخامس من خطبته ، وقرع الأسماع بموعظته ، وأثنى على نفسه بعلو درجته ، خرجنا نريد السياحة في فلوات المعاني ، والسباحة[2] في الفلك الثاني ، فسحت في مساحات الأكوار والأدوار ، وسبحت في ساحات الأنوار والأسرار ، فتلقتني النفخة الروحانية المنبعثة من القوة اللوحية ، بالشعلة اليوحية المتكونة في الأرحام ، من غير التحام ، فقلت : سلام على الكلمة والروح الإلهي ، والمنزه عن الاستنكاف[3] الرباني ، فقال : وعليك السلام ، أيها الطالب علو المراتب ، والذاهب في أقصد المذاهب ، فقلت : الحمد لله على شهادة اعتصامية حاكمة من نبوة

---

1 الأقاول : هم الرؤساء .

2 وفي رواية : «السياحة» .

3 الاستنكاف : الامتناع .

خاتمة فناداني بالحبيب المضاف إليه ، ودعا لي بالتثبيت المعول عليه ، وسألني : هل وقفت على حقائقي ، وميزت بين لطائف رقائقي ؟ فإن موارد الألطاف أرواح القدس ، إنما تكون بعد تقدم معرفة النفس . فأنشدته :

إنَّ القلوبَ بذكـــر الله وآلهةٌ والسّرُ في مشهد المذكور مشغولُ
والنّفسُ في البرزخ الكونيِّ قابلةٌ والروحُ في الفلك العلويِّ مقبولُ
والعقلُ بـــين أمينيه جليسهما والحسُّ في الفَلك السفليِّ مغلولُ

فقال : أبدعت في تفصيلك ، ونعم ما أودعت في تجميلك ، فهل بَان لك نور الخلق والإبداع فيعشق بك البقاع والقاع ؟!

النــور نــورُ المبدعاتِ الوُلَّــهِ[1] في أوجها الأعلى النزيـه الأنبه
فانظر إلى روح تجسَّدَ في الثَّرى وانظـر إلى جسم مريض أشوه[2]
يُبدي الذي يُخفيه في ملكوته من مُلكه الأدنى القريب الأنوه
تُبصر عجائبَ في منازل خلقها بمُشبَّــه فيهـــا وغير مشبَّه
فالروحُ يُشبه جسمهُ إن جاءهُ[3] والجسمُ ليس كذاك عنـدَ تألّه

فقال : وهل سلكت أول طريق السعادة ، وهو الإيمان بالغيب والشهادة ، فعرفت منزل صاحبه ؟ وأين يبلغ جواده الكريم الشامخ براكبه ؟ فأنشدته :

قـــلْ للَّـــذي يُؤمـــنُ بـــالله أنـــتَ على نـــورٍ مـــــنَ الله
أنــت الإمام المصطفى والذي يأتـــي مــــــن الله إلى الله
أنــت الذي دأنَ لك المستوى وعـــزَّ سلطانـــك بـــالله
فافخـــر فـــإنَّ الفخر لا ينبغي إلاّ لمـــــنْ يعتـــزُّ بـــالله
لولا الذي عنـــدك من صدقِهِ مـــا كنـــتَ في ظل مـــن الله
واحـــذَرْ فـــإنَّ الله مستدرجٌ نفسَ الـــذي يغتـــرُّ بـــالله
واحسِبْ على نفسك أنفاسَهـــا واهـــرُبْ مــــن الله إلى الله

1 الولَه : إفراط الوجد .
2 وفي رواية الشطر الثاني : «انظر إلى جسم تروحن أنزه» .
3 وفي رواية : «إن شاءه» .

فقال : هذا الإيمان قد حصل ، فهل ألم بك الإسلام ونزل ، فأعطاك فائدته وأجرى فيك عادته فأنشدته :

إذا أسلمَ العبدُ واستسلما ... وكانَ الأمر الهدى مُحكما
ينادي به في طباق العُلا ... ألا قرِّبوا السيِّد الملهما
فيأتي إليه بُراقُ الهُدى ... يكونَ له للعُلا سلّما
فيعلوا عليه بأذكاره ... فيُنزلته المحضر المعلما
وينزله في ذُرا أوجه ... فيسمع في حينه : مَن ومَا
وأنتَ الذي جئتَ بي قاصداً ... إليكَ وخاطبتَ كي أفهما
فهمتُ الذي همتُ فيه وما ... يُفيدُ الفؤادَ إذا سلّما

فقال : هذا قد شهد لك بالإسلام بالتمام ، فهل للإحسان بساحتك إلمام ؟ فإنه يعطيك أسرار الكمال ، وتصريفات الجلال والجمال ، فأنشدته :

إذا كانَ إحساني شهوديَ خالقي ... وكوني مشهوداً فما لي إحسانُ
فإنَّ وجودي من وجود مشاهدي ... وأنِّي في عين المشاهد إنسانُ
لئن كنتُ قد ساءت ظنوني برؤيتي ... وجودك يا جودي فإنَّك محسانُ
تراني إذا جاء الشّتاءُ بمنزلي ... كئيباً ، ومسروراً إذا جاءَ نيسانُ[1]
وما ذاكَ إلا أنَّ في الصدقِ ثَلَمَةً ... تَنزَل لها عادٌ بذِلّ وساسانُ

فقال : هذا الإحسان قد ظهرتُ منك أعلامه ، وانتشرت فيك أحكامه ، فهل انتقلت عنه إلى سر السرى ، فعلمت أنه لا يعلم ولا يرى ؟ فأنشدته :

سرِّي بسرِّ السُّرى للسرِّ موصولُ ... ولا تكيُّفَ ، إنَّ الكيفَ تضليلُ
إذا عجزتَ عن إدراكِ الإلهِ بما ... يُعطيه بُرهانُه ، فالعجزُ تحصيلُ
فلا تُفصِّلْ ففي التفصيل تجملةٌ ... ولا تجمِّل ففي الإجمالِ تفصيلُ
العلمُ باللهِ نفيُ العلم عن خَلَدي ... لكنّ مشهدَهُ للعقل معقولُ[2]

---

1 إشارة هنا إلى أهمية الربيع .

2 الخُلد : دوام البقاء ، والخَلَد : بفتحتين البالُ يقال : وقع ذلك في خَلَدي أي في قلبي .

إذا شهدتَ الفنا فيه شُهدتَ وقد أتـى بذلك معقـول ومنقولُ[1]
العلمُ بالله ذوقٌ لا دليـل لـهُ مـا الله في العقل للبُرهانِ مدلولُ

فقال : هذا سرك ظاهر ، وسرك به قاهر ، فهل أوقفك على سر الأيام المقدرات الموجودة عن الأيام المسخرات ؟ وهل أشهدك سر الأبدية في يوم الاستحالات ، وكيف جمع المحالات ؟ فأنشدته :

لقد كانَ الوجـودُ بـلا زمـان ولا كـوْنٍ وكانَ لـه التمـامُ
فلمّـا أن أراد وجـودَ عيني وكانَ الخلـفُ قيَّـدَهُ الأمـامُ
فمـا يُدرى الوجودُ بغير ضدٍّ كما المأمـومُ ميَّـزهُ الأمـامُ
فـأولُ مـا بـدا روحٌ تعالى وصحَّ لـه الإقامـةُ والدَّوامُ
فيومٌ ثـم يـومٌ لا يُجارى وأربعـة فقـامَ بهـا النِّظـامُ
وأيّـامُ الإلـه مقـدَّراتٌ فليسَ لهـا وجـودٌ والسَّلامُ
فمنها ستَّـةٌ ظهـرت وبانت وقيَّدهـا التَّصـرُّف والمُقـامُ
وواحدهـا عزيـزٌ سرمـديٌ لـه القدَمُ الصَّحيحةُ والمقامُ[2]
وذاكَ السَّبـتُ رفعتُـهُ نهـارٌ بأقـوام وشِقْوَتُـهُ ظـلامُ
إلى الأبدِ الذي مـا فيه وقفٌ وفيـهِ كان للنَّفس القـوامُ

فقال : نعم ما به أتيت ، وصحيحاً يا حبيبي كل ما رأيت ، لقد جمع لك بين مشاهدة العين ، ومكاشفة الكون فأنت الإمام الذي لا يجارى ، والعلام الذي لا يبارى ، ثم أقيمت في عالم المثال ، صورة الدجال ، فقتله في عالم المعاني حيث أرى ، وألحقه بالثرى ، ثم جيء بكساء صوف من النور الأصفر ، فانتزع من عرضه قدر أربع أصابع ليس أكثر ، ولم يكن لطول ذلك الكساء ابتداء ولا انتهاء ، وقال : هذا كفنك ، وفيه مسكنك ، ثم أمرني بالزهد والسعاية والجد ، وأحضرت بين أيدينا مائدة الابتلاء ، فأكلنا معترفين بالنعمة[3] والنعماء ، ثم منحني عوارف اللطائف ،

---

1 الفناء : رؤية العبد للعلة بقيام الله على ذلك .
2 المقام : عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام .
3 وفي رواية : «بالمنعم» .

وفنون المعارف ، وترتيب المواقف ، ومنزل العلوم وأسرار ما تحمله في سباحتها النجوم ، وميز لي بين الخواطر ، وأوقفني على المراتب والكراسي والأسرة والمنابر ، وأدخلني حضرة الإلهام والوحي ، وحذرني موارد القياس والرأي ، ورفع لي عن منازل المبشرات ، وكشف لي عن معادن النبوات ، ونصب لي موازين الفكر ، وعرض عليّ مقادير النظم والنثر ، وخاطبني بغرائب السجع[1] والشعر ، وأبان لي عن سر الصعود[2] بالتحليل ، وفرق لي بين التحقيق والتخييل ، وأوقفني على غلطات الأذهان ، والتفرس[3] في الأعيان ، وسر المشي على الماء ، وإبراء الأكمة والأبرص ، وإحياء الموتى ، وكشف لي عن خواص سر المعادن والأحجار ، وقال : ليس أقبل للسر من الفرار ، ولقد تطاول إليه الحيوان وما حواه نبات المعارف في كل جنان ، ثم قال لي : ع[4] ما سمعتك ، وخذ ما أودعتك ، وانزل به في الآن ، فسترى في أعيان الأكوان ، وهذا وقت صلاة العصر قد حان ، فصلٍّ معنا وانصرف حيث شئت ، من الطريق الذي عليه جئت ، فأقيمت الصلاة ، وتقدم الإمام ، واستوت الجماعات ، وترتبت الصفوف ، وطال الوقوف ، فخطر في النفس أن أقرع الأسماع ، بأبيات من الشعر ، في أسرار صلاة العصر ، وهي :

دعـاني إلهـي كـي أُناجيـه بالسرِّ ... فنادى المنـادي قـد أتى مشهدُ العَصْرِ
فقمْـتُ فأسبَغْتُ الوضوءَ ولم أزلْ ... بعلمي بـه عُـري على أسبَغ الظهرِ
فكانَ لنـا نـوراً على نورنـا الّذي ... أتينـا بـه من قبلُ في مشهدِ العصرِ
فقال : عُبيدي . قُلـتُ : لبَّيْكَ سيِّدي ... أتدري بأنِّـي واهـبُ النَّفع والضُّرِّ
وأنَّ لي التَّحـرك في كلِّ حالـةٍ ... وأن لي التَّسكـينَ . قلتُ لـه : أدري
فقال لي : اشرع في الصَّـلاة فإنَّنـي ... أناجيـك فيهـا بالبشارة في السِّرِّ
وأعطيـكَ لم الإلتحـامِ بصورتـي ... وكونك منِّـي في الوجـودِ على قَدرِ

---

1 السجع : الكلام المقفّى ، والجمع أسْجاع وأساجيع .
2 وفي رواية : «التحقيق» .
3 الفراسة : التثبت ودقة التحليل ، وفي الحديث «اتقوا فراسة المؤمن» .
4 عِ : فعل أمر .

فيلثم منهـا الثَّغـر في روضة المُنى ... فبـورك مـن لثم ، وبورك من ثغرِ [1]
وتمتصُّ منـه ريـق علـم ولا ترى ... تُشبِّهُـه بالسَّلسبيـل وبالخمر [2]
تعانقهـا اللَّيـل الطويـل بحضرتي ... وتنكحها بالوهب مـن غير مـا مهرِ [3]
فلا شيء أحلى مـن نكاح بلا مهر ... ولا شيء أعلى مـن صلاةِ بلا طُهرِ
فإنَّ ظهـورَ العبـد نقصـانُ سرّه ... فما أحسنَ اللغز الذي سقتُ في شعري

فلما كبر الإمام ، صح الإلمام ، فلما افتتحنا التحفنا ، فلما ركعنا امتطينا ، فلما رفعنا اعتنقنا ، فلما سجدنا اضطجعنا ، فلما جلسنا استوينا ، فلما سلمنا علمنا بأنا وهمنا فيمن همنا وما فهمنا ، ثم قمت بعد أن فرغنا من الصلاة أسمع الحاضرين تعظيم الأرواح والكلمات ، فقلت : الحمد لله الذي اختص هذه الحضرة بالعلمين ، ونزه إمامنا هذا عن الشهوتين ، وإعطاه لواء الختمين ، وأضافه إلى كلمة وسبح به في لجج حكمه ، انتسب إليه فعبد ، واستوى عليه فقصد ، اختص بخصائص الفهم ، ووهب له غرائب العلم ، ونطق في المهد [4] ، بالإقرار والجحد ، فقال : ﴿إنِّي عَبْدُ اللهِ آتاني الكِتابَ وَجَعَلَني نبيّاً وَجَعَلَني مُبارَكاً أينما كُنْتُ وَأَوْصاني بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمتُ حَيّاً﴾ [مريم : 30 ، 31] فعرف مآله قبل فطامه ، وحكم على نفسه بالاستقامة قبل استحكامه وشهد لنفسه بقبول الوصية الإلهية ، بالصلوات النورية والزكاة البرهانية ، وسلم على نفسه في الثلاثة الأحوال ، ثم نزه نفسه تعالى عمّا قاله أهل الضلال ، الضلال فقال : (ذلكَ عيسى ابنُ مريمَ قولَ الحقِّ الذي فيه يمترونَ ما كانَ للهِ أن يتّخذَ من وَلدٍ سبحانهُ إذا قضَى أمراً فإنّما يقولُ لهُ كُنْ فيكون وإنَّ اللهَ ربِّي وربُّكم فاعبدُوهُ هذا صراطٌ مستقيمٌ فاختلفَ الأحزابُ من بينهمْ فويلٌ للَّذينَ كفرُوا مِن مشهدِ يومٍ عظيمٍ﴾ [مريم : 34-37] فبادروا أيها الحاضرون إلى هـذا النبيّ الكريم ، بالتوقير

---

1 اللثم : التقبيل .

2 إشارة إلى قوله : ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عيناً فيها تسمّى سلسبيلاً﴾ [الإنسان : 17 ، 18] . تسمّى سلسبيلاً : يوصف شرابها بالسلاسة في الانسياغ وسهولة الانحدار في الحلق . (القرآن تفسير وبيان : 58) .

3 الوهب : وهو أن تهب المرأة نفسها لرجل بدون مهر .

4 إشارة إلى عيسى ابن مريم عليه السلام .

والتعظيم تفوزوا بالمقام الجسيم ، عند الرؤوف الرحيم .

جعلنا الله وإياكم ممن عرف شرف الكبير ، ورحم الصغير ، فنال المقام الخطير ، آمين .

5 ـ في اختصاص الظهر بيوم الخمسين ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات

سلامٌ على موسى الكليم المكلَّم ... سلامٌ عليه من نبيٍّ مكرَّمِ

أتانا على خمسين يوماً محكماً ... فأظهرَ فيه كلَّ روح محكَّم

وأخلى له قاضي السَّماء محلهُ ... فزوج فيه كلَّ شخصٍ مجسَّم

وبُيِّض فيه كل شيء مسوَّد ... وفُتِّح فيه كلُّ باب مختَّم

وشال حجاب الغيب عن عين قلبه ... فشاهد فيه كلَّ وسم موسَّم

ثم رحلنا نبتغي سماء الكلام ، لنقف على ورثنا من موسى عليه السلام ، فلما دخلنا عليه ، وحضرنا بين يديه ، سلمنا وخدمنا ، فأكرمنا واحترمنا ، وجمع لنا بين إقبال الأخوة والأبوة ، إثباتاً لشرف النبيّ محمد ﷺ ، ووفاء بمقام النبوة ، فقلنا له : هات حظنا منك ، لنخبر به عنك ، وأوقفنا على ما لديك ، وما صرف الرحمن فيه من النظر إليك فشال الحجاب ، فانفتح الباب ، من خلفه جنتان ، ذواتا أفنان ، فيهما عينان يجريان ، فيهما من كل فاكهة زوجان ، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان[1] ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فقال : هذا لمن حرم في الدنيا الأمان .

ثم شال عن يساره الحجاب ، فانفتح الباب ، من خلفه جنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان[2] فيهما فاكهة ونخل ورمان ، فيهن خيران حسان ، حور مقصورات في الخيام ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، متكئين على رفرف خضر

---

1 ومنه قوله تعالى : ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جآن . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان﴾ [الرحمن : 56 ، 57 ، 58] . قاصرات الطرف : قصرن أبصارهن على أزواجهن ، لم يطمثهن : لم يمسهنَّ ، كأنهن الياقوت : بياضاً وصفاءً .

2 النضاخة : الفوارة تجيش بالماء .

وعبقري حسان ، فقال : هذا لمن عاش بالأمان ، وبقيت الأعيان ، تطلب العيان بالعيان ، فشاهدنا ما أخبرني الله في السورة الذي يذكر فيها : الرحمن ، علم القرآن خلق الإنسان ، علمه البيان ، غير أن جنى الجنان ، ليس بدان ، فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها ، سألته : ما السبب الذي قصر بنا عنها ؟ فقال : يا ولي تناولها موقوف على التركيب الثاني ، إن قمت بتعظيم معرفة المثاني وأنت في التركيب الأول ، فاصبر حتى يتحول ، فإذا سترت روحانيتك جسمك ، ووسمت وسمك ، وعرفت سعادتك وإعادتك واسمك ، وصرت في الصور الحول القلب ، يذهب منها كل مذهب ، حينئذٍ تتناول ما بسق[1] من أشجارها ، وتستنشق ما شئت من روائح أزهارها ، وتقف على سر حجرها وأحجارها ، فهنالك يبدو لك شرف الاعتدال ، وصورة الكمال ، وسر الثوب الذي مال ، وروح الضياء والظلال ، والتحاق النساء بالرجال وشفوفهن عليهن في جنات الأحوال ، ويظهر لعينيك استواء المنحرف الميال ، يبقى العلم ويذهب الخيال ، وتتضح المعاني ويزول الإشكال ، وينحفظ الترتيب ، باعتدال التركيب ، وتبرز حقيقة الأبد ، ويدوم البقاء بالديمومية الإلهية من غير أمد ، وتلوح كيفية التولد ، وماهية التعبد ، وأسرار الصلاة والصدقات ، وسبب الأولياء والشهود في النكاح والصدقات ، ومعالم الوقوف بعرفات ، وسفك دماء القرابين بمنى لابتغاء القربات ، ومقام الذاكرين الله (فيه) كثيراً والذاكرات ، المقرون بذكر الآباء والأمهات ، وانتظام الشمل بالحبايب ، والتحاق الأحباب بالأقارب ، وتنوع المراتب ، باختلاف المذاهب ، وسرور الروح والنفس ، بتحصيل الجمال والأنس ، وتقف على سر إجابة دعوة المضطر وإن كان كافراً وهدى الطالب إذا كان حائراً ، وتعلم أن الله لا تضره معصية عاصي ، ولا تنفعه طاعة طائع ، ولم يسمى بالمانع ، والجواد ليس بمانع ؟ ثم قال : ناد يا حنان يا منان ، يا رؤوف يا قديم الإحسان ، يا من جعل معدن النبوة أشرف المعادن ، وموطن الأحكام أرفع المواطن ، أنت الذي سويت فعدلت ، وفي أي صورة ما شئت ركبت ما سويت ، يا واهب إذ لا واهب ، ويا مانح المثوبات أهل المكاسب ، أنت الذي وهبت التوفيق ، وأخذت بناصية عبدك ومشيت به على الطريق ، وخلقت فيه الأعمال

---

1 بسق النخل طال ومنه قوله تعالى : ﴿والنخلُ باسقاتٍ لها طلعٌ نضيدٌ﴾ [ق : 10] .

الرضية والأقوال الزكية ، وأنطقته بالتوحيد والشهادة ، ويسرت له أسباب السعادة ، ثم أدخلته دارك ، ومنحته جوارك ، وقلت له : هذا بعملك ، ولك ما انتهى إليه خاطراً أملك . فناديته كما أمرني فأجاب ، وقرعت بابه بهذه الكلمات ففتح ورفع الحجاب ، فلما تجلى دك الجبل الرأسي ، وحزرت على رأسي ، فانصرف الإدراك إلى القلب ، فأبصر ، وقال : أين هذا من مقام الله أكبر ، وهو الله أكبر ! فلما أفقت بعد الصعق ، وأبدرت بعد المحق نطقت بالتنزيه ، الذي يوهم التشبيه ، والتحقت بأول إيمان الأولياء الأبرار ، بأنه لا تدركه الأبصار ، إلا في غير هذه الدار ، وأخلصت المناب ، فمن الله وتاب ، فقلت لموسى عليه السلام : هذا ميراث مشهدك ، وأسنى مقعدك ، صدق خاتم الأنبياء[1] في إبانته عن مرتبة العلماء بأنهم ورثة الأنبياء ، والحمد لله الذي أورثنا ثم أماتنا وبعثنا فقال موسى : هل رأيت معدن النورين ، ومحل السرورين فقلت وأين ذلك ؟ فقال : في صلاة الظهر نور في نور ، وسرور في سرور فقلت : لو حان وقتها صليتها في حضرتك ، ووقفت عليها من مرتبتك ، فإنّك الأخ ، من تمنيك الأنفس ، والسيد من المقام النبوي الأقدس ، فقال : أما ترى الشمس في مدرجة السلوك قد شرعت في الدلوك ؟ فأقم الصلاة ، وأحرم وحلل كل ما يأتيك فيها ولا تحرم ، حتى تسلم ، فإذا سلمت حرمت عليك الأشياء وحكمت عليك الأبناء ، فوقع في نفس من أسرار صلاة الظهر أشياء ضمنتها أبياتاً من الشعر ، فاستمعها الإمام ، قبل أن يشرع في القيام ، وهي :

دَعانـــا للمناجـــاةِ السلامُ وقـالَ لنـا التَّكلـم والكلامُ
وأَسْبغتُ الوضوءَ على حَضورٍ إلهـيٍّ يؤيِّــده التَّمـامُ
وأحرمنـا فحرَّمنـا المعـاني وكبَّرنـا فكبرنـا الإمـامُ
تناجينـا طويـلاً في المعـاني على كثـب وقـد رفـع القرامُ
وفاتحنــاه بالتَّحميـد كيمـا يراجعُنـي فيثْبُـتُ لي المقامُ
فمنّـي اللَّفـظُ والمَعنى إليـهِ ومنـه إليَّ معنـىً والسَّلامُ
فيَظهرني بـه فيمـا لديـهِ على كـوني إذا اشتـدَّ اللِّزامُ

---

1 وفي بعض الرواية : «النبئاء» وهو تصحيف .

ويظهـــرُ لي فأكتمُـــهُ فيخفي فأظهـــرُه فيستـــرُه الغمـــامُ
ويأتـــي الأمـــرُ منه إليّ حتماً بأنَّ الكشفَ في الدنيـــا حرامُ
فأستـــرهُ فيستـــرني فيبدو لـــدى السِّترين آيـاتٌ جسامُ
فأرجـــع للأنـــام مـــن الكلامِ وعنـــدي منـــه أهـــوالٌ عظامُ
فمنها العـــينُ والتَّحكيمُ فيها ومنهـــا الانزعاجُ والاصطلامُ[1]
أكاسيرٌ تـــردُّ الميـــت حيّـــاً ويُمطـــرُ عنـــد رؤيتها الجهامُ
وكان الحـــقُّ مأمومـــاً ورائي على تعظيمـــه وأنـــا الإمامُ
وذلك في الظَّهيرة حين زالت غزالتُنـــا فصـــحَّ لنـــا المُقامُ
فهـــذا اللّغـــزُ إن فكَّرت فيه وجـــدتَ الحقَّ حقّـــاً يا غُلامُ

فلما رفعنا رُفعنا فلما أحرمنا أحللنا ، فلما افتتحنا منحنا ، فلما ركعنا سمعنا ، فلما رفعنا أطعنا ، فلما سجدنا وجدنا ، فلما جلسنا أنسنا ، فلما سلّمنا سلِمنا ، فلما فرغ الإمام من جزيل المثوبات ، واستعاذ من وبيل العقوبات ، صعدت منبر النور ، وفي يدي عصا من البلور ، وقلت :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألحق العلماء بأنبيائه وأسكن أرواحهم مع ملائكته في سمائه ، وجعلها طيارة في فسحات الأفلاك ، سيارة في روحانيات الأملاك . أفاض عليها من نور تجليه ما أداها إلى الصعق ، وأبان لها من مقامات القرب ما حكم عليها به سلطان السحق ، دعتها نغمات إيقاع السماع في الأسماع ، إلى الاستماع ، فاشتاقت إلى خطاب الأحباب ، بمدارك لباب الألباب ، من غير حجاب ولا حجاب ، فوقعت المحاورة والخاطبة ، والمجالسة والمعاتبة ، وزالت المراسلة والمكاتبة ، فسطعت أنوار أسرار ثوراتها ، وتبلبلت بلابل سرها بكلماتها ، فقالت وقال ، وأطالت وأطال ، ثم منحها الوصيات القدسيات ، والتدبيرات الإلهيات ، وأطلعها على أسرار النيات ، في المناجاة بالنيران المتخيلات ، وقيل لها : إن جل الخير ، في السعي على الغير ، فمن أراد

1 الانزعاج : هو أثر الوعظ الذي في قلب المؤمن وقد يطلق ويراد به التحرك للوجد والأنس .
الاصطلام : نعتُ وَلهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه .

مني قضاء مآربه ، فليقض حاجة صاحبه ، وإن لم يستند فيها إلى جانبه ، ولو ذهب في غير مذاهبه .

يا أيتها الأرواح الطاهرة ، والأنفس الزاهية المتظاهرة ، ها أنا أقرب إليكم منكم ولكن لا تغتروا ، فكما أنا لكم ، أنا عليكم ، وقد أبنت لكم في مقام المعرفة ، أنه لا تقيدني صفة ، فالزموا مواطن العدل ، وانعموا بسوابغ الفضل ، فإني الشهيد الذي لا يقبل الرشا ، والبصير لا يقوم ببصره غشا ، فلا تحاسدوا ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ولا تهاجروا ، ولا تباغضوا ولا تنافروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، تنالوا بذلك رفعة وأماناً ، فأنتم السابقون المقربون وأنتم الرسل المقربون وأنتم المرشدون الأعلون ، فلا ينجو بكم الغير وتشقون فاحفظوا وصيتي ولا تنسوها فرجعت الأرواح بألوية رسالاتها منشورة ، ونصبت كل لواء بإزاء كل صاحب سورة ، وخاطبت النّهى ، ومنحت اللّهى .

جعلنا الله وإياكم ممن تميز في صدر الجلال والبها ، وتعزز بالسمو على سدرة المنتهى .

6 ـ في اختصاص المغرب بيوم الجمعة ، ومن هو الأمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات

يـومُ العَروبَـةِ اخـرُ الأيّامِ ... ألستـة المشهـورةِ الأعلامِ
فيـه تلقّفَ لوحُنـا أسرارهُ ... مـن ربِّـه بوسائـط الأقلامِ
في كلِّ ما يجر بـه في تصريفه ... بوسائـط الأحكامِ في الأحلامِ
فالسرّ يلعبُ بالنفوس وبالنهى ... كتلاعـبِ الأفـلاكِ بالأيّامِ
حتّى إذا مـا تنقضي أيّامـهُ ... يبقـى جهـولاً بالمقام السّامي

ثم نزلنا من سماء النظام إلى سماء التصور التام ، بحسن الانتظام ، لنأخذ إرثنا من يوسف عليه السلام ، فوجدناه على سرير قدسه ، فاستنزلنا روحانية نفسه ، فنزل في حسنة البديع ، موافقاً حركة الربيع فأبصرنا وجهاً كأنه بدر التم ، أو الشمس حين تجلى عنها الغيم ، فتصدعت القلوب ، وتيتمت النفوس وهيمت الأرواح ، وتقيدت العقول ، وتوقفت الحواس ، وانكشف البال وتغير الحال ، وبلبل بلبل الوجد بين في الجوائح ، وتقصفت الأعضاء وحذرت الجوارح ، ودعي داعي

الأشواق ، وقام بالقلب الاصطلام والإحراق ، وتمكن الأرق[1] واشتد القلق واستوى سلطان الذبول ، بجيش النحول ، وأرسلت سماء الدموع ، على أرض الخضوع ، فقلنا له : هذا فعلك على النصف ، فكيف لو اجتمع الموصوف والوصف ، وبين يديه صورة ينشئها ، وبنية يهيئها ، قد زينها أحسن تزيين ، وأسرى في مسالكها أحوال التلوين ، وأرسلها في الكون ، محبوبة إلى كل عين ، تسحر الناظر وتقيد الخاطر ، وتعطي اللذة قبل النيل ، وتحير السمع في ترجيع القول ، إن غنت عنت ، وإن نظرت سحرت ، وإن لمست أبلست ، وإن ملكت فتكت ، وإن لعبت أتعبت ، وإن لهت ولهت ، وإن أعرفت أرعفت[2] ، على رأسها تاج من الغمام ، وعلى جبينها إكليل من الدر التمام وفي إصبعها خاتم الحمام ، إن هجرت أقبرت ، وصلت وإن وصلت أقبلت ، إلا أن لها سياسة مدنية ، ورياسة إنسانية ، تتواضع فتهتك السرائر ، وتترافع فتتعب البصائر ، الهيبة منوطة بذاتها ، والجلال من جملة صفاتها ، فبينا أنا أنظر في جمالها ، وأهيم بين دلها ودلالها ، إذ أقيمت صلاة المغرب ، فقالت : قم نشاهد الأمر المغرب فقمت ، وقد رويت أبياتاً من الشعر في أنزه ما يكون في المغرب من الأمر ، في غيابات السر ، وهي :

أَفَلَــتْ شَمسُنا بمَغربِ ذاتــي	فدعـــاني إلى الصَّــلاة الشَّهيدُ
فتوضَّــأتُ ثــم جئتُ إليــه	مــن قريــب وإنَّــه لبعيــدُ
قلتُ ربــي : فقال : لبَّيك عبدي	أين حمدي ؟ فقلت : أنتَ الحميدُ
فافتتحنــا بــه فـــردَّ علينــا	مثلــه واكتفــى وكان المزيد
وتدانــى فكان منِّــي كأنِّــي	ثــم ولَّى فقلــتُ : أينَ تريدُ ؟
قــال : نمضي ، فإنَّ قومك جاؤوا	ومُقامــي مــع الكيــان شديدُ
قُــمْ فحيِّهــم فقلــتُ السلام	وبقلبــي مــن الفــراق وقودُ
مــا ألــذّ الخلــوَّ بالله ليلاً	لــو يصح المقصود صحَّ الوجودُ

---

1 الأرق : امتناع النوم .

2 أرعف : يقال : أرعف القربة أي ملأها .

فاستمع رمز ما أغارُ عليه يا حبيبي ، وإنّه لكنودُ[1]
يشبه العسجد الكريم وجودي وهو شخصي وجدٌ منه الوريدُ[2]
لو رأى عالماً به لا بذاتي لتوالى عليَّ منه الشهودُ
فأنا عالمٌ به وبذاتي فوصالٌ وقتاً ووقتاً صدودُ

فلما كبرنا كبرنا ، فلما قرأنا أنبأنا ، فلما ركعنا رفعنا فلما رفعنا وضعنا فلما سجدنا شهدنا ، فلما جلسنا يئسنا ، فلما سلمنا حكمنا ، فلما فرغت الصلاة وأجيبت الدعوات ، قمت إلى منبر من الياقوت الأكهب[3] بخطبة ذهبت فيها أحسن مذهب ، وقلت : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم سواه ونفخ من روحه المكين ، فلما أقامه في أحسن تقويم ، رده إلى أسفل سافلين ، فلما أناطه بالمركز ليقيم في دولة العز أعطاه سر التدبير والتفصيل ، ووهبه في كل ما علمه قوة التحصيل ، فما بقي روح مجرد إلا سجد ، ولا ريح معبد إلا شهد ، ولو تكبر وجحد .

ولا صامت إلا تكلم ، ولا مائت إلا حيّى وسلم ، فإنّه النور الأعلى ، والقطعة المثلى ، ولولا ما هو من ذلك المقام ، ما انقادت لسلطانه الروحانيات الجسام ، فشقت هذه السدفة[4] الترابية أنواره ، وتخللت مسالكها أسراره ، ونفدت إلى حضرة توحيد موجدها ، وعاينت كريم مشهدها ، من غير أن تؤثر فيها هذه الظلمة ، لما هي عليه من نفوذ الهمة ، فأقرت الأرواح المجردة بعلو منصبها ، واعترفت بسمو مذهبها ، وأن لها أرفع المناصب ، وأشرف المناسب ، ثم اختصت دونها بالمكاسب ، فعظمت لديها المواهب ، فكم روح مجرد تكلم فيها بما لا يعلم ، قبل أن يعلم منها ما علم ، ثم أقر لها بعد ذلك بكمال المقام ، وأن الروح المجسد له الكمال والتمام ، وحسن التقويم والنظام ، ثم صبغها في الجمال العرضي ، للتعشق الغرضي ، فعشقت نفسها بنفسها ، حتى لا تتعلق بغير جنسها ، فتذعن لغير الجنس ، فكان يذهب عنها ما كان لها من العز

---

1 الكنود : الجحود . وفي رواية : «إنني» .
2 العسجد : الذهب .
3 الأكهب : الدهمة ، وقيل : لونه ليس بخالص في الحمرة .
4 السدفة : الظلمة الشديدة .

بالأمس ، ويظهر التيه عليها ممن نقص عن مقامها ، وتقاصر عن تمامها ، فبقيت بذلك عزتها عليها موقوفة وهمم غير جنسها إليها بالخدمة مصروفة ، وهي بذاتها في ذاتها مشغوفة ، وجعل لها هذا الشغف العرضي ، في الجمال العرضي ، حجاباً على الجمال المطلق ، والحسن البديع الفائق المحقق ، القائم بذات الحق ، الذي لا يقيد بالوقت ولا يدرك بالنعت .

ومن مراتب الكمال قوله عليه الصلاة والسلام : «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال»[1] ومن غوامض السر المكنون ، قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أزواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : 21] فمن انحجب من هذه الأرواح المجسدة بهذا الحجاب ، عن هذا الجمال ، لم يزل في سفال العوال ، ومن لم يحتجب به صح له المقال العال ، ويحدث له الظلال ، بالغدو والآصال ، ومن انحجب عنها بهذه الأرواح المبعدة عن هذا الحجاب ، لم يزل في سفال السفال .

جعلنا الله وإياكم ممن تعشق بربه وإن لم يُرَ به آمين .

7 ـ في اختصاص الصبح يوم السبت ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات

لم يبقَ للأيّام فعلٌ ينتميَ	فيه إليه غيرَ يومِ السبتِ
يومٌ له فضلٌ على إخوانه	فيه وضعنا سرَّنا بالسَّبتِ
يومٌ إذا رُفعَتْ لنا أعلامُهُ	قطعَتْ إليه ركابنا بالسَّبتِ[2]
منها منطقةٌ عزيزٌ نيلُها	وقلائصٌ موصوفةٌ بالصَّمتِ[3]
وقلائص حزنتْ على ركابها	وقلائص موسومةٌ بالسمتِ[4]

---

1 أخرجه مسلم برقم 147 . والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 290/4 .

2 الرّكاب : الإبل التي يسار عليها الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها .

3 القلوص : من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قُلُص .

4 السمت : هيئة أهل الخير . وفي رواية حزنتْ بدل من حزنت ومعناها : عدم الانقياد ، (مختار الصحاح : 133) .

وقلائص في سيرها تشكو الطوى وقلائص شغلت برعي النَّبتِ[1]
وقلائص تشكو الوجا وقلائص حفيت وتسرع في السُّرى المنبتِّ[2]
لا تشتكي ألم الوجا بخلوصها في سيرها من سطوات السَّبتِ
لله مــن يــوم كبير ، فعلهُ في الكون محمودٌ كريمُ الشَّختِ
يومٌ تصرَّفَ في جهــات ستَّةٍ ملكٌ على الأيّام سامي التَّختِ
شمسُ اليمين مع الإمام ، وفوقهُ ليــلُ الشمال وخلفهُ والتَّحتِ
مــا زال مخصوصاً على إخوانه بالجمع في تصريفــه والشَّتِّ
فلــه المشيئة في سرائــر ملكه بالوصل في ترتيبهــا والبتِّ
لا ينتمــي لحقيقــةٍ علويــة إلاّ إذا جاءت بوفـق البختِ[3]
للشرع منــه شفاعةٌ مقبولةٌ موسومةٌ من أجل أهـل المقتِ[4]
بين الذي مـا زال يعبد واحداً في الفطرتين وبين أهل التَّخت
يُدني سعادته مـن أهل جلاله وكذا شقاوته من أهل السُّحتِ[5]
فكأنّــه صوفي وقـت وجوده ما زال يسكنُ تحتَ حكم الوقتِ

ثم جاءت الروحانيات المسرَّحة الإنسانية ، فأيديهم الرايات السود الخراسانية ، ومعه براق أدهم ، كأنه قطعة ليل مظلم ، فامتطيته عشاء ، واندفعتُ طالباً اعتلاء ، إلى أن وصلنا سماء الخليل فاستأذن الرسول ، فإذا بإبراهيم عليه السلام قد غشيته الأنوار الليلية ، والضياءات الألية[6] ، فعندما أبصرت هذا الأب الثاني ، سويت المثاني ، واندفعت أقول بهذه الأبيات :

ألا مــن مُبلـــغٍ عني مقاماً وَقَفْتُ عليه يــا أبتِ ، السَّلاما

---

1 الطوى : الجوع .

2 الوجاء : رضُّ عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء . وفي الحديث «أنه ضحَّى بكبشين موجوءَين» .

3 البخت : الحظ .

4 المقت : أشد الكراهية .

5 السحت : الحرام .

6 الألية : اسم من أسماء الله وفي رواية : «الإلهية» .

ومُلتزم دعــوْتُ بـــه إلهي | لقلبـــي ، والتزمتُ به التزاما
وقبلتُ اليمــينَ يمــينَ ربِّي | وراعيــتُ المــودة والذِّماما[1]
وكانت قُبلــة قبلــت لكوني | أردتُ بهـــا التَّقــدمَ والإماما
فخاطبني اليمــينُ فزاد وجدي | وهيَّمنـــي فأورثنـــي السَّقاما

وقد استند إلى البيت المعمور ، المغشى بأستار النور ، «يدخله ـ كما قال عليه السلام ـ في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليها أبداً»[2] ، فهفا إليه الروح ، وتأخرت التربة ، وهاجت بها الأشواق إلى الطواف بالكعبة ، فانبعث الحس من زاوية تربته ، مخبراً بما استقر عنده من الشوق إلى كعبته ، فقال هذه الأبيات :

أنِّـــي إلى الكعبةِ الغرَّاء مشتاقُ | فيهـــا لعاشقها في السِّر أعلاقُ
إذا تذكَّرت أسراري ومشهدها | فيهـــا تحرِّكنـــي للبين أشواقُ
الله يعلـــمُ أنّـي لستُ أذكرها | إلا وعند لذاك الذكـــر إحراقُ
فالروحُ تائهـــةٌ والنَّفسُ والهةٌ | والقلبُ محترقٌ والدّمـــع مهراقُ

فلما سمع بذلك الوالد الإسلامي ، والسيد النجدي التهامي ، قال : يا بني ، أبعد الوصول إلى البيت المعمور ، ووقوفك في مشهد النور تحن إلى البيت الذي [لا] يبور[3] ، القائم بالتراب والصخور ، فقلت أيها السيد الأمليد[4] لا حرج على من حنَّ إلى جنسه ، فإنه اشتاق إلى نفسه ، ألا ترى كيف هفا إلى البيت المعمور وهم بالخروج من حبسه ؟ فهو ينزعج ويمسكه الأجل المسمى ، فهو كمقعد يحمله أعمى ، فلو تخلص من ناشئة ليلته وشدة وطأتها[5] وتحرز من ثقل الكلمة التي ألقيت عليه وعظيم سطوتها ، فلو وهب السراج راح ، ولو منح المفتاح استراح ، يا أبت . كيف لا أشتاق إلى تلك

---

1 الذمام : العهد ، والحرمة . وهنا يشرُ إلى الحجر الأسود .
2 رواه ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿والبيت المعمور﴾ بقوله : «ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة «ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم . (انظر تفسير ابن كثير ، سورة الطور : 4) .
3 الكعبة لا تبور يوم تطوى السموات والأرض لأنها سترفع قبل ذلك اليوم .
4 الأمليد : الناعم اللين .
5 الوطأة : موضع القدم .

المناسك والأعلام ، وأنت الذي أسستها لعالم الأجسام ، وأعليتها للمتثاقلين عن النهوض إلى هذه المشاهد الكرام ؟ فقال : ظننت أنَّ سرك انحجب بتربته ، ولهذا حن إلى كعبته ، ثم قال : يا أبا رزين ويا أيها العاشق المسكين ، المشغوف بالحجارة والطين كيف تركت سرك بالكعبة حبيساً وصرت في العالم العلوي رئيساً ، فتنفس أبو رزين تنفس الصعداء ، وقال : واشوقاه إلى أعلام الهدى ! وعظم هيجانه واشتدّ ، ورق أنينه ، ثم أنشد هذه الأبيات :

قُـلْ لبيتِ الحبيبِ رفقاً قليلاً بقُلَيْبٍ أمسى عليـلاً ذليلا

لست أنسى بلا بـلا بفؤادي يومَ نودي بنا الرَّحيل الرَّحيلا

ليت أنّي يومَ النَّوى والتداني لوداعـي أبقـى لديه قتيلا

لستُ أنسى ببطن مكـةَ يوماً قولـه لي : بالله صبراً جميلا

إنَّ بي مثل ما بكم فلتكن بي طيـبَ للنّفس للسُّرور وصولا

لم أزل حين بنت عنهم وقاموا أشتكي الوجدَ والجوى والغليلا

وأنادي في كلِّ فـجٍّ فؤادي وأقاسي منـه عذابـاً وبيلا[1]

فرق له المولى ، وقال : النزول إلى الكعبة بهذا الواله المسكين أولى ، فقلت : يا أبت إذا مشينا بأخينا هذا أبداً إلى مغناه متى يلتذ السر بمعناه ؟ فقال : يا بني ـ إذا سريت بفكرك في عالم المعاني انحجب حسك عن التلذذ بالمغاني ، وإذا سرى سرك في المغنى لم ينحجب سرك عن مشاهدة المعنى ، فالبقاء مع الحس أولى ، في الآخرة والأولى ، وسيبدو لك شرفه عند الرؤية في جنة المنية فقلت : يا أبت : فما تراني صانعاً ؟ فقال : انزل به الآن البيت بعمرة ، قبل أن يبدو الفجر طالعاً ، فنزلت بهمة مهمة فوقعت في بيداء مدلهمة ، ليس فيها نبات إلا السمرات[2] ولا سكان سوى الأفاعي والحيات ، قد درست طرقها فتاه طارقها ، عديمة الأنس لم يسكنها جن ولا إنس ، وحشية الطبع ، كريهة الوضع ، فقطعتها بجهد وعناء ، ومقاساة وبلاء ، إلى أن أشرقت عليَّ الأعلام ، فلبيت بعمرة يا ذا الإجلال والإكرام ، فلما عاينت البيت هاج القلق ، وعظم الحرق وبادرت إلى الحجر الأسود فقبّلته ، وشرعت في الطواف فأكملته ، واستجرت

1 الفج : الطريق الواسع . الوبيل : أي ثقيل وخيم ، ومنه قوله : ﴿أخذاً وبيلاً﴾ ، أي شديداً .
2 السمرات : من شجر الطلح .

بالمستجار ، والتزمت الملتزم ، وركعت في المقام وشربت من ماء زمزم ، ثم سعيت وأحللت ، ثم نهضت إلى السماء ورحلت ، فلما رآني الخليل ، قال : مرحّباً بالابن الجليل ، هذا الفجر قد بدت دلائله ، وطلعت منازله ، وبدت أعلام الفتح ، من أجل صلاة الصبح ، فتوضأ يا بني من السلسبيل ، فإنه موقوف على أبناء السبيل ، فغسلت يدي ، ولم يكن بها أذى ، فقال أمين النهر : من ذا ؟ ثم تمضمضت فأفرطت ثم استنشقت فعبقت ثم استنثرت فأوترت ، ثم غسلت وجهي فأريت ، ثم غسلت يدي إلى المرافق فسررت ، ثم مسحت برأسي فتُوجت ، ثم مسحت أذني فكلمت ، ثم غسلت رجلي قد ملجت ، ثم أقيمت الصلاة فأقمت ، فلما أحرمنا أحرمنا ، فلما كبرنا كبرنا ، فلما افتتحنا شرحنا ، فلما ركعنا نزعنا ، فلما رفعنا دفعنا ، فلما سجدنا عبدنا ، فلما جلسنا رأسنا فلما سلمنا حكمنا ، فرقيت في منبر من السبج ، وقمت فيهم خطيباً في سابع درج ، وأنشدت :

ولّما بـدا فجر الّذي لاحَ من قلبي	دعاني ودادي للحديث مع الرَّبِّ
فطهَّرتُ أثوابــي وطهَّرتُ بقعتي	وطهَّرتُ أعضائي وناديت بالحبِّ
حبيبي تراني عند بـــاب جلالكم	فهل لي إليكم من سبيل ، ومَن قُرب ؟
تُريد جفوني أن ترى نور وجهكُم	فتشهدكُم عنــي ويرعـــاكم قلبي
ترفَّــق بمن أضحى قتيلاً بحبِّكم	وبالكلف المشتاق والوالــه الصَّبِّ
أتاكم مـــن الكون الغريبِ لترفعوا	بفضلكم عنــه مشاهـدة الحجبِ
يناجي الذي في قلبه من وجودكم	بما جاء منكم في الصحائف والكتبِ
فمنـــو عليــه بالوصالِ فإنّــه	أسير هواء الجوِّ إن كان ذا سخبِ
فوالله مالي راحـــةٌ دونَ وجهكم	ومالي شفيـــع أرتضيه سوى حبّي
فأطلعَ شمس الذّات في القلب فانتفى	وجودي ، ولم يثبت سوى عالم القُربِ
فسلمتُ مـــن تلك الصّلاة مقدَّماً	على عالمي كوني وعدتُ إلى غيبي

الحمد لله الذي جعل الهوى حرماً ، تحج إليه قلوب الأدباء ، وكعبة تطوف بها أسرار ألباب الظرفاء ، وجعل الفراق أمر كأس تذاق ، وجعل التلاق ، عذب الجنى طيب المذاق ، تجلى اسمه عزّ وجلّ ، فأله الباب ، فلما غرقت في بحار حبه ، أغلق دونها الباب ، وأمر أجناد الهوى ، أن يضربوها بسيوف النوى ، فلما طاشت العقول ، وقيدها

الثقيل ، ودعاها داعي الاشتياق ، وحركتها دواعي الأشواق ، رامت الخروج إليه عشقاً ، فلم تستطع ، فذابت في أماكنها الضيقة ومسالكها الوعرة ، وجداً وشوقاً ، واشتد أنينها ، وطال حزنها وحنينها ، ولم يبقَ إلا النفس الخافت ، والإنسان الباهت ، ورثى لها العدو والشامت ، فأذابها الأرق وأتلفها القلق ، وأنضجتها لواعج الحرق ، وفتك فيها الفراق بحسامه ، وجرعها مضاضة كأس مدامه ، واستولى عليها سلطان البين ، فمحق الأثر والعين ، ونزلت بفنائها عساكر الأسف ، وجردت عليها سيوف التلف ، وأيقنت بالهلاك ، وعاينت الهلاك ، وما خافت ألم الموت ، وإنما خافت حسرة الفوت ، فنادت : يا جميل يا محسان ، يا مَن قال : ﴿هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسانُ﴾ [الرحمن : 60] ؟ يا من تيمني بحبه ، وهيمني بين بعده وقربه ، تجليت فأبليت ، وعشقت فأرقت ، وأعرضت فأمرضت ، فيا ليتك مرضت وأفرطت فقنطت ، وأسست فأسست وأيست فأيأست ، وقربت فدنوت وبعدت فأبعدت وأجلست فأنست ، وأسمعت فأطمعت ، وكلمت فأكلمت ، وخاطبت فأتعبت ، وملكت فهتكت ، وأملكت فأهلكت ، وأتهمت ففرحت ، وأنجدت ، فأترحت ، وبوهت فولهت ، وزينت فأفتنت ، وألهت فنبهت ، وفوهت فتوهت ، وغلطت فنشطت ، وعززت فعجزت ، وأسلبت فأغفلت ، وأمسكت فنسكت ، ووسعت فجمعت ، وضيقت ففرقت ، وأحرمت فأحللت ، وأحللت فحرمت وهذا كله سهل إذا ما أنت أقبلت ، فيا ليتني لم أخلق ، وإذا خلقت لم أتحقق ، وإذا تحققت لم أعشق ، وإذا عشقت لم أهجر ، وإذا هجرت لم أقبر ، وإذا قبرت لم أنشر ، وإذا نشرت لم أحشر ، وإذا حشرت لم أعتب وإذا عوتبت لم أزجر ، وإذا زجرت لم أطرد ، وإذا طردت لم تسعر بي النار التي فيها على الحجب أن أنظر ، فلما سمع ندائي ، وتقلبي في أنواع بلائي ، بادر الحجّاب ، إلى رفع الحجاب وتجلى المراد ، فنعمت العين والفؤاد .

جعلنا الله وإياكم ممّن عشق فلحق ، فظفر .

ثم رددت وجهي إلى المقاتل ، المشغوف بالمقابل ، وقلت : يا صاحب الغين والرين ، إلى كم تنتهي حقائقك التي أعطاك الله في تدبير الكون ، فقال : إلى مائتي ألف حقيقة واثنتين وستين ألف وثمانمائة ، ثم نزلنا إلى المشتري فسألته عن كمية حقائقه ، التي أودعه الله في تدبير خلائقه ، فقال : مائة ألف وخمسة آلاف ومائة وعشرون ، ثم نزلت إلى المريخ فرأيت ثمانية آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين

دقيقة ، ثم نزلت إلى الشمس فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وستاً وستين دقيقة . ثم نزلت إلى الزهرة فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وخمساً وستين دقيقة مثل الزهرة ، ونزلت إلى القمر فرأيت له ستمائة واثنتين وسبعين دقيقة ، ثم نزلت على بعض الرقائق الشمسية في الصور الدحيّة إلى أن استويت على الأرض المدحية وقد عرفت ترتيب حركات الأفلاك ، ووقفت على مراتب الأملاك ، وتحققت ما في القوى الروحانيات ، من الانفعالات الكونيات ، فسرحت في ميدان معارف النسب ، وفزت بمدارك وضعية السبب ، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب ، وحصره في تحليل وتركيب ، وحكم عليه بالبقاء فلا ينفد وعلى عالمه بالسعادة والشقاء فلا يبعد أسعدنا الله وإياكم بما أسعد به أولياءه وأحباءه .

8 ـ في أن يوم السبت هو يوم الأبد وهو يوم الاستحالات

السَّبتُ يومُ البقا والاستحالات ... والشُّغل يصحبه مع البطالاتِ

عجبتُ من يومنا فيه الفراغُ وفيه ... الشّغل جمعهما من المحالاتِ

ليس الهدى في جناب السر ... فالذكر أولى من تصاريف الضّلالاتِ

فانظر إلى بدء يوم السبت تحظَ به ... فقد تقدَّس عن وصف النّهاياتِ

نهاره في جنانِ الخلدِ رؤيتنا ... وليله في لظى حجب الزّياراتِ

فالليلُ منه على أهل الشّقاوات ... كا النَّهار على أهلِ السعاداتِ

سرى يوم السبت في الموجودات ، سريان العدد في المعدودات ، والدوام في الدائمات ، والقيام في القائمات ، فهو لا معدوم ولا موجود ، ولا حاضر ولا مفقود ، فيه استلقاء الفاعل من إيجاد الأجناس والأمهات ، وشهد لك بالملك والثبات ، وذلك أن الله جل أن يسبق وجده عدم ، أو يتصف بما يناقض القدم ، خلق الخلق أسفله وأعلاه ، في ستة أيام من أيام الله ، فلما كملت أجناس العوالم ، وتميزت المراتب والمعالم ، ابتدأت يوم السبت الاستحالات والتكوين ، والتغييرات والتلوين ، فتنوعت الصور والأشكال ، وتغيّرت المناصب والأحوال ، فصارت الاباء أبناء ، والأبناء آباء ، وتداخلت الموجودات بعضها في بعضها ، وحصل خفضها في رفعها ، ورفعها في خفضها ، واستحال المعدن نباتاً ، والنبات حيواناً ، والحيوان إنساناً ، والإنسان معدناً ، وضرب الكل بالكل ، وظهرت

القوة بالفعل ، وعاد العزيز ذليلاً والذليل عزيزاً ، والحديد لجيّنا والنحاس ذهباً إبريزاً[1] ، والمركب محللاً مفصلاً ، والمحلل مركباً موصلاً ، وهكذا في الآخرة وقد بان في قوله : في الحافرة ، وقوله في غائط السعداء أنه عرق مثل المسك ، ووصفه الأشقياء بنضح المسك ولما كانت الآخرة لا تنفد ، وساكنها لا يبعد ، انسحب عليها ذيل يوم السبت إذ كان يوم النصب البت فلا ليل لنهاره في دار القرار ، ولا نهار لليله في دار البوار ولا منتهى لظلمه وأنواره ، ولا قاهر لسلطان أسراره ، ولقد شاهدت روحانية السبتي محمد بن هارون الرشيد في الطواف ، وهو نجيج الأطراف ، وكان قد اختص في وقت حياته ، أن يسعى يوم السبت في تحصيل أوقاته ، ويتعبد فيما بقي من أيام الجمعة معمّراً لأوقاته ، فسألته لم خصصت يوم السبت بالخدمة ؟ فقال : إبقاء للحرمة ، فإنَّ الغنى في الستة الأيام من الأسبوع المقدر ، اعتنى بإظهار أعياننا لمن تفكر ، فاشتغلنا فيها بما شرع من خدمته وقرر ، ولما انفرد يوم السبت لمعناه ، لهذا خصصه بتدبير مغناه ، فقد بان أن يوم السبت هو يوم الأبد ، وعنده انتهى العدد ، وليس وراءه يوم ينتظر ، ولا وقت يقدر ، وقد ثبتت أعيان الذوات ، ودخلت الاستحالات والتغيرات في الأشكال والصفات .

جعلنا الله وإياكم ممن عرف أنه لا بد من يومه ، فلم يعجل عن قومه .

9 ـ في بيان الصلاة الوسطى ، أي صلاة هي ؟ ولماذا سميت الوسطى ؟

السرُّ منّا في البرزخ الوسط   وهو بسرِّ القديم مرتبطُ[2]
فانظر إلى بدئه وغايته   يجمّع أسرار دينك الوسطُ
وانظر إلى الفوز بين راجيةٍ   وبين قوم من ربِّهم قنطوا
فمن أراد الوقوف منه على   غايته فالخفاء مشترط
يا فرحة القوم لو بدا لهم   سُرُّوا بذاك الظُّهور واغتطبوا

أقول من المعارف الرسمية والعلوم الوسمية : إنَّ الصلاة الوسطى[3] من الوسط

---

1 الإبريز : من الذهب الخالص يضرب به المثل .

2 البرزخ : الحاجز بين شيئين .

3 ومنه قوله تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة : 238] . وجاء في الحديث : «مَن فاته صلاة العصر فكأنما وُتر أهله وماله» أي فقدهما .

والفضيلة ، فمن جعلها من الوسط ، فهي المغرب لما جاء في الخبر : إن أول صلاة صلاها جبريل بالنبيّ ﷺ صلاة الظهر ، وقد ثبت ذلك وظهر ، ومن جعلها من الفضل فتكون العصر لاقتران فواتها بمصيبة الأهل والمال ، وتغيير الأحوال ، وقد جاء في الخبر الحق ، في يوم الخندق ، أنه عليه السلام أبدل العصر من الوسطى ، بدل الشيء من الشيء ، وهما لعين واحدة ، فهي المختارة المثلى ، وقد أثبتتها عائشة رضي الله تعالى عنها في مصحفها بواو التوكيد[1] وهذا في المسألة من أعظم تأييد ، ومن خالف ما ذكرناه من علماء الآراء والرواية ، فروايات واهية ، وأقوال ما عليها من طلاوة ، فسلطان هذا الحكم من معارف الرسم وعلوم الوسم[2] ثم نرجع فيها إلى الحكم بعلم الكشف المحقق ، بالنور المطلق ، أقول : شاهدت علين السر في حضرة الوتر ، أنَّ الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، لأن الظهر لظهوره في مقام الفناء ، والمغرب لظهوره في مقام البقاء ، والعشاء لظهوره في مزج الأولياء بالأعداء ، والصبح لظهوره طريق أخبار السفراء ، والعصر لظهوره في خط الاستواء ، لأن شجرة المشاهد لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، والمراد بقاء الأبصار فجمع بين العالم البسيط اللطيف ، وعالم التخطيط الكثيف ، ولم يتغيّر في هذا المشهد شيء من أشكال نظام الأحوال ، فشاهده الإنسان في كماله ، بقوة اعتداله ، وما عدا هذا المقام فانحراف عن الاعتدال بنور أو ظلام ، والحق المطلوب والفضيلة عند الرجال ، إنما هي في المشاهدة والاعتدال فضمه إليه عند صحوه وأثبته بعد محوه ، وألحفه لحف الجمال والأنس ، وأمره أن يخلع على عالم النفس ، فلا تعرف الحقائق الروحانية إلا بتنزلات الرقائق الإلهية ، ولتكف هذه الإشارة في الوسطى من الوسط والأوسط فإنها تنزيل من الحكيم المقسط .

---

1 والمقصود بالتوكيد ما رواه ابن جرير بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه : أنه قال : كان في مصحف عائشة «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر» وقال الحسن البصري أن رسول الله ﷺ قرأها عليها . (انظر مسند أحمد (73/6) وتفسير ابن كثير ، طبعة دار صادر ، تفسير آية 238 من سورة البقرة .

2 الوسم : نعتٌ يجري في الأبد بما جرى في الأزل .

جعلنا الله وإياكم من الأمة الوسطية وخصنا وإياكم بما خصّ به إبراهيم[1] الفرع الكريم الباسق من الأرض القبطية .

10 – في معنى قوله تعالى : ﴿والَّذينَ هُمْ على صلاتِهِمْ دائمونَ﴾ [المعارج : 23] :

إذا مـا صحَّ للعبـد المقامُ ... يصحُّ لـه الدوامُ على الصَّلاةِ
ففـي ديمومـة السِّرِّ المعلَّى ... بشارات الإقامـة والثَّباتِ
أقامـك في المعـارج تبتغيه ... لتُلحفـه رداءَ المكـرماتِ
ففاجأهـا بنعـت لا يسامى ... ويعلـو عن سمـات المحدثاتِ
فعانقهـا وضاجعهـا قليلاً ... فأولدهـا بسرِّ الذَّاريـاتِ
فلمّـا عاينت شخصاً سويـاً ... تعـالى عـن لحوق المرسلاتِ
فولَّت نحـو حضرتها وقالت ... عشقنـا الدَّائمـات الملقياتِ
وقُلنـا حـينَ قالت ما سمعنا ... عشقنا الجاريـات الحاملاتِ

ومَن عَرف سر وضع الصلوات ، لم يزل يستعمله في عموم الحالات على تنوع التصرفات ، فلا يبرح على صلاته دائماً ، وبسرها حاكماً ، ولا يقنع بالاقتصار على المحافظة على الأوقات ، فإنه لأهل الأشغال والغفلات ، ولا شغل للعارفين إلا بربهم ، ولا مراقبة لهم في شيء إلا في قلبهم فإنه الذي وسعه ، وناداه فسمعه ، فهو في كل الأديان شاهِدُهُ ، وسره مع الأنفاس عابِدُه ، فقابل الدوام بالدوام ، زاد على اليقين المنفصل عند أصحاب الليالي والأيام ، فجواد همته في ميدان الديمومية سانح ، ونون سره في بحرها المتلاطم سابح ، وإن كانت الصلاة مرتبتين محققتين : مرتبة عميمة ومرتبة مخصوصة ، وأسرارهما عند المحققين الذين هم على بينة من ربهم منصوصة ، والدوام إنما يقع في المرتبة العامة ، وهي المناجاة .

وأما المرتبة المخصوصة فلا يتمكن فيها الدوام ، لاختلاف المقامات ، وتتنوع التنزلات ، لتنوع الحالات ، فمن وقف على سر الحضور لم يقتصر به على بعض الأمور ، وفيه يصح الدوام عند علماء الإلهام ، فقد تبينت الرتب وتحققت النسب .

جعلنا الله وإياكم ممن داوم على صلاته في الحكمين ، ففاز بالعلمين .

---

1 المقصود به إبراهيم بن رسول الله ﷺ .

وقد تمّ الباب ، وبتمامه تمّ جميع الكتاب ، وجميع ما فيه من الأبيات هو من سنوح الخاطر ، على ما أعطاه الوقت الحاضر ،إلا البيتين اللذين في الباب الأول فإنهما لغيري وهما :

يـــا ربُّ جوهر علم لو أبوحُ به   لقيـــل لي : أنـــتَ ممَّن يعبدُ الوثنا[1]
ولاستحـــلَّ رجالٌ مسلمون دمي   يـــرون أقبـــح مـــا يأتونه حسنا

«تمّ الكتاب بحمد الله وعونه»

1 انظر هذه الأبيات ، ص 22 .

المصادر والمراجع

* **رسائل ابن عربي**، ابن عربي، ط1، بيروت: دار صادر، 1997م.
* **مختار الصحاح**، الرازي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988م.
* **القرآن الكريم تفسير وبيان**، دمشق: دار الرشيد.
* **لسان العرب**، ابن منظور، بيروت: دار صادر، 1997م.
* **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، 1977م.
* **الفتوحات المكية**، ابن عربي، بيروت: دار صادر.
* **الأذكار**، النووي، ط1، بيروت: دار الكتب الثقافية، 2002م.
* **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ط1، بيروت: دار صادر، 2000م.
* **المغني عن حمل الأسفار**، العراقي، بيروت: دار صادر، 2000م.
* **شرح سنن أبو داود**، العيني ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1999م.
* **الوافي بالوفيات**، الصفدي، فيسبادن: فرانز شتايز، 1962م.
* **فوت الوفيات**، الكتبي، بيروت: دار صادر.
* **الرسالة القشيرية**، أبو القاسم القشيري، بيروت: دار صادر، 2001م.
* **الطبقات الصوفية**، المناوي، ط1، بيروت: دار صادر، 1999م.
* **التعريفات**، الجرجاني، ط1، القاهرة: المطبعة الخيرية.
* **التصوف الإسلامي**، حسن عاصي، بيروت: مؤسسة عز الدين، 1994م.
* **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، ط1، بيروت: دار صادر.
* **محيي الدين ابن عربي**، اعداد وتحقيق يوسف ايبش، ط1، بيروت: دار الحمراء، 1990.
* **حل مشكلات الفتوحات المكية**، د. يوسف زيدان، ط1، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992.
* **التجليات الإلهية**، طهران، مركز نشر دانشكاه، 1998.
* **شجون المسجون وفنون المفتون**، ط1، دمشق: دار سعد الدين، 1999.

* **الأعلام** ، الزركلي ، ط7 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1986 .
* **معجم المؤلفين** ، كحالة ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
* **كشف الظنون** ، حاجي خليفة ، بيروت : دار صادر .
* **لطائف الأسرار** ، يوسف ايبش ، ط1 ، بيروت : دار الحمراء ، 1990 .
* **محيي الدين ابن عربي** ، د . يحيى شامي ، ط1 ، بيروت : دار الفكر العربي ، 2002 .
* **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** ، الشعراني ، ط1 ، بيروت : دار صادر ، 2003 .

الفهرس

المقدمة 5

ترجمة ابن عربي 9

اسمه ونسبه 9

مولده ونشأته 9

أسفاره 10

منزلته 10

مذهبه في التصوف : 10

أولاً ـ المعرفة : فهي تنقسم بأشكالها إلى ثلاثة أقسام 10

ثانياً : وحدة الوجود 11

ثالثاً : القول بوحدة الأديان 11

رابعاً : الحقيقة المحمدية 12

مؤلفاته 12

وفاته 12

تحقيق اسم هذا الكتاب 13

مميزات هذه الطبعة 13

مقدمة المؤلف 15

الباب الأول 21

1 ـ في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً 21

2 ـ بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء 24

الباب الثاني 27

1 ـ في معرفة المكلِّف ـ سبحانه وتعالى ـ والمكلَّف 27

2 ـ في معرفة التكليف 29

الباب الثالث : الشريعة 31

1 ـ معرفة سبب وضع الشريعة في العالم 31

2 ـ معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه 33

3 ـ في بيان مقام الرسالة ومقام الرسول 35

4 ـ تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها 37

5 ـ معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة 37

الباب الرابع 39

1 ـ بيان السبب الذي دعاني أن أختص في هذا الكتاب من العبادات
الصلوات الخمس دون غيرها 39

2 ـ معرفة علّة أسماء الصلوات الخمس وتنبيهات على ما في كيفياتها
من الحكم والأسرار ، على طريق الإجمال إن شاء الله تعالى 40

3 ـ معرفة شروط الإمام للصلاة 43

4 ـ معرفة شروط المأموم في الصلاة 44

الباب الخامس 47

1 ـ معرفة سبب فرض الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به 47

2 ـ في معرفة سبب التعميم في طهارة الجنابة وتخصيص بعض
الأعضاء في طهر الحدث الأصغر والتيمم 49

3 ـ في معرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمّة والعزم والهاجس . . . 50

4 ـ في معرفة أسرار غسل اليدين ثلاثاً ووصف المياه والأواني في
كل صلاة إن شاء الله تعالى 52

5 ـ في معرفة أسرار صبّ الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين 54

6 ـ في معرفة أسرار الاستنجاء إن شاء الله تعالى 55

7 ـ في معرفة أسرار الاستجمار 56

8 ـ في معرفة أسرار المضمضة 57

9 ـ في معرفة أسرار الاستنشاق والاستنثار 58

10 ـ في معرفة أسرار غسل الوجه 60

11 ـ في معرفة أسرار غسل اليدين إلى المرفقين 62
12 ـ في معرفة أسرار مسح الرأس 63
13 ـ في معرفة أسرار مسح الأذنين 64
14 ـ في معرفة أسرار غسل القدمين 65
15 ـ في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء 66
16 ـ في معرفة أسرار الانصراف من الوضوء إلى الصلاة 66
17 ـ في معرفة أسرار طهارة الثوب والبقعة للصلاة فيهما 67
18 ـ في معرفة أسرار إقامة الصلاة 69
19 ـ في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة 72
20 ـ في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة 73
21 ـ في معرفة أسرار التوجّه في الصلاة 74
22 ـ في معرفة أسرار الوقوف والقراءة في الصلاة 75
23 ـ في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسورة 76
24 ـ في معرفة أسرار الركوع وما يختص به من التسبيح 80
25 ـ في معرفة أسرار الرفع من الركوع وما يقال فيه 81
26 ـ في معرفة أسرار الهوى إلى السجود 81
27 ـ في معرفة أسرار السجود وما يختص به من التسبيح والدعاء
وقوله جل ثناؤه : ﴿واسجُدْ واقتربْ﴾ [العلق : 19] وسبب
عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان 82
28 ـ في معرفة أسرار الرفع من السجود 83
29 ـ في معرفة أسرار الجلوس في الصلاة 85
30 ـ في معرفة أسرار التشهد في الصلاة ، إن شاء الله 86
31 ـ في معرفة أسرار السلام 87
32 ـ في معرفة أسباب السهو والسجود له 88
الباب السادس : الاختصاصات والانفعالات 89
1 ـ في اختصاص الإمام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات 89
2 ـ في اختصاص المأموم بيوم الاثنين وما يظهر فيه من سر الانفعالات 98

3 ـ في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه
من الانفعالات بمشيئة الله تعالى 125
4 ـ في اختصاص العصر بيوم الأربعاء ، ومن هو الإمام فيه ،
وما يظهر من الانفعالات ، بعون الله ومنه وكرمه 128
5 ـ في اختصاص الظهر بيوم الخميس ، ومن هو الإمام فيه ،
وما يظهر فيه من الانفعالات 134
6 ـ في اختصاص المغرب بيوم الجمعة ، ومن هو الأمام فيه ،
وما يظهر فيه من الانفعالات 138
7 ـ في اختصاص الصبح بيوم السبت ، ومن هو الإمام فيه ،
وما يظهر فيه من الانفعالات 141
8 ـ في أن يوم السبت هو يوم الأبد وهو يوم الاستحالات 147
9 ـ في بيان الصلاة الوسطى ، أي صلاة هي ؟ ولماذا سميت الوسطى ؟ 148
10 ـ في معنى قوله تعالى : ﴿والَّذينَ هُمْ على صلاتِهمْ دائمونَ﴾ [المعارج : 23] . 150
المصادر والمراجع 153